الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8ماي 1945 قالمة
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

المغرب الإسلامي
من الفتح إلى أفول دولة الموحدين

مذكرة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثانية تاريخ/سدسي 3

إعداد الدكتور:
عبد الخليل قريان

السنة الجامعية: 1438-1439هـ/2016-2017م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

هذه محاضرات في تاريخ المغرب الاسلامي تغطي الفترة الممتدة من الفتح إلى أفول دولة الموحدين. وقد حرصت على أن تكون هذه المحاضرات مركزة على الاهم ، وكنت قاصدا التوسع أكثر في بعض المواضيع التي رأيت بأن المادة العلمية ليست متاحة للطلبة في شكلها النهائي، بينما عمدت في المواضيع التي أصبحت مشهورة في كتب المصادر والمراجع إلى الايجاز غير المخل.

وعنونتها بـ" **المغرب الاسلامي من الفتح إلى أفول دولة الموحدين**" ، وقد قسمتها إلى محوين: عالجت في المحور الأول تاريخ بلاد المغرب منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية عصر الولاة، وتحدثت فيه بداية عن تسمية وجغرافية بلاد المغرب الطبيعية والبشرية، وعرجت على الاستعمارات التي مرت عليه.

ثم تناولت عمليات الفتح بشقيها الاستطلاعي واحتوت على ثلاث حملات ثم مرحلة الفتح الدائم والمستقر وكان بها سبع حملات.

ثم استكملت عصر الولاة برصد ثمانية منهم كانوا على رأس المغرب الاسلامي.

أما المحور الثاني، فكان منصبا على الدول المستقلة والمؤسسة في بلاد المغرب الاسلامي ابتداءا بدولة بني مدرار، ثم الرستمية، فالادريسية، والاغلبية، والفاطمية، ثم الزيريين والحماديين، ثم أخيرا المرابطين والموحدين.

وبالنسبة للمصادر والمراجع التي ساهمت بشكل أساس في إفادة الموضوع فيمكن حصرها فيما يلي:

أولا :مصادر التاريخ العام

1 – الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/ 922م): تاريخ الامم والملوك.

2 – البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ/892م): فتوح البلدان.

3 – المسعودي علي بن الحسن(ت 345هـ/956م): مروج الذهب ومعادن الجوهر.

4– عماد الدين إدريس: تاريخ الخلفاء الفاطمين القسم الخاص من كتاب عيون الاخبار.

4 – مسكويه أحمد بن محمد بن يعقوب(ت 421هـ/ 1030م): تجارب الأمم.

5 – ابن الأثير علي بن محمد الشيباني(ت 630هـ/ 1232م): الكامل في التاريخ.

6 –أبو الفداء إسماعيل بن علي بن محمود(ملك)(ت 732هـ/1331م): تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في تاريخ البشر.

7– النويري أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ/ 1332): نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24.

8– الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين(ت 748هـ/) : تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام.

8 – ابن كثير إسماعيل بن عمر (ت 774هـ/1372م): البداية والنهاية.

9 – ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد(808هـ/ 1406م): كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.

ثانيا: مصادر التاريخ الخاص/ الإقليمي.

10–ابن عبد الحكم (ت 257 هـ/ 870م) : فتوح مصر والمغرب.

11–ابن عذاري المراكشي(ت اواخر القرن 7هـ/13م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب.

ج1: خاص بتاريخ افريقية والمغرب من الفتح إلى القرن 4هـ.

ج2: اخبار الاندلس من لدن الفتح إلى القرن الرابع الهجري.

ج3: اخبار الاندلس من حين انقراض الدولة الاموية إلى آخر عصر ملوك الطوائف.

ج4: عصر المرابطين في المغرب والاندلس.

– قسم خاص بالموحدين.

12– ابن بسام علي الشنتريني ت(ت 542هـ/ 1147م: الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة)

13 – ابن حيان حيان بن خلف ين حسين(ت 469هـ/ 1076م): المقتبس(تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامي الى عصر المؤلف).

14 – ابن تغري بردي أبو المحاسن (ت 874هـ/1469م): النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة.

15– مجهول: مفاخر البربر.

16– ابن حماد محمد بن علي: أخبار ملوك بني عبيد.

17– القاضي النعمان: تاريخ افتتاح الدعوة.

18– المراكشي عبد الواحد بن احمد(ت 647هـ 1249م): المعجب في تلخيص اخبار المغرب.

19– ابن خلدون يحيى: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد.

20– ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس.

ثالثا: مصادر التراجم والطبقات.

21– الغبريني أبو العباس احمد بن احمد بن عبد الله(ت 714هـ): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. ابن فرحون: الديباج المذهب

22 – ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان.

23– التنبكتي احمد بابا(ت1036هـ): نيل الابتهاج بتطريز الديباج

24- ابن سعد محمد بن سعد(ت 230هـ/844م): الطبقات الكبرى.
25- النديم محمد بن ابي يعقوب(ت 380هـ/990م): الفهرست.
26- الذهبي محمد بن احمد بن عثمان(ت 848هـ/ 1347م): سير اعلام النبلاء.
27- المالكي ابو عبد الله (عاش في القرن 5هـ): رياض النفوس.
28- الدباغ: معالم الايمان .
29- ابن الخطيب محمد بن عبد الله لسان الدين(ت 776هـ/ 1374م): أعمال الاعلام.
30- ابن الخطيب لسان الدين (ت 776هـ/): الإحاطة في أخبار غرناطة.
31- ياقوت الحموي (ت626هـ/1228م): معجم الأدباء.
32- التيجاني عبد الله بن محمد التيجاني(ت بداية ق 8): رحلة التيجاني.
33- المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب.
34- المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض.
35- الدرجيني: طبقات المشايخ.
36- ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين.
37- سليمان الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية.

رابع: المصادر الجغرافية.

38- البكري (ت 487هـ/ 1093): المسالك والممالك.
39- ابن حوقل النصيبي(ق 4هـ): صورة الأرض.
40- الحميري محمد بن عبد المنعم(ت 727هـ/1328م): الروض المعطار في خبر الاقطار.
41 اليعقوبي(ت 284هـ/ 897م): البلدان.
42- ياقوت الحموي: معجم البلدان.
43- الادريسي)(ت 560هـ /1164م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق.
45- مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار.

المراجع

46 - حسين مؤنس: فجر الأندلس.
47- = فتح العرب للمغرب.
48- = معالم تاريخ المغرب والأندلس.
49 - لقبال موسى : المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القرن الى نهاية ثورة الخوارج
50- = دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الاسلامي
51 - عنان محمد عبد الله :عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس.
52 - بجاز ابراهيم : الدولة الرستمية

53 – الميلي امبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث .
54– فيلالي عبد العزيز : المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب و الاندلس.
55–فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني.
56– زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي.
57– السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير– العصر الإسلامي
58– السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس .
59– محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير.
60– محمود اسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب.
61– محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس.
62– سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي.
63– عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال افريقيا من الفتح إلى نهاية الدولة الاغلبية.
64– أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد.
65– بوبة مجاني: النظم الادارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي.
66 – المجدوب عبد العزيز: الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية.

المحور الأول:

المغرب الاسلامي من الفتح الإسلامي إلى نهاية عصر الولاة

أولا: بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي.

1- الاسم والحدود.

2- الجغرافيا الطبيعية لبلاد المغرب.

3- الجغرافيا السكانية لبلاد المغرب.

4- الإستعمارات المتعاقبة على بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي.

ثانيا: مراحل فتح بلاد المغرب:

1- مرحلة الحرب الاستطلاعية(الغارات).

أ- حملة عمرو بن العاص: فتح برقة(22هـ).

ب- حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح: فتح سبيطلة(27هـ).

جـ - حملة معاوية بن حُدَيج السكوني: فتح سوسة و جلولاء (45هـ).

2- مرحلة الفتح الدائم(الإستقرار).

أ- ولاية عقبة بن نافع الأولى، وتأسيس مدينة القيروان(50هـ).

ب- ولاية أبي المهاجر دينار (55هـ).

جـ - ولاية عقبة بن نافع الثانية ، والانسحاب المؤقت من القيروان(62-64هـ).

د- حملة زهير بن قيس و استرجاع القيروان (69هـ).

هـ - حملة حسان بن النعمان الأولى(74هـ).

و- حملة حسان بن النعمان الثانية(79- 85هـ).

ز- حملة موسى بن نصير وعمليات إتمام فتح المغرب(86هـ).

ثالثا: عصر الولاة.

1- ولاية محمد بن يزيد (97-100)هـ.

2- ولاية اسماعيل بن عبدالله بن ابي المهاجر (100-101)هـ.

3- ولاية يزيد بن أبي مسلم (102هـ).

4- ولاية بشر بن صفوان (103-109)هـ.

5- ولاية عبيدة بن عبد الرحمن السلمي (110-114)هـ.

6- ولاية عبيد الله بن الحبحاب (114-123)هـ.

7- ولاية كلثوم بن عياض القشيري (123-124)هـ.

8- ولاية حنظلة بن صفوان الكلبي /أخ بشر بن صفوان (124-127)هـ.

أولا: بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي.

1-الاسم والحدود:

لقد تطورت تسميات المغرب في القديم حسب العصور والأنظمة السياسية والحضارية التي تعاقبت عليه:

– وأقدمها نسبيا إسم "ليبيا[1]" "أوليبو[2]" أو"ليبية[3]" كما يصفها ياقوت الحموي. وهذا الاسم أطلقه عليها قدماء اليونان ليدل على الأجزاء الشمالية المعروفة والمأهولة من قارة إفريقيا كلها، وسمي على إثر ذلك أهلها باسم "الليبيون" " الليبو" ويعنون بذلك القسم الشمالي الذي يسكنه العنصر الأبيض، بينما يطلقون على الصحراء اسم بلاد الأحباش السود، وهم الزنوج المجاورون لهم في الجنوب.

وقد تطور اسم ليبيا وانتهى في نهاية الأمر إلى الاقتصار على ليبيا الحديثة دون بقية الأجزاء الشمالية في بلاد المغرب الكبير.

وفي بداية العصر الروماني بعد أن تغلب الرومان على قرطاجنة عام"146ق.م" أطلق الرومان على الإقليم الذي يقابل اليوم الجزء الشمالي الشرقي من الجمهورية التونسية، **اسم إفريقية africa**[4].أو" بلاد الأفري "afri، و الأفري[5] مجموعة من السكان كانت ذات صلة وثيقة بالقرطاجنيين الفينيقيين بناة قرطاجنة"814ق.م"، والظاهر أن هذا المصطلح نابع من الوجود التاريخي لهؤلاء السكان في هذه المنطقة وبعد ما جاء الروم أطلقوا هذا الاسم عليهم فأصبح علما على تلك الربوع.

وحدود" إفريقية" إذن الجزء الشمالي الشرقي من الجمهوري التونسية ويشمل " قرطاجنة القديمة" "قرطاجنة إفريقية وما حولها حتى نوميديا غربا، وكان يعرف باسم ولاية إفريقية القنصلية africa proconsularis[6] وهذا الاسم الذي عرب فيما بعد إلى إفريقية بعد الفتوح.

---

[1] الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1396هـ/1976م، ص28.
السيد عبد العزيز سالم:المغرب الكبير العصر الإسلامي دار النهضة العربية، بيروت 1981هـ/1401، ج2، ص125.
لقبال موسى: المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر ةالتوزيع، الجزائر، ط2،1401هـ/1981م، ص13.

[2] السد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس دار النهضة 1981هـ/1401م، ص17.

[3] معجم البلدان: ج4، ص368.

[4] فروخ عمر: الغرب الإسلامي في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط، دار الكتاب الغربي بيروت ط2، 1401هـ/1981م، ص16.

[5] يري لقبال موسى أن أفري قريبة المعنى من حفري أو الأثرى وكلمة " أفرى، أفرن" تعني بالبربرية المخبأ أو الكهف وربما أخذ هذا الإسم من المعنى الذي تاخذه كلمة أفري"، انظر كتاب المغرب الإسلامي، ص .13

3حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب.

ويقال أن اسم إفريقية آت من تسميتهم إلى ولد فارق بن مصريم فسموا أفارقة وبلادهم إفريقية، و قيل سميت إفريقية

وعاصر اسم " **إفريقية** " كل من **ليبيا ونوميديا الشرقية وموريطانيا الغربية** وفي هذه الأجواء التاريخية أمكن تقسيم المغرب إلى:

– "**ليبيا**"" وهي إقليم برقة وطرابلس وحدهما من غرب الإسكندرية إلى شرق مدينة **قابس** في خليج "**سرت**" الأصغر.

– **إفريقية**[1]: من شرق مدينة قابس جنوبا وساحل تونس الشرقي إلى مدينة طبرقة غربا وهي الجمهورية التونسية اليوم تقريبا ماعدا صحراء تونس وجزء قليل من غربها " مدينة طبرقة قديما كانت تابعة لنوميديا في شرق الجزائر".

– **نوميديا:** من الكاف ومن شرق مدينة طبرقة وتنتهي غربا في بجاية، وبجاية داخلة في نوميديا، وكانت نوميديا إقليما مستقلا عن القرطاجيين.

– **موريطانيا الشرقية:** من غرب مدينة بجاية إلى نهر ملوية غربا.

– **موريطانيا الغربية:** من وادي ملوية إلى المحيط الأطلسي " المغرب حاليا أو"طنجة[2]" المحيط ألأطلسي= البحر المحيط= لبلاية=أقيانس= البحر الأخضر والأسود= بحر الظلمات[3]= وكانت موريطانيا مستقلة عن النفوذ الأجنبي

–كما كان الجغرافيون القدماء ايضا قبل الإسلام يسمون نوميديا "مصليا"Massylie"

–كما أطلقوا اسم "جيتوليه" Getulie"على صحراء نوميديا وموريطانيا.

–أما في العصر البيزنطي الرومي " الرومان المتأخر" اتسع مدلول كلمة **إفريقية** ليشمل كل النطاق الساحلي من طرابلس أو برقة إلى طنجة بل إلى سبته" المحيط الأطلسي"

–وبهذا المدلول الواسع لكلمة إفريقية استعملت في كتابات المؤرخين والجغرافيين المسلمين مثل اليعقوبي وابن عبد الحكم والبكري وقال ابن عبد الحكم:" وكان مستقر سلطان إفريقية بمدينة يقال لها قرطاجنة" وكان عليها ملك يقال له جرجر[4]".

–أما البكري"5 هـ/ق11م" فيرى أن إفريقية تمتد من برقة إلى طنجة يقول:" وحد إفريقية طولها من برقة شرقا إلى طنجة الخضراء غربا[5]".

لأن إفريقش ابن أبرهة بن الراش غزا نحو الغرب حتى انتهى إلى طنجة في أرض البربر وهو الذي بنى إفريقية فسميت باسمه " البكري المغرب ص21".

[1] قال إبن خلدون:" وقد غزاه (المغرب) إفريقش بن ضبع الذي سميت به إفريقيا"ج6ص15، ص104.

[2] محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، مطبعة عيسى الحلبي وشركاؤه ط1 1384هـ/1964ج1ص6.

[3] أنظر إبن خلدون: العبرج6ص114-115"

[4] فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عاصر، لجنة البيان الرعبي1961ص264.

[5] المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، مكتبة المتنبي بغداد ص21.

– **أما في العصر الإسلامي:** فقد أطلق الفاتحون اسم المغرب في العهد الأول للهجرة ما كانت تدل عليه كلمة **إفريقية** وكان مصطلح **المغرب** منذ عصر الفتنة بين علي ومعاوية يدل على الجزء الغربي من الدولة الإسلامية ويشمل الشام ومصر وما اتصل بهما مقابل المشرق الذي يشمل العراق وإيران وما جاورهما، إذ جاء في ابن الأثير ما يؤكد هذه الحقيقة فقد ذكر بأن عليا بن أبي طالب أرسل إلى عامله في الكوفة يقول له:" تجهزوا إلى عدوكم من أهل المغرب[1]".وأرسل إلى ابن عباس في البصرة يقول فيها:"قد أجمعنا على المسير على عدونا من أهل المغرب".

واستمر هذا الاسم إلى القرن الرابع الهجري، فقد ذكر المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم في سياق حديثه عن منهجه في تأليف الكتاب والمصطلحات التي يستخدمها فيه مصطلح المغرب والغرب بقوله:" فإن قلنا المغرب فهو الإقليم فإن قلنا الغرب تبع ذلك مصر و الشام"[2].

– لقد سمى الفاتحون العرب المغرب بهذا الاسم لوقوعه غرب وطنهم جزيرة العرب، ثم بدأ يظهر تدريجيا التمايز بين أجزاء المغرب القريبة والبعيدة من المشرق، وهكذا ظهرت الأقاليم التالية باعتبار بعدها عن المشرق:

–**المغرب الأدنى:** هو مابين برقة (أو طرابلس) شرقا وبجاية غربا(إفريقية).

– **المغرب الأوسط:** أو الواسطة، من بجاية إلى نهر ملوية غربا.

– **المغرب الأقصى:** يمتد من ملوية شرقا إلى طنجة أو البحر المحيط غربا.

وهذا التقسيم استمر إلى القرن العاشر الهجري لما استولى الأتراك على المغرب الأدنى والأوسط فقسموهما تقسيما جديدا حسب الدول التي أنشأوها فيهما فانقسما إلى ليبيا وتونس و الجزائر كما هي إلى الآن.

أما الحدود الشمالية للمغرب الإسلامي فهي البحر الأبيض المتوسط بينما حدوده الجنوبية فهي الصحراء[3].

2– الجغرافيا الطبيعية لبلاد المغرب:

يتألف المغرب الكبير من أقطار موحدة جغرافيا، ساهمت في توحيده سياسيا وثقافيا إذ بقي يشكل وحدة عنها سكت رغم ما تعاقب عليه من الأحداث. قال ابن خلدون مؤكدا هذه الحقيقة:"المغرب

---

[1] الكامل في التاريخ ج3 ص399.

[2] المقدسي محمد بن أحمد بن أبي بكر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق عليه ووضع حواشيه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1424هـ/2002م ص 14.

[3] العبر، ج6، ص117.

قطر واحد مميز بين الأقطار"[1].

2-1 :الجبال:

الإرتباط الطبيعي الجغرافي يرجع قبل كل شيء إلى امتداد جبال الأطلس في قلب المغرب من أقصاه الغربي إلى أقصاه الشرقي (أي من المغرب الاقصى إلى تونس) في سلسلتين.

2-1-1-السلسلة الشمالية: أو الأطلس الشمالي تنقسم إلى قسمين:

ا-**جبال الريف:** تمتد من الشمال الغربي ابتداء من طنجة إلى الشرق بحذاء ساحل العدوة حتى مليلة، تتخذ شكل قو س يحتضن الساحل الشمالي من سبته ومليلة.

ب-الأطلس التلي: تمتد جباله من المحيط الأطلسي شمالي وادي سوس نحو الشمال الشرقي. وتمتاز هذه الجبال بارتفاعها وانحدارها الشديد نحو السواحل الشمالية، ونحو الأحواض الجنوبية المنعزلة بين الأطلس التلي والأطلس الصحراوي، وعلى الأخص في القسم الغربي من المغرب الأوسط، والجزء الشرقي من هذه الجبال أقل ارتفاعا وأكثر تقطعا، وتنتهي هذه الجبال شرقا بجبل خمير في تونس[2].

2-1-2- السلسلة الجنوبية: من جبال الأطلس فتمتد في جوف الصحراء من جنوب وادي سوس حيث تحمل جبال الأطلس الكبرى، وإلى جنوب هذه السلسلة سلسلة أخرى صغيرة يسميها ابن خلدون" جبال درن[3]" وتمتد جبال الأطلس الكبرى في موازاة جبال الأطلس التلي وتنتهي جنوبي تونس بجبال زغوان.

وجبال الأطلس الكبرى الصحراوي أكثر جبال الأطلس ارتفاعا ولا توجد بها ممرات تيسر الإتصال بين المغرب الأقصى والمغربين الأوسط والأدنى، ولذلك كان لهذه الجبال اثر كبير في العزلة التي فرضت على المغرب الأقصى، وتشتمل هذه السلسلة من الجبال على جبال القصور، وجبال العمور، وجبال أولاد نايل، جبال الزاب وجبال الأوراس.

2-2 :الهضاب:

وتنحصر بين هاتين السلسلتين الجبليتين هضاب يشتغل سكانها برعي الماشية، وأغلبها يقع مابين جبال الأطلس التلي والأطلس الصحراوي في المغرب الاوسط وتعرف الهضاب في المغرب الأوسط باسم " هضبة الشطوط"- أما هضاب الجنوب الغربي منها فأكثر ارتفاعا.

2-3: السهول:

---

[1] **العبر، ج6، ص114.**

[2] **السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبيرج2ص130.**

[3] **العبرج6ص117.**

تقع غالبا على ساحل المحيط الأطلسي وساحل العدوة والبحر المتوسط وأشهرها سهل شاوية ودكالة وعبدة بالمغرب الأقصى أما السهول الساحلية بالمغرب الأدنى فتكاد لا تذكر لضيقها، وذلك بسبب اقتراب الجبال من الساحل التونسي أما في المغرب الأوسط، ففيه سهول مثل سهل زيق بوهران، وسهل وادي شلف– سهل متيجة– سهل عنابة.

2-4: أثر طبيعة بلاد المغرب في المصائر التاريخية:

أ– إن الاتحاد العام لسلاسل الجبال في صفوف متوازية للساحل قد يسر سبل الاتصال بين شرق البلاد وغربها حتى بداية المغرب الأقصى، وفي الوقت نفسه أقامت الجبال حواجز منيعة بين الساحل وجوف البلاد، مما جعل بلاد المغرب بلادا مغلقة أمام التأثيرات الأوروبية بوجه خاص، وتقتصر هذه التأثيرات على المناطق الساحلية، إذ تقف أمامها جبال الأطلس التلي، أما التأثيرات ألإفريقية فحظها أكبر.

ب – كما أثرت هذه الطبيعة الجبلية على حضارة المغرب فإنها أثرت كذلك على سكان المغرب– فقد كان لغلبة الطابع الجبلي، وبعد المسافات بين المراكز العمرانية المختلفة وصعوبة السير والتحرك بين أطراف المغرب المختلفة أثر عميق في حياة السكان فقد طبعتهم بطابع الخشونة والشجاعة والجلد وحب القتال والاكتفاء بالغذاء الضروري، وأثرت **في أبدانهم فأكسبتها النحولة والضمور مع القدرة على الاحتمال والسير مسافات طويلة دون كلل ولا تعب.**

كذلك ألبستهم هذه البيئة الوعرة حدة الخلق والعناد والمقاومة، وهذا ما يفسر قيام السكان في العصور المختلفة بمقاومة الغازين والفاتحين، وبمساعدتهم الطبيعة على المقاومة إذ يتحصنون بفتح الجبال ثم يغيرون على الغازين والفاتحين في السهول والهضاب ثم يعودون إلى مناطقهم وهم أعراف الناس بمميزاتها.

هذا ماسمي" بنظرية البيئة وأثرها في الإنسان" وقد قال بها مؤرخون مثل ابن خلدون[1] وغيره.

إن هذه النظرية وإن أبدت نوعا من الاهتمام بالعلاقة الوطيدة بين الإنسان وبيئته يؤثر فيها وتؤثر فيه إلا أن الإنسان في الحقيقة يبقى هو الفاعل والبيئة هي المفعول بها، لذلك تبدو هذه النظرية على جانب من مجانبة الحق فابن خلدون يؤكدها، وهي نظرية كما قال:"أرنولد توينبي في كتابه "الفكر السياسي اليوناني من هوميروس إلى عصر هرقل"[2] " وكذلك في كتابه" مختصر دراسة للتاريخ"[3] أنها نظرية يونانية أخذها إبن خلدون اعتبارا من الفكر العلمي الذي كان سائدا في عهده وإن أبدى مطابقة رأيه

---

[1] ابن خلدون: المقدمة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ، لبنان، 1421هـ/2001م، ص 103.

[2] ص167-168.

[3] توينبي: مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، مصر، 2011م، ج1، ص 95 .

لها.

إن الإنسان له عقل يتصرف به ويستطيع التغلب على الظروف غير المواتية ويمكنه أن يتحول في أية بيئة إلى إنتاج الحضارة وصناعة الرقي قال الله تعالى﴿ ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[1].

3-الجغرافية السكانية لبلاد المغرب:

يوجد في المغرب الإسلامي سكان قدماء هم الأمازيغ" البربر" كما وجد معهم قبل الفتح الإسلامي طوائف أخرى هم:

3-1- الروم(البيزنطيون): طرؤا بعد الامازيغ.

3-2- الأفارق أو الأفارقة: وهم بقايا شعب قرطاجنة أو أخلاط من المستعمرين اللاتين والوطنيين الذين تأثروا بالحضارة الرومانية والبيزنطية. وكانوا يدينون بالطاعة والولاء لسادتهم البيزنطيين ويشتغلون لهم بالزراعة والصناعة، وعنهم أخذوا المسيحية[2].

3-3- الامازيغ(البربر): يقال أن البربر "Barbarie" اسم أطلقه الرومان على سكان المغرب[3] لأنهم كانوا يعتبرونهم أعاجم على حضارتهم. كما أطلقوا إسم البربر كذلك على جميع الشعوب سواهم(التي كانت مواطنها الأولى في شمالي شبه جزيرة الهند وسهول التركستان) والتي كانت تهاجم الإمبراطورية الرومانية الشرقية(البيزنطية) والإمبراطورية الرومانية الغربية ومنهم: الجرمان، وكانت أكثر القبائل عددا وأعظمها أثرا، ومن اشهر القبائل الجرمانية قبائل القوط الذين إنحدروا منذ أواسط القرن الثاني للميلاد من مساكنهم يوم ذاك على شواطئ نهر الفستولا(نهر بولونية، وتقوم عليه فرصوفيا عاصمة بولونيا) إلى سهول أوكرانية شمال البحر الأسود وانقسم القوط إلى قسمين:

أ- القوط الغربيون" ترفيغني"، سكان الغابات.

ب- القوط الشرقيون"غرويتونغي"، سكان السهول[4].

3-4- أصل الأمازيغ:

شعوب بلاد المغرب وهم السكان الأصليون وقد اختلف المؤرخون في إثبات وطنهم الأصلي"

قال ابن خلدون:" هذا الجيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم ملئوا البسائط والجبال من تلوله

---

[1] سورة الحجرات، آية 13.

[2] لقبال: المرجع السابق ص.

[3] فروخ: المرجع السابق ص40. والسيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبيرص133.

[4] فروخ/ المرجع السابق ص13-16.

وضواحيه وأمصاره"[1].

وقال ابن خلدون فيما بعد:" وأما إلى من يرجع نسبهم من الأمم الماضية فقد اختلف النسابون في ذلك اختلافا كثيرا وبحثوا فيه طويلا[2]"، ثم أتى بأكثر من عشرة 10 أماكن انطلقوا منها، ثم ختم ذلك بقوله:" والحق الذي لاينبغي التعويل على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح كما تقدم في أنساب الخليقة، وأن اسم أبيهم مازيغ، وأخوتهم أركيش وفلسطين إخوانهم بنو كسلوحيم بن مصرايم بن حام، وملكهم جالوت سمة معروفة له، وكانت بين فلسطين هؤلاء وبين بني إسرائيل بالشام حروب مذكورة، وكان بنو كنعان وواكر بيكيش شيعا لفلسطين فلا يقعن في وهمك غير هذا فهو الصحيح الذي لايعدل عنه[3]".

وإليك بعض مايزعم أنه وطنهم الأصلي:

- فرقة تقول إنهم إيجيون من سكان ضفاف بجر إيجة Egée وهو بحر الأرخبيل مثل" هيرودوس- ديدورالصقلي-بلوثارك[4]"
- فرقة تقول إتهم ساميون أنساب العرب.
- فرقة تقول إنهم حاميون: قيل من حصراييم بن حام وقيل من مازيغ بن كنعان بن حام.
- فرقة تقول إنهم من الفرس: وفارس قيل من سام وقيل من يافث. روى المؤرخ الروماني سالوستس Salluste عن كتب فينيقية.
- فرقة تقول أنهم من الهند: منها أستراليون من متقد من المؤرخين.
- فرقة تقول إنهم أخلاط من أصول: من العمالقة وهم ساميون ومن كنعان بن حام.

الخلاصة:

البربر حاميون من بربر بن تملاين مازيغ بن كنعان غبن حام بن نوح عليه السلام تنقل من الشام على إفريقية في أزمان قديمة جدا فصح أن ينسب هذا الوطن بهم.

- إشكالية التوظيف العرقي: إن هذه النظرة الضيقة والنعرة الجاهلية التي يحاول من خلالها زرع التفرقة والشقاق بين الناس وبين المجتمع الواحد وهم يحيون في هذه المعمورة لقرون طويلة، جاء الإسلام ليبين خطرها ويؤكد سمو العنصر الانساني دون النظر إلى موطنه.

---

[1] إبن خلدون: العبر ج6ص104.وقد حاول لقبال نفي هذا الإسم عنهم بكل ماأوتي من قوة بحث في كتابه دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري(11مـ) الشركة الوطنية للنشلر والتوزيع الجزائر 1979/ص132..

[2] العبرج6 ص107.

[3] العبر ج6 ص 113.

[4] الميلي: تاريخ الجزائر القديم والحيث ص82.

فقد صهر الإسلام أبناء الشعوب المختلفة التي اعتنقته في مبادئه السامية الراقية حينما يقرر من حقائق النفس الإنسانية قوله تعالى: ﴿ ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾، وقال أيضا ﴿ إنما المؤمنون إخوة" ﴾وقال: ﴿وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ وقال صلى الله عليه وسلم:" كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى".

وكل من يخالف هذه التعاليم الموحدة للشعوب على أساس العقيدة أمرؤ يحتاج إلى تربية سامية تخرجه من السلالة الحصانية إلى سمو الجنس الإنساني.

وقد تدخل الاستعمار لإنماء هذه الروح الجاهلية كسلاح داخلي يمكنه من تفريق جموع المسلمين وفك وحدتهم، وضرب قوتهم كي يتمكن من الانقضاض بسهولة عليهم وعلى بلادهم بعد السيطرة على عقولهم، وقد نجح للاسف في بعض الوقت، ولكن عموم الأمة تعرف أهدافه وأساليبه فهي متمسكة بالكتاب الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومتمسكة بالاخوة التي لاتعرف تحيزا باسم الجنس.

3-4- أقسام البربر:

ينقسم البربر إلى فرعين عظيمين[1]:

- **البرانس:** وهم أبناء برنس(يسكنون المدن).
- **البتر:** وهم أبناء مادغيس ويلقب بالأبتر(يسكن البادية).

وهما أخوان ومن نسل مازيغ بن كنعان ابن حام ابن نوح عليه السلام وقال ابن خلدون:

" وأماشعوب هذا الجيل وبطونهم فإن علماء النسب متفقون على أنهم يجمعهم جذمان عظيمان وهما برنس بن مادغيس، ويلقب مادغيس بالأبتر فلذلك يقال لشعوبه البتر ويقال لشعوب برنس البرانس[2].

أ- **البرانس:** تنقسم البرانس إلى سبع قبائل كبري وهي:

1- أزداجة2- مصمودة3-أوربة4- عسيجة5-كتامة6-صنهاجة7-أوريغة8-لمطة9-هسكورة10-خروبة.

ب - البتر: أما البتر فينقسمون إلى أربع قبائل هي :

1- ضريسة2- نفوسة3- اداسه4- بنو لواى أو لواته[3]".

---

[1] أنظر الإصطخري: المسالك والممالك ص36 وانظر توزيع القبائل البربرية والأولى والمغرب ص36 من المسالك والممالك للإصطخري.

[2] العبر ج6 ص 105.

[3] أنظر تفاصيل في كتاب العبر ج6 ص 105-106.

4- الإستعمارات المتعاقبة على بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي:

4-1- الدولة البونيقية:(814-146ق.م)[1]:

سمي الفينيقيون بهذا الإسم نسبة إلى وطنهم(فينيقيا) وهي قطعة من الشام على سيف البحر الأبيض المتوسط يفصلها عن بقية الشام جبل لبنان: وفينيقيا هي بلاد لبنان اليوم.

الفينيقيون أمة سامية من ولد كنعان بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام، فهم إخوة العرب وفرع منهم، كانوا في جزيرة العرب ثم انتقلوا إلى الشام منذ ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد.

- كان الفينيقيون متخصصين بالتجارة، وهم أول من بنى الأساطيل التجارية وغامر في البحار إلى البلاد النائية لذلك اتصلوا واتجهوا في تجارتهم إلى الحوض الشرقي من المتوسط فأسسوا مركزا في جزيرة قبرص وعلى ضفاف البحر الأسود وفي القفقاص، ثم نازلهم على الحوض الشرقي الإغريق فتراجعوا(الفينيقيون) واستولوا على الشواطئ الغربية للبحر المتوسط فاتصلوا بليبيا وشواطئ المغرب كلها فأسسوا فيها مراكز ومرافئ للتجارة والسفن، وبلغوا الأندلس وأنشأوا فيها مراكز تجارية، وأهم مراكزهم في المغرب الكبير: طرابلس، صبرة ، قابس، سوسة، هبون،صداي(بجاية)، طنجة، سلا، الدار البيضاء.

- اختلط الفينيقيون بالبربر وحسنت عشرتهم معهم.
- بناء مدينة قرطاجنة: تقع في الشمال الشرقي لمدينة تونس)10أميال.
- بنتها عليسة ابنة الملك(مطو) ملك"صور" عاصمة فينيقيا، ولما توفي أبوها وكانت قد تزوجت من الكاهن(هيرقليس) الذي يمتلك أمولا طائلة إعتلى أخوها بيغماليون العرش، فحرص على أخذ أموال الكاهن الذي كان قد خبأها في الأرض، فهجم عليه وقتله ففرت عليسة إلى قبرص ثم إلى المغرب وجعلته وطنها وبنت فيه مدينة قرطاجنة بعدما رحب بها ملك البربر" **يوباس**" وصارت منارا للعلم ومنبعا للحضارة وذلك سنة814ق.م وسموها" قرت حدشت" أي القرية الحديثة ثم تطور هذا الأسم وأصبح قرطاجنة.
- وكانت نشأة قرطاجنة في آخر القرن التاسع قبل الميلاد هي بداية نشأة الدولة البونيقية في إفريقية، ثم توسعت حدودهم إلى طبرقة وفي الشرق إلى سرت الأكبر، وفي الجنوب إلى قابس،
- وأصبحت قرطاجنة عاصمة الدولة البونيقية وامتدت حدودها إلى ساحل نوميديا وموريطانيا الشرقية والغربية إلى طنجة.

ثم بدأت الدولة البونيقية في الهرم نظرا لإنغماس أهلها في الشهوات وحب المال، فوهنت نفوسهم، وضعفت أخلاقهم وصاروا لايطيقون الحرب.

---

[1] **انظر تفاصيل ذلك في ، الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، 128-156. محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، عالم المعرفة، الجزائر،ط1، 1437هـ/ 2013م، ج1، ص 97-175.**

الحروب البونيقية:264-146م[1].

- **الحرب البونيقية الاولى:264ق.م ودامت إلى 241ق.م.** إستمرت 23سنة. تفوق الرومان فيها على البونيقيين وأرغموهم على الإنسحاب من صقلية كلها وألزموهم بدفع غرامة حربية.

- **الحرب البونيقية الثانية:218-201ق.م**

- تحرك حنبعل الفينيقي في محاولة لاسترجاع هيبة الدولة البونيقية وهجم على رومة وحاصرها ولكن الرومان استطاعوا التغلب عيه واستولوا على الأندلس سنة207ق.م وأخرجوا منها البونيقيين.

- ثم عزم سبيون الروماني) يود أن يناجز البونيقيين في قرطاجنة فاستمال مصينصا البربري، بينما كان صفاقص (الملك البربري) مع البونيقيين. وفي سنة 202ق.م دارت معركة بين حنبعل وسبيون وانتصر الرومان على البونيقيين 201ق.م ووقع الصلح بشروط عويضة.

الحرب البونيقية الثالثة:149-146ق.م

هاجم الرومان قرطاجنة فجهزت جيشا ب80ألف من المشاة و4آلاف فارس و150سفينة- وحاصرها لمدة ثلاث سنين وبدأت المدن القريبة منها في الاستسلام وفي سنة146ق.م دخلها ووقعت معارك طاحنة واحتلها(7أيام بلياليها) وحرقوها وهدموها فزالت الدولة البونيقية واحتل الومان إفريقية.

4-2- الإستعمار الروماني في المغرب(146ق.م-430م)[2]:

-أصل الرومان من اللاتين، وينسبون إلى عاصمتهم رومة فهي نواة دولتهم وسبب إتحادهم وموطنهم هو إيطاليا، ونشأت دولة الرومان سنة754ق.م بعد نشأة قرطاجنة بستين60عاما.

-كان استيلاء الرومان على إفريقية من المغرب في العهد الجمهوري سنة146ق.م وعلى نوميديا سنة46ق.م في آخر عمر الجمهوري أما موريطانيا الشرقية والعربية ونوميديا فإنها وإن خضعت لهم في سنة33ق.م فإنهم لم يحموها حكما مباشرا لنوميديا وإفريقيا إلا في سنة42م. وفي هذه السنة تم إستيلاء الرومان على الموريطانيين.

استولى الرومان على كل المدن والسهول وفي شمال المغرب.

وحتى بعض نقاط الصحراء الشمال الشرقس.

" وكان حد حكومة الرومان(بالمغرب) في القرن الأول للميلاد يمر شمال أوراس، ويجتاز سهول سطيف ومجانة وسور الغزلان ثم يتسع قليلا فيمر بالبرواقية وساحل شلف، ويجتاز وادي ميناس إلى

---

[1] **محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج1، ص163.**

[2] **انظر ، الميلي: مرجع سابق، ج1، ص 242-291. محمد علي دبوز: مرجع سابق، ج1، ص 361-417.**

ناحيـة غليـزان ووادي سـيك وفـي غـرب وهـران يقتـرب جـدا مـن البحر(تـاريخ الجزائـر للميلـي) ج1 ص 187.فيمر على الساحل وينتهي في مدينة ميلة ثم في ساحل المحيط الأطلسي من مضيق جبل طارق إلى سلا وطيحة.

-كان الرومان يسخرون البربر في العمل في أراضيهم وكان القانون الروماني يحرم على البربري أن يترك العمل أو يحتج على المعمر الروماني أو يطالب بالزيادة في الاجر وأصبح البربر بهذا عبيدا للرومان.

-ولذلك فقد كانت بين البربر والرومان ثورات:

-منها ثورة جبال أوراس سنة265م[1] .

-وثورة جبال القبائل سنة 288م.

-ثورة فرموس وجلدون إبنا نويال ملك جبال القبائل سنة 372م في جبال جرجرة فهجم على العاصمة الرومانية(قيصرية) شرشال وفشلت كلها[2].

- نهاية الرومان في المغرب:

كان الوندال قوة حربية كبرى في جنوب الأندلس، وفي سنة 439م زحف جنسريف الوندالي على إفريقية فملكها بمساعدة البربر الذين أرادوا التخلص من الرومان.

4-3- الإستعمار الوندالي في المغرب(430م-534م)[3]:

الوندال قوم من القوط وهم أبناء عمومة الجرمان نزحوا من شمال أوروبا فاستقروا في جنوب الأندلس فنسبت إسبانيا إليهم فسميت أندلوسية ثم سماها المسلمون الأندلس.

-استعان بهم والي المغرب ولكنهم استولوا على (ملك الوندال خسريف) على تونس سنة439م(إفريقية).أما الجبال والبوادي والصحراء فلم يكن لهم بها إحتلال.

ثورة الممالك البربرية على الوندال:

- ثورة مملكة جبال أوراس سنة477م وفي سنة484م - فيها أخذ ورد

-هجوم البزنطيين على الوندال.

كانت الدولة البزنطية تبحث عن سبب للهجوم على الوندال واسترجاع المغرب منهم. فأعلنوا الحرب على الوندال واحتلوا سوسه(حضر موت) وقضى على دولته سنة 534م.

4-4- الإستعمار البزنطي بالمغرب 534م-647م[1]:

---

[1] **محمد علي دبوز: مرجع سابق، ج1، ص 398.**

[2] **نفسه، ص 399.**

[3] **انظر، الميلي: مرجع سابق، ج1، ص 330-350. محمد علي دبوز: مرجع سابق، ج1، ص 421-433.**

الدولة البزنطية امتداد للدولة الرومانية فهي جزء منها لا يفرق بينها اختلاف العاصمة، فالدولة البزنطية كانت عاصمتها في المشرق لا في الغرب وسكان العاصمة ونواحيها أغلبهم من الإغريق لأمن اللاطين كما هو في رومة ونواحيها- وكان الذي انشأ هذه الدولة بتكوين عاصمة جديدة في المشرق للرومان هو قسطنطين الأكبر سنة330م.

وكانت روما في القرن الرابع قد دخلوا في شيخوختهم فكثرت أمراضهم النفسية وتوالت الفتن والمذابح في روما بسبب المنافسة على الرئاسة والتحاسد على المال والتعادي من اجل الدين إذ رحبيت الطبقة المتوسطة بالدين المسيحي بينما الطبقة الغنية الحاكمة وجمهور الدهماء والعامة لايزالون يناصبونه العداء، واضطهاد أصحابه وأتباعه وفي سنة324م تغلب قسطنطين على منافسيه في رئاسة الدولة فأصبح هو الإمبراطور الوحيد للدولة الرومانية بعد مناصرة المسيحيين له فتعاطف معهم دون أن يعتنق المسحية ولم يسمح بتعميده إى وهو على فراش الموت سنة337م

وكان قسطنطين غيورا على الدولة فأراد إصلاحها في روما فلم يسعفه الحظ، فعزم على إنشاء عاصمة تنسب إليه كما نسبت روما إلى روملوس والإسكندرية إلى الإسكندر، وذلك في الشرق فاختار بيزنطة التي تنسب إليها الدولة فجعلها عاصمته ونسبها إليه فسميت القسطنطينية وقد دام لها هذا الإسم إلى أن فتحها القائد محمد الفاتح سنة857هـ/1453م. فسماها إسلامبول(مدينة الإسلام) ثم غير هذا الاسم فصار اسطنبول.

وظلت بيزنطة هي العاصمة الكبرى للدولة الرومانية كلها في فقسمت بعد قسطنطين في سنة395م فصارت روما عاصمة القسم الغربي للدولة، والقسطنطينية هي عاصمة الجزء الشرقي، فاضمحل الجزء الغربي ومات وبقي الجزء الشرقي الذي صار العرب يسمون أهله(الروم). فثبت لهم هذا الاسم في التاريخ العربي وورد ذكره في القرآن الكريم.

وجاء بعد قسطنطين أباطرة منهم جستنيان الذي هادن الفرس بدفع11مليون من الفرنكان الفرنسية العالية ليتفرغ لحرب الوندال واسترجاع صقلية وسردابنة والمغرب منهم(ماكان للإمبراطورية الرومانية) وأعادوا احتلال قرطاجنة ونواحيها وبعض المراكز الحربية في شمال إفريقية، ولبدة في شرق طرابلس وقفصة في الجنوب الغربي لإفريقية وقرطة(سيرتا) في نوميديا وقيصرية(شرشال) في موريطانيا الشرقية ونسبته في موريطانيا الغربية في قصورها بالأسوار المنيعة وشحنوها بالجنود خوفا من ثورات البربر العارمة واستقر الروم كذلك في تبسة-تمقا-باغابة-قالمة-مدوروش، سطيف،ميلة،قرطنة(تنس).

ثورات الممالك البربرية على الروم[2]:

---

[1] **انظر تفاصيل ذلك في ، الميلي : مرجع سابق، ج1، ص 358-375. محمد علي دبوز: مرجع سابق، ج1، ص437-453.**

[2] **محمد علي دبوز: مرجع سابق، ج1، ص 447.**

هادن البربر أولا الروم ريثما يقضون على الوندال، وماكاد بليسير ينتهي من حروب الوندال ويرجع إلى صقلية سنة534م حتى ثار البربر على الوالي الرومي في إفريقية"صولومون"(أوسليمان الحضي كما يسميه العرب المؤرخون). واشتعلت الثورة على الروم في كل نواحي المغرب التي يوجدون فيها، وانقض البربر في سنة535م على المراكز الرومية في نوميديا، وموريطانيا الشرقية وفي إفريقية وكانت مملكة أوراس وملكها **بيداس** أكثر ثورات على الروم.

وكانت ثورات البربر كلها تحريرية، يقصدون بها غرضا وطنيا نبيلا وهو طرد المستعمرين من بلادهم.

زوال دولة الروم في المغرب[1]:

بعد وفاة الإمبراطور جستنيان سنة565م دخلت الدولة البيزنطية في هرمها فتقاتل أبناؤها على العرش وفي سنة602م ثار **فوقاص** على الإمبراطور موريس، فدخل القسطنطينية بجنده واستولى على العرش بعد أن قتله.

وكان الوالي من قبل الإمبراطور على إفريقية والمراكز الرومية في المغرب هو البطريق جرجير- والقائد العسكري هو هرقل، وكان لكل منها شيعة في القسطنطينية تؤيده وتعمل لرئاسته وكان كل منها يرنو لأن يعتلي عرش الإمبراطورية، ولما استولى فوقاص على العرش ثار عليه هرقل **سنة608م** فقطع عنه قمع المغرب وناصبه العداء، فأرسلت إليه شيعته ليحضر إلى القسطنطينية لينصبوه على العرش ولكبر سنه فقد أرسل إبنه(هرقل= نفس الإسم للأب)، فأقلع هرقل الشاب في الأسطول الحربي ومعه جيش، واستطاع أن ينتصر على **فوقاص** ويجلس على العرش فكان هو الإمبراطور.

-وكان جرجير يتميز غيضا لفوز منافسه فثار على الإمبراطور وقطع صلة المغرب بيزنطة وأنشأ دولة إفريقية شبا ح الحبه للرئاسة.

ولما **انفصل جرجير** عن الإمبراطورية وأصبح بين فكي شيعة هرقل في قرطاجنة والبربر المتربصون بأي ضعف، استمال البربر وأشركهم في الحكم فأنشأ دولة بربرية رومية في إفريقية ونقل عاصمتها إلى مناطق البربر وابتعد عن الساحل الذي يغزوه فيه هرقل فاختار **مدينة سبيطلة** الحصينة فجعلها عاصمته.

ودام ملكه حتى وفاته فخلفه إبنه **جرجير الثاني**، وواصل سياسة أبيه في الإحسان إلى البربر. وفي سنة27هـ قدم الفاتح **عبد الله بن سعد بن أبي سرح** فهزم الله جرجير في معركة فاصلة وفتح المسلمون مدينة سبيطلة فزالت دولة الروم من المغرب.

---

[1] **محمد علي دبوز: مرجع سابق، ج1، ص 451.**

ثانيا: مراحل فتح المغرب:

1- مرحلة الحرب الاستطلاعية(الغارات).

أ- حملة عمرو بن العاص: فتح برقة(22هـ).

ب- حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح: فتح سبيطلة(27هـ).

جـ - حملة معاوية بن حُدَيج السكوني: فتح سوسة و جلولاء (45هـ).

2- مرحلة الفتح الدائم(الإستقرار)

أ- ولاية عقبة بن نافع الأولى، وتأسيس مدينة القيروان(50هـ).

ب- ولاية أبي المهاجر دينار (55هـ).

جـ - ولاية عقبة بن نافع الثانية ، و الانسحاب المؤقت من القيروان(62-64هـ).

د- حملة زهير بن قيس و استرجاع القيروان (69هـ).

هـ - حملة حسان بن النعمان الأولى(74هـ).

و- حملة حسان بن النعمان الثانية(85.79هـ).

ز- حملة موسى بن نصير وعمليات إتمام فتح المغرب(86هـ).

1- مرحلة الحرب الاستطلاعية(الغارات)

أ- حملة عمرو بن العاص[1]:

ما إن وطئت أقدام المسلمين مصر[2] و تم طرد الغزاة البيزنطيين من ربوعها، حتى تبين لهم صعوبة المهمة التي ترتقبهم فيما يستقبل من الأيام، ذلك أن الخطر البيزنطي لم يولي ظهره للمسلمين بسهولة ويسر، بعدما استفاد من تجاربه معهم في الشام و مصر، فحاول تعزيز تواجده العسكري بشدة و حيطة أكثر على طول الساحل الغربي لمصر حتى أفريقيا، مستغلا تفوقه في الجانب البحري(الذي كان سببا سهل مهمة المسلمين في طرد الغزاة) إذ كان البيزنطيون يملكون أسطولا يجوب البحر المتوسط منفردا بمياهه دون خوف و لا وجل، في غياب دور للمسلمين فيه، وكانت مدن مثل **برقة و طرابلس** و غيرها تشكل خطوط القوة والدفاع المتقدمة، ومواقع إسناد وارتكاز أساسية للبيزنطيين، كما كانت **سبيطلة** المقر الأساسي للقيادة البيزنطية ولأهم قوة لها في أفريقيا، مع ما يتبع ذلك من تشكل تحالفات مصلحية مع بعض فئات البربر.

وقد أدرك المسلمون هذا التوجه و السلوك، فكانت رؤيتهم الإستراتيجية تهدف إلى إزالة النفوذ البيزنطي غرب مصر وإلى تفتيت أي تحالف موجود بينهم وبين البربر، حتى يتسنى للمسلمين دعوتهم ونشر الإسلام بينهم دون ضغوط خارجية.

ويجب التذكير هنا بأن المسلمين في عموم حركة الفتح كانوا على جانب كبير من الأخذ بتعاليم الإسلام فيما يتعلق بمواجهة العدو، إذ أنهم تميزوا عن غيرهم بأخلاق حربية راقية لم يستطع العالم في عصرنا الوصول إلى بعضها، فالمسلمون عموما ملتزمون بالوصايا العشر التي أوصى بها أبو بكر رضي الله عنه جيش الشام **بقوله:" لا تقتلن امرأة، ولا صبيا، ولا كبيرا هرما، و لا تقطعن شجرا مثمرا، و لا**

---

[1] عمرو بن العاص السهمي، داهية قريش، ورجل العالم، من يضرب به المثل في الفطنة، والدهاء، والحزم، هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم مسلما في أوائل سنة ثمان للهجرة(8هـ)، مرافقا لخالد بن الوليد، و حاجب الكعبة عثمان بن طلحة، ففرح النبي صلى الله عليه و سلم بقدومهم وإسلامهم . و أمَّر عمروا على بعض الجيش، وجهزه للغزو، ولاه النبي صلى الله عليه وسلم على جيش ذات السلاسل، شهد عمرو يوم اليرموك وأبلى يومئذ بلاء حسنا، ولاه عمر بن الخطاب فلسطين والأردن ثم كتب إليه عمر فسار إلى مصر وافتتحها، وافتتح الإسكندرية سنة 21هـ ، سكن مصر وبها مات، و ذلك سنة 43هـ وهو ابن بضع وثمانين سنة.

روى مجاهد عن الشعبي قال: دهاة العرب أربعة: معاوية، وعمرو، والمغيرة ،وزياد، فأما معاوية: فللأناة، وأما عمرو: فللمعضلات، والمغيرة: للمبادهة، وأما زياد: فللصغير والكبير. انظر: الذهبي سير أعلام النبلاء ،ج 3 ص345-357، ابن حجر: الإصابة، ج4 ص 650.

[2] فتحت مصر سنة 20هـ/ انظر، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، لبنان ، بيروت، ط1، 1413هـ/ 1992م، ج1، ص 25.

تخربن عامرا، ولا تعقرن شاة، ولا بعيرا إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلا، ولا تغرقنه،ولا تغلل، ولا تجبن"[1].

فبعدما تأكدت عملية فتح مصر سنة 20هـ واستقر المسلمون بها، **كان إذن من اللوازم العسكرية لقائد كبير مثل عمرو بن العاص أن يتنبه للمخاطر التي تحدق بالمسلمين في مصر من طرف البيزنطيين عن طريق برقة و اطرابلس**[(2)] .

فعزم على أخذ الحيطة، **و اتبع في ذلك طريقة السرايا والطلائع**، فكان يبعث بها لكشف المنطقة الغربية من مصر، و كان بالإضافة لهدفه الأول يرنو إلى الدعوة إلى دين الله، و كسب سكان تلك المناطق إلى حظيرة الإسلام، و استكمال عمليات الفتح، خاصة و أنه على دراية واسعة بأن البزنطنيين(الروم) يحتلونها و يعيثون في شعوبها فسادا، **و لذلك فقد بعث أول سرية بقيادة قريبه عقبة بن نافع[3] الفهري** إلى منطقة برقة ليستطلع المنطقة، فرجع إليه بأخبار سارة و مشجعة، ذلك ما يمكن استنتاجه من استكمال عمرو فتح برقة فيما بعد، و يبدو أن هذه السرية قد بعثها عمرو بن العاص بقيادة عقبة خلال سنة 21 هـ أي بعد فتح الإسكندرية[4].

- فتح برقة[5] سنة 22هـ[6]:

بعد رجوع عقبة بأخبار مشجعة، جهز عمرو بن العاص جيشا من الخيل و توجه نحو **برقة**، و كان يسكنها **البربر البتر**، و قبيلتهم في ذلك الوقت **لواتة**، و كانوا على عداء كبير مع البزنطنيين الذين أرهقوهم بالحكم الجائر، و الضرائب الكثيرة المتعسفة[7]، و يبدو أنهم قد وصلتهم أخبار المسلمين و ما يمتازون به من السماحة في نشر الإسلام، و العدل و الوفاء بالعهود، لذلك نراهم قد قدموا فروض الطاعة

---

[1] مالك بن أنس: الموطأ تحقيق طه عبد الرءوف سعد ، ط 1 1322هـ/2003م، ص 261.

[(2)] لأن برقة وأطرابلس كانتا رسميا تابعتين لمصر(البيزنطية) وانفصلتا عن و لاية أفريقية منذ عهد الإمبراطور البيزنطي موريس(582-662م) ولما ثارت الثورة في المغرب ضد الإمبراطور المغتصب فوكاس كانت برقة و اطرابلس في مقدمة الولايات المغربية التي آزرت جريجوريوس على الانفصال على الإمبراطورية البيزنطية ، ولذلك هب عمرو بن العاص لفتحهما تأمينا لحدود مصر الغربية من خطر الروم .أنظر:حسين مؤنس:فتح العرب للمغرب ص 50.

[(3)] ابن عذارى : البيان المغرب، ج1 ص 8، و ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية و تونس، مطبعة النهضة تونس 1350هـ، ص21.

[(4)] ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص 21..

[(5)] برقة، تسمى كذلك بنطابلس أو أنطابلس pentapolis خمس مدن " طوشيرا، قورين، رديرنيق، أبولونيا، يارش"، انظر: البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب ص 4، و انظر كذلك: ياقوت الحموي: معجم البلدان ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1410هـ/1990م، ج 1 ص 462" برقة : بفتح أوله و القاف"، و ص 315 عندما تحدث عن أنطابلس.

[(6)] ابن عذارى: المصدر السابق ج1 ص 8.

[(7)] عبد العزيز سالم: المغرب الكبير " العصر الاسلامي" ، دار النهضة العربية بيروت 1981م ص 143.

والولاء واستسلموا للمسلمين الفاتحين دون قتال، و صالحهم عمرو بن العاص نظير جزية يؤدونها إليه، وهي دينار على كل حالم[1]، و قد قدرها ابن عبد الحكم بثلاثة عشر ألف دينار، ويبيعوا من أحبوا من أبنائهم في جزيتهم[2] .

وجاء في شروط الصلح أن لا يدخل **برقة** جابي خراج، وإنما كانو يبعثون بالجزية إلى مصر إذا حان وقتها [3]، و لقد وفّى المسلمون بشروط الصلح، وتركوا فيها آ ثارا طيبة، من صدق الحديث، و الوفاء بالعهود، وصيانة الحرمات والممتلكات وعدم التعدي عليها، و لذلك فقد أسلم كثير منهم [4] بعد هذا الصلح، وبعد الذي رأوه من البون الشاسع بين ما كانوا يعاملون به من قساوة وفضاضة ووحشية من طرف الروم، وبين ما هم فيه من المعاملة الراقية من طرف المسلمين.

فتح أطرابُلُس[5]: بعد أن تم لعمرو فتح برقة، **اتجه سنة 23هـ لفتح أطرابلس** [6]تمهيدا للدخول إلى إفريقية، و كان الخطة تستلزم تجهيز جيشين:

أحدهما يسير بمحاذاة الساحل باتجاه أطرابلس.

والثاني يتجه نحو الجنوب في جوف البلاد حيث الواحات الداخلية التي يُخشى من خلالها أن تقطع خط الرجعة على المسلمين إذا تغلغلوا في الغرب باتجاه أطرابلس، لذلك عمد عمرو بن العاص **بالجيش الثاني لقائده عقبة بن نافع** الفهري فاتجه نحو واحة فزان فافتتحها، ثم واصل زحفه إلى زويلة[7]، وصار مابين برقة وزويلة للمسلمين"[8]، كما بعث كذلك القائد **بسر بن أبي أرطأة** إلى ودان فافتتحها[9].

---

[1]ابن عذاري: البيان المغرب ج1 ص8.

[2]ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص299، وانظر كذلك: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر بيروت، 1402هـ/1982م، ج3 ص 25. البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص5، وابن خلدون: العبر، ج2 ص548. وقد كان بيع الأولاد أمرا متعارف عليه في ذلك الزمن .

(3) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص230، و ياقوت الحموي: معجم البلدان ج1 ص463.

(4) ياقوت الحموي: المصدر السابق ، ج1 ص 463" مدينة برقة".

(5) أطرابلس بضم الباء الموحدة و اللام " مدينة في آخر أرض برقة وأول أرض أفريقية، أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان ج 1، ص 256-257، وتسمى tripolis " ثلاث مدن: لبدة، أويا، سبرت، وسماها اليونانيون طربليطة. البكري: المصدر السابق، ص6-7. وانظر كذلك مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1985م/1405هـ، ص110.

(6)البكري: المصدر السابق ص8.وابن عذاري: المصدر السابق ص8.وابن أبي الحكم: المصدر السابق ص 230.

(7) ابن عبد الحكم :المصدر السابق ص 230 ،البكري: المصدر السابق ص10. و زويلة من مدن فزان القديمة و تقع على بعد 770كلم جنوب شرق طرابلس. انظر، عبد العزيز سالم: المرجع السابق ص 144.

(8) ابن عبد الحكم :المصدر السابق ص 230 ،البكري: المصدر السابق ص10

(9)ابن عبد الحكم :المصدر السابق ص 262. ،البكري: المصدر السابق ص12. ابن أبي دينار: المؤنس، ص 21.

وفي هذه الأثناء اتجه **عمرو بن العاص إلى أطرابلس**، فبدأ بمدينة **سرت**(الساحلية) فاستولى عليها، ثم زحف إلى **لبدة**[1] فاستسلم قومها طائعين، ثم وصل إلى أطرابلس وكانت مدينة محصنة تحصينا جيدا، ومسوَّرة من أطرافها الثلاثة ما عدا جهة البحر الشمالية، و نزل عمرو بشرقيها، وحاصرها مدة شهر فلم يفلح في فتحها، ويقول البكري" وذكر الليث بن سعد قال: "غزا عمرو بن العاص مدينة أطرابلس سنة 23هـ حتى نزل القبة التي على الشرف من شرقيها، فحاصرها شهرا لا يقدر منهم على شيء فخرج رجل من بني مدلج ذات يوم من عسكر عمرو متصيدا في سبعة نفر فمضوا غربي المدينة فاشتد عليهم الحر فأخذوا راجعين على ضفة البحر، وكان البحر لاصقا بسور المدينة، ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور، وكانت سفن الروم شارعة في مرساها إلى بيوتهم، ففطن المد لجي وأصحابه، فإذا البحر قد غاض من ناحية المدينة، فدخلوا منه حتى أتوا من ناحية الكنيسة فكبروا، فلم يكن للروم مفزع إلا سفنهم وأقبل عمروا بجيشه حتى دخل عليهم فلم يفلت الروم إلا بما خف لهم في مراكبهم، وغنم عمروا ماكان في المدينة"[2].

ويروي ابن عذاري أن أهل أطرابلس استنجدوا **بقبيلة نفوسة لأنهم كانوا مثلهم على دين النصرانية**، وبعد انتهاء عمرو بن العاص من فتح اطرابلس إنتهز الفرصة وأسرع من ليلته بجريد من الخيل كثيف نحو مدينة سبرت فافتتحها واحتوى على ما فيها وذلك أنهم رأوا جيش المسلمين لم يستطع الدخول إلى أطرابلس لحصانتها فأمنوا وفتحوا أبوابهم لشرح ماشيتهم ولما كانت ليلة فتحها ولاشك أن عمرو كان له عيون ترصد له تحركات بسبرت فعاجلهم في تلك الليلة و فتحها و هم آمنون.

- استئذان عمرو بن العاص عمر بن الخطاب في غزوة إفريقية:

بعد ذلك و لعل جرجير قد علم ما يحدث للمدن المتاخمة له فحصن قلاعه، وأقام المحارس، والمسالح، والحاميات، للدفاع عن إفريقية، و يبدو أن عمرو قد رأى حصانة ما فعله جرجير فأراد أن يستأذن عمر بن الخطاب في غزوة إفريقية وكتب إليه يقول :" إن الله قد فتح علينا أطرابلس و ليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل"[3]، فرد عليه عمر بن الخطاب:" لا إنها ليست بإفريقية، و لكنها المفرقة، غادرة، مغدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت"[4]، وهذا النص يفهم منه ما لاقاه المسلمون من عنت في هذه المراحل الأولى من عملية الفتح و لم يرد عمر المغامرة بجيش المسلمين أكثر، وقد أورد ابن عذاري في ذلك قوله:" بعد فتح أطرابلس"، "كتب إلى أمير

---

(1) لبدة: مدينة بين برقة و أفريقية تقع على بعد 90 كلم شرق طرابلس ، انظر عبد العزيز سالم: المرجع السابق ص 145.

[2] البكري: المسالك و الممالك ج 2 ص 180.

(2) ابن عبد الحكم : فتوح مصر و المغرب ص232،و انظر كذلك ابن عذاري: البيان ص8.

(3) نفسه:ص232 انظر ابن عذاري: البيان ص8.

المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخبره بما أفاء الله عليه من النصر و الفتح، و أن ليس أمامه إلا إفريقية، و ملوكها كثير، و أهلها في عدد عظيم و أكثر ركوبهم الخيل، فأمر بالانصراف عنها"[1].

فاستجاب عمرو بن العاص لأمر الخليفة عمر بن الخطاب و قفل راجعا إلى مصر، و ترك قائده عقبة بن نافع على هذه البلاد ببرقة يدعو إلى الإسلام و نجح في ذلك أيما نجاح و دخل كثير من سكان البلاد من قبائل نفوسة ولواتة ونفزاوة وهوارة وزواغة إلى الاسلام **وأصبحت برقة قاعدة لجيش المسلمين.**

بعد رجوع عمرو بن العاص إلى الفسطاط ظل مقيما بها حتى استشهد الخليفة عمر بن الخطاب سنة 23هـ[2]، و خلفه عثمان بن عفان فكان ما بادر به أن عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وقلدها عبد الله بن سعد بن أبي سرح[3].

ب- حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح 27 هـ[4](فتح سبيطلة):

في سنة25هـ[5] عزل عثمان بن عفان عمرو بن العاص عن ولاية مصر وولّى مكانه عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخاه من الرضاع، فكان هذا الأخير "يبعث المسلمين في جرائد الخيل فيصيبون من افريقية و يكتب بذلك إلى عثمان"[6]، ولا شك أن التقارير التي كانت تصله كانت مشجعة لاستكمال عملية فتح المغرب و الاستمرار فيه، و كان عثمان بن عفان في حيرة من أمره بين أن يُنفِّذ رؤية الخليفة السابق عمر بن الخطاب في الإمساك عن غزو **إفريقية**، وبين هذه التقارير العسكرية التي تفيد في معظمها سهولة ويسر استكمال عملية الفتح عسكريا ودعويا، ولكن يبدو أنه كان أميل إلى الطرح الثاني، ذلك أنه كان يُقدِّر أن زمن عمر بن الخطاب كانت له ملابساته و ظروفه التي بنى عليها عمر تقديره بالامتناع عن غزو **إفريقية**، ولكنه الآن و في هذه اللحظة(27هـ)، و بعد مرور الوقت و تغير المعطيات الميدانية فلا مناص من استكمال الفتح، فاستشار الصحابة في ذلك، قال المالكي في كتابه" رياض

---

(1) ابن عذاري: البيان ص8.

(2) ابن أبي الحكم: فتوح مصر ص 233.

(3) هو أخ عثمان بن عفان من الرضاعة.

(4) عبد الله بن سعد بن أبي سرح

(5) اتفقت مجموعة من المصادر على هذا التاريخ منها: ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص 234، المالكي: رياض النفوس ج1 ص14، ابن عذاري : البيان المغرب ص8، أما ابن الأثير في الكامل ج3 ص 88 فقد جعلها سنة 27هـ، و الظاهر أن هذه السنة 27هـ هي السنة التي جهز فيها ابن أبي سرج جيشه إلى إفريقية.
أما ابن عبد الحكم فقد جاء في كتابه "فتوفي عمر رحمة الله عليه و على مصر أميران، عمرو بن العاص بأسفل الأرض و عبد الله بن سعد بن أبي سرح على الصعيد" . أما ابن خلدون فيجعلها في 26هـ ج2 ص 547.

(6) النويري: نهاية الأرب ج 24 ص 7 ، ابن عذاري: المصدر السابق ج1 ص 9.

النفوس":" قال المسور: خرجت من منزلي بليل طويل أريد المسجد، فإذا عثمان رضي الله تعالى عنه في مصلى النبي صلى الله عليه و سلم يصلي، فصليت خلفه، ثم جلس، فدعا ليلا طويلا، حتى أذن المؤذن، ثم قام منصرفا إلى بيته، فقمت في وجهه، فسلمت عليه، فقال: يا ابن محرمة،و اتكأ على يدي، إني استخرت الله في ليلتي هذه في بعث الجيوش إلى **افريقية**، و قد كتب إليَّ عبد الله بن سعد يخبر بخبره مع المسلمين، و غلبهم و قرب حوزهم من المسلمين ، فقلت: خار الله لأمير المؤمنين، قال: فما رأيك يا ابن محرمة؟، قلت: اغزوهم، قال: أجمع اليوم أكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم و أستشيرهم فما أجمعوا عليه فعلته، أو ما أجمع عليه أكثرهم فعلته، و لتكن أنت رسولي إليهم و احضر معهم"[1] .

وبعد استشارة جمع من الصحابة الذين أشاروا بإنفاذ الجيش، ندب عثمان إلى غزو **إفريقية**، فتوافد الناس و انضموا إلى الجيش،"و خرج معهم جماعة من الصحابة، منهم عبد الله بن الزبير و أبو ذر الغفاري، و عبد الله بن عباس، و المسور بن محرمة، و المقداد بن الأسود"[2]، و عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، و عبد الله بن عمر بن الخطاب، و عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، و عبيد الله بن عمر بن الخطاب، و عبد الرحمن بن صبيحة رضي الله عنهم.."[3] **و سمي هذا الجيش بجيش العبادلة**[4] **لكثرة فيه** من اسمه عبد الله.

وأمَّر عليهم الحارث بن الحكم، و خطب عثمان في الناس و رغبهم في الجهاد و قال لهم:" قد استعملت عليكم **الحارث بن الحكم** إلى أن تقدموا على عبد الله بن سعد فيكون الأمر إليه و استودعتكم الله"، " و ساروا حتى أتوا **مصر**"[5]و ذلك في محرم سنة 27هـ[6] ، و كان عثمان رضي الله تعالى عنه قد "أعان المسلمين في هذه الغزوة بألف بعير يحمل عليها ضعفاء الناس و فتح بيوت السلاح التي كانت للمسلمين"[7].

---

[1] المالكي: المصدر السابق ج1 ص14-15، و انظر كذلك مسألة استشارة عثمان في أمر غزوة إفريقية، النويري: المصدر السابق ج24 ص7، و ابن خلدون: العبرج2 ص548

[2]المالكي: المصدر السابق ج1 ص15.

[3] النويري: نهاية الأرب ج24 ص8.

[4] نفسه ص8

[5] النويري: المصدر السابق ج24 ص10، و انظر كذلك ابن عذاري: البيان ص 9، و انظر نص عبيد الله بن صالح بعنوان: نص جديد عن فتح العرب للمغرب، نشره الأستاذ ليفي برو فنسال بصحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد المجلد الثاني 1945م ص 215، نقلا عن: عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير ج2 ص156.

[6] المالكي: رياض النفوس ج1 ص 16، و النويري : المصدر السابق ج24 ص10، ابن عذاري: البيان ج1 ص8.

[7] ابن عذارى: البيان ج1 ص9.

وسار جيش المسلمين من **المدينـة المنورة** حتى وصل **مصر**، فضم إليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح جيوش **مصر**، و كان تعداد جيش المسلمين بقيادة سعد **عشرين ألفا**، واستخلف عبدُ الله بن سعد على **مصر** عقبةَ بن عامر الجهني، و عندما وصل جيش العبادلة إلى **برقـة** استقبله عقبة بن نافع الفهري فيمن معه من المسلمين، و استمر زحف الجيش الإسلامي فمرَّ على **اطرابلس** التي عادت و تحصنت من جديد، و نظرا لحصانتها لم يُعِد فتحَها عبدُ الله بن سعد، و واصل السير نحو **افريقيـة** وبعث السرايا في آفاقها فغنموا في كل وجه[1]، و كان **جرجيـر**أو الأجلّ[2] ، أو" جريجوريوس"أو " جرجيس" متحصنا في **سبيطلة**، فخرج لملاقاة المسلمين في جيش عدته **مائـة و عشرين ألف مقاتل**[3]، والتقى الجيشان بمكان قرب **سبيطلة**، و جرت بين المسلمين و بين جرجير أيام يدعو فيها المسلمون جرجير إلى الإسلام وهو يستطيل ويتجبر و يرفض ذلك رفضا قاطعا[4]، ودعاه المسلمون إلى الخراج من كل عام فقال:" لو سألتموني درهما واحدا لم أفعل"[5]، فعبأ عبدُ الله بن سعد جيشَه واجتمع الجيشان بمكان يسمى **عقوبـة** بالقرب من **سبيطلة** واستمر القتال أياما، وكان جرجير قد جعل لمن يقتل عبد الله بن سعد أن يتزوج ابنته و يأخذ كل ما معها من الخدم و المال، فلما سمع بذلك عبد الله بن سعد قال:" و حق محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يقتل أحد منكم جرجير إلا نفلته ابنته و ما معها"[6]، و لما طال الأمر على المسلمين أشار أحد الأقباط (من **مصر**)باستعمال كمين يمكنهم من الغلبة عليهم، وقد جاء في الكامل لابن الأثير، و نهاية الأرب للنويري أن الخطة كانت من تدبير عبد الله بن الزبير و كانت الضربة القاصمة لجيوش جرجير، إذ يورد أن عبد الله بن الزبير بعثه عثمان نجدة لعبد الله بن سعد رغم أن بعض المصادر تقول أنه خرج مع الجيش (جيش العبادلة)، قال عبد الله بن الزبير:"فرأيت عورة من جرجير و الناس على مصافهم، رأيته على برذون أشهب خلف أصحابه منقطعا عنهم، معه جاريتان له تظلانه من الشمس بريش الطواويس، فأتيت فسطاط عبد الله بن سعد فطلبت الإذن عليه، فقال لي حاجبه:" دعه فإنه يفكر في شأنكم، و لو اتجه له رأي لدعا بالناس"، فقلت:" إني محتاج إلى مذاكرته"، فقال له:" أمرني أن أحبس الناس عنه حتى يدعوني"،قال:"فدرت حتى كنت من وراء الفسطاط ، فرأى وجهي، فأومأ إليَّ أن

---

(1) ابن عذاري: المصدر السابق ج1 ص9 ابن خلدون: العبر ج2 ص548

2 الطبري: تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص597 .

(3) ابن عذاري: المصدر السابق ج1ص10، ببن خلدون : المصدر السابق ج2 ص548

(4) الدباغ: معالم الإيمان ص31، أما ابن خلدون فيقول" و دعوه إلى الإسلام أو الجزية فاستكبر" ج2ص548، و ابن الأثير: الكامل ج9 ص89

(5) النويري: المصدر السابق ج24 ص12، ابن الأثير: المصدر السابق ج3 ص89، المالكي: المصدر السابق ج1 صص17، الدباغ: المصدر السابق ص.31

(6) المالكي: رياض النفوس ج1 ص23.

"تعال" ، فدخلت عليه وهو مستلق على فراشه فقال:" ماجاء بك يابن الزبير؟"، فقلت:" رأيت عورة من عدوِّنا فرجوت أن تكون فرصة هيأها الله لنا،و خشيت الفوت"، فقام من فوره وخرج حتى رأى ما رأيت، فقال:"أيها الناس انتدبوا مع ابن الزبير إلى عدوكم"،فتسرع إليَّ جملة اخترت منهم ثلاثين فارسا، فقلت:" إني حامل فاصرفوا عن ظهري من أرادني، فإني سأكفيكم ما أمامي إن شاء الله"، فقال عبد الله :"فحملت في الوجه الذي هو فيه وذبَّ عني الناس الذين انتدبوا معي واتبعوني حتى فرقت صفوفهم إلى أرض خالية، فضاء بيني و بينهم، فوالله ما حسب إلاَّ أني رسول إليه حتى رأى ما بي من أثر السلاح فقدَّر أني هارب إليه، فلما أدركته طعنته فسقط، فرميت نفسي عليه و ألقت جاريته عليه أنفسهما فقطعت يد إحداهما، وأجهزت عليه، ورفعت رأسه على رمحي، وحال أصحابه وحمل المسلمون في ناحيتي وكبروا، فانهزم الروم وقتلهم المسلمون ورجالهم إلى **حصن سبيطلة** فمنعوهم من دخوله و كبهم المسلمون يمينا وشمالا في السهل و الوعر فقتلوا أنجادهم و فرسانهم، وأكثروا فيهم الأسرى، حتى لقد كنت أرى في موضع واحد أكثر من ألف أسير"[1].

وفتح عبد الله بن سعد حصن **سبيطلة**، وأصاب المسلون ذهبا وفضة " فجمع عبد الله بن سعد الغنائم وقسمها بعد أن خمسها فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار، وسهم الراجل ألف دينار"[2] ، ثم فتح **قرطاجنة** بعد حصار شديد[3]، ثم بعث عبد الله بن سعد السرايا والغارات من مدينة **سبيطلة** فبلغت خيوله إلى قصور **قفصة** فسبوا وغنموا.

ونتيجة للذعر والخوف الذي أصاب من بقي من الروم لجأوا إلى فحص **الأجم** (Thysderas) وهو من أعظم حصون **افريقية**، و اتفقوا مع عبد الله بن سعد أن يأخذ منهم" ثلاثمائة قنطار ذهبا" على أن يكف عنهم و يخرج من بلدهم ، فقبل ذلك منهم بعد امتناع، و قيل بأنه صالحهم على "ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف وقبض المال"[4]، ويبدو أن هذا المال هو قيمة قناطير الذهب السالفة الذكر.

وكان من آثار هذه المعركة ما وصفه صاحب البيان بقوله:" فأذلت هذه الوقعة الروم

---

[1] ابن عذاري:البيان ج1 ص10-11. وورد هذا النص ببعض الاختلاف في رياض النفوس ج 1 ص23-24.أما ابن الأثير في الكامل ج3 ص90، و النويري في نهاية الأرب ج24 ص 13-15، وابن خلدون في العبر ج 2 ص549، فيوردون قصة أخرى مفادها مفاجأة العدو بعدما ألف الفريقان القتال صباحا إلى الظهر ثم يخلدون إلى الراحة، فكان رأي عبد الله بن الزبير الذي جاء مددا أن يفاجئ العدو بجزء هام من الجيش مرتاح صبيحة كاملة فإذا جاء العدو للاستراحة عاجله المسلمون و هم في أوج نشاطهم، وبذلك استطاع عبد الله بن الزبير قتل جرجير.

[2] النويري :نهاية الأرب ج24 ص16، ابن عذاري: البيان ج2 ص12.

[3] ابن عذاري: المصدر السابق ج2 ص12.

[4] النويري : المصدر السابق ج24 ص16-17، و انالبلاذري: فتوح البلدان ص318 . الطبري:تاريخ الرسل و الملوك ج 2 ص 598 وزاد عليها عشرين ألف دينار.

بافريقية، ورعبوا رعبا شديدا"[1]، وأصبحت افريقية بعد هذه المعركة من أسمع أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك سلاما وطاعة"[2].

وبعث عبدُ الله بن سعد عبدَ الله بن الزبير بالفتح إلى **المدينة** و تلقاه عثمان بن عفان بالترحاب، وتركه يتحدث بجانب المنبر عن أحداث الفتح و كان عثمان على المنبر.

و**رجع عبدُ الله بن سعد إلى مصر "دون أن يتخذ بالمغرب قيروانا"[3] و لكنه "ضرب فسطاطا في موضع القيروان"[4]، وكانت مدة مقامه بإفريقية خمسة عشر شهرا[5]، و نقل الأنفال و الجيش في المراكب من أطرابلس نحو مصر.**

- الاحوال في المشرق بعد ذلك:

غزوة ذات الصواري(34هـ):

لما أصاب المسلمون من أهل **إفريقية** وقتلوهم وسبوهم، خرج قسطنطين بن هرقل في جمع لم يجمع له من قبل في خمس مائة مركب (و قيل ألف مركب)[6]، و خرج المسلمون وعلى البحر **(الإسكندرية)** عبد الله بن أبي سرح في "مائتي مركب وثيق[7]"، وكانت الريح على المسلمين لما شاهدوا الروم، فأرسى المسلمون و الروم، و سكنت الريح، فقال المسلمون الأمان بيننا و بينكم، فبات المسلمون ليلتهم يقرؤون القرآن و يصلون و يدعون، و بات الروم يضربون النواقيس، وقربوا من الغد سفنهم و المسلمون كذلك فربطوا بعضها مع بعض، و اقتتلوا بالسيوف و الخناجر، ثم أنزل الله نصره على المسلمين فانهزم قسطنطين جريحا، و لم ينج من الروم إلا الشريد، "و قيل بعث الله عليهم ريحا فأغرقتهم إلا قسطنطين نجا بمركبه، فألقته الريح بصقلية، فسألوه عن أمره فاخبرهم، فقالوا: شمَّتَّ النصرانية و أفنيت رجالها، لو دخل العرب علينا لم نجد من يردهم، فقال : خرجنا مقتدرين فأصابنا هذا، فصنعوا له الحمام، ودخلوا عليه فقال : تذهب رجالكم و تقتلون ملككم، قالوا: كأنه غرق معهم، ثم قتلوه، و خلوا من كان معه في المراكب"[8]، و أقام عبد الله بن سعد بذات الصواري أياما و رجع.

سنة 35هـ استشهد عثمان بن عفان رضي الله عنه واستخلفه علي بن أبي طالب رضي الله

---

[1] ج 1 ص12.

[2] الطبري:تاريخ الرسل و الملوك ج 2 ص 598.

[3] ابن عبد الحكم:فتوح مصر والمغرب ص246، البلاذري : المصدر السبق ص319.

[4] الطبري:تاريخ الرسل و الملوك ج 2 ص 597.

[5] النويري: المصدر السابق ص18، عند المالكي 14 شهرا،ج 1 ص27

[6] ابن عبدالحكم :المصدر السابق ج1ص255.

[7] نفسه ص256

[8] ابن عبد الحكم" فتوح مصرج1 ص258، و ابن الأثير: الكامل ج3ص117-119.

عنه.

سنة 36هـ عَزل عليٌ رضي الله عنه ابنَ أبي سرح عن **مصر** و أقام عليها قيس بن عبادة الأنصاري.

سنة 40 هـ كانت مهادنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وتوفي فيها علي رضي الله عنه وبويع لابنه الحسن بالخلافة.

سنة 41هـ تسليم الحسن رضي الله عنه الأمر لمعاوية رضي الله عنه (عام الجماعة).

سنة 43هـ[1] مات عمرو بن العاص **بمصر** يوم عيد الفطر, فذُكر انه عمل فيها لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أربع سنين، ولعثمان رضي الله أربع سنين، ولمعاوية سنتين إلا شهر[2].

جـ- حملة معاوية بن حديج إلى افريقية سنة 45هـ 666م.

بعد ما قتل المسلمون البطريق جريجويوس (جرجير) في **سبيطلة** أقام الأفارقة على أنفسهم بطريقا جديدا يقوم بشؤونهم **ويدعى جناديوس** الذي يذكره بعض المؤرخين العرب باسم **حباحبة**[3] أو **جناحة**[4]، وهو الذي عقد معه عبد الله بن سعد بن أبي سرح معاهدة الصلح[5] سنة 28هـ، وبعد غمرة الأحداث التي كانت تعيشها الخلافة الإسلامية في المشرق وبعد استتباب الأمر لمعاوية بن أبي سفيان سنة41هـ "واستوسقت المملكة له"[6] ،كان من الطبيعي أن يكون حازما في أمر المغرب واستكمال فتح ما تبقى منه، واستغل فرصة مجئ جناحة و استنجاده بجيش المسلمين وتحريضهم على الغارة على افريقية، ذلك أن جناحة كان القائم بأمر افريقية كما سبقت الإشارة إليه بعد جرجير, وهو الذي صالح المسلمين بقيادة ابن أبي سرح على ثلاثمائة قنطار ذهبا، ولما بلغ ذلك **هرقل** صاحب **القسطنطينية** بعث بطريقا إلى افريقية يقال له أوليمة [7]، وأمره أن يأخذ من أهلها ثلاثمائة قنطار ذهب، كما أخذها من قبل ابن أبي سرح, فأمرهم بذلك، فلم يلبوا له طلبه، وقالوا له:" إن الذي كان بأيدينا من الأموال, فدينا به أنفسنا من العرب, وأما الملك فهو سيدنا فيأخذ عادته منا"[8]، **وطرد** البطريق أوليمة جناحة[1] الذي سارع باتجاه

---

(1) البلاذري: فتوح البلدان ص320.

(2)ابن عذاري: المصدر السبق ج1 ص15.

(3) ابن عذاري، البيان ج1 ص16.

(4) النويري : نهاية الأرب ج24 ص19.

(5)البلاذري :فتوح البلدان ص268.

(6) ابن عذاري: المصدر السابق ج1ص15.

(7) ابن عذاري: المصدر السابق ج1ص17 النويري : المصدر السابق ج24 ص.18

(8) ابن عذاري المصدر السابق ج1 ص17 النويري: المصدر السابق ج24 ص18-19 وفيه" فهو سيدنا يأخذ منا كما كنا نعطيه في كل سنة "

الشام إلى معاوية ابن أبي سفيان فذكر له حال **افريقية**، وسأله أن يبعث معه جيشا لإنجاده من خصمه، فاهتبل(استغل) معاوية بن أبي سفيان هذه الفرصة، و سيَّر حملة بقيادة معاوية بن حديج، وذلك سنة 45هـ[2]، وكان تعداد الحملة عشرة ألاف مقاتل[3] وفيها من أشراف قريش و من صحابة الرسول صلى الله عليه و سلم، فكان فيها عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنه ، و عبد الملك بن مروان، ويحيى بن الحكم بن العاص، وغيرهم، فسار الجيش حتى وصل **افريقية** و"هي نار تضطرم"[4]، أما جناحه فقد هلك في الإسكندرية.

لما وصل ابن حديج إلى **إفريقية** نزل غربي **قمونية** [5] في سفح جبل ، فأصابهم مطر شديد فقال :"إن جبلنا هذا لممطور" فسمي الجبل ممطورا[6]، ثم قال:" اذهبوا بنا إلى ذلك القرن" فسمي أيضا القرن"[7]، وبعث ملك الروم بطريقا يقال له **نجفور(نقفور)(nicéphore)** في ثلاثين ألف مقاتل [(8)]، فنزل على ساحل البحر **بسوسة** (سنطبرية)، فبعث ابن حديج جيشين من موقعه في معسكره بالقرن: أحدهما بقيادة عبد الله بن الزبير ووجهته **سوسة**، والثاني بقيادة عبد الملك بن مروان ووجهته حصن **جلولاء**، فكان الجيش الأول مكونا من خيل كثيفة، وسار حتى نزل على شرف عال يُنظر منه إلى البحر، بينه وبين مدينة **سوسة** إثنا عشر ميلا، فلما بلغ ذلك نقفور أقلع في البحر منهزما من غير قتال، فأقبل ابن الزبير وفتح مدينة **سوسة** ورجع إلى ابن حديج في جبل القرن.

أما الجيش الثاني بقيادة عبد الملك بن مروان فاتجه في ألف فارس إلى مدينة **جالولاء (**

---

(1) ابن الأثير: الكامل ج3 ص92 ،ابن خلدون : العبر ج2 ص549.

(2) كانت ولاية معاوية بن حديج سنة 45هـ، انظر:ابن عذارى: المصدر السابق ج1 ص16، النويري، المصدر السابق ج24 ص18، أما المالكي فيجعلها سنة الغزو لإفريقيا، أما ابن عبد الحكم فيوضح أن لمعاوية ثلاث غزوات، الأولى في 34هـ، و الثانية في 40هـ، و الثالثة سنة 50هـ، فتوح مصر و المغرب ص261. أما ابن عذارى فقد ذكر أن لمعاوية بن حديج ثلاث غزوات الأولى سنة 34هـ، و هي أول غزواته إلى المغرب (ص14)، و الثانية سنة 41هـ، حيث نزل جبلا فيها فأصابه فيه مطر شديد فقال :" إن جبلنا هذا لممطور"فسمي البلد ممطورا إلى الآن، و قال :"اذهبوا بنا إلى ذلك القرن"فسمي ذلك الموضع"قرنا" (ص15)، و الثالثة سنة 45هـ (ص45هـ).

(3) ابن عذاري: المصدر السابق ص16.

(4) ابن الأثير: الكامل ج3 ص92، و ابن عذارى: البيان ج1 ص17"و قد صارت نارا"، و عند النويري: نهاية الأرب ج24 ص 19" و هي حرب و قد صارت نارا".

(5) حددها إبن عبد الحكم في البيان بأنها موضع مدينة القيروان ص261.

(6) النوري :نهاية الأرب ج24ص20

(7) نفسه

(8) إبن عذاري: المصدر السابق ج1ص17، النوري: المصدر السابق ج24ص،20، إبن الأثير:الكامل ج3ص92، ابن خلدون:العبرج2ص549.

gouloulis) وهي مدينة كبيرة تبعد عن القيروان بـ24 ميلا ويعرف موقعها اليوم بعين جلولا) فحاصرها أياما، فلما كان ذات يوم انصرف عبد الملك بن مروان ونسي قوسه معلقة بشجرة ، فرجع إليها ليأخذها وإذا بجانب المدينة قد انهدم، فصاح في إثر الناس، فرجعوا ودخلوا المدينة عنوة وأخذوا غنائمها[1] .

ثم مضى ابن حديج نحو الشمال وافتتح ثغر **بنـزرت** ثم جزيرة **جربـة** وغزا **صقلية** في مائتي مركب سنة 46هـ فغنموا وسبوا، وأقاموا بها شهرا ثم انصرفوا إلى **إفريقيـة** بغنائم كثيرة ورقيق وأصنام منظومة بالجوهر[2].

قال المالكي:" فلما وصلت الغنائم إلى معاوية بن أبي سفيان أعان معاوية بن حديج بجيوش الشام ومصر إلى **إفريقية** و ذلك سنة 50هـ ،فوصلوا إلى **إفريقية**، واحتفروا الآبار التي تسمى اليوم"آبار حديج" بباب **تونس**، وإنما احتفرها إذ كان عسكره هناك،وغزا **بنـزرت** ورجع إلى قمونية وبنى بناحية القرن مساكن وسماها **قيروانـا**، ثم رحل إبن حديج من **إفريقيـة** إلى معاوية بن أبي سفيان، فدفع الغنائم إليه، فعزله معاوية عن مصر "[3] .

ويؤكد ابن الأثير أنه بعد حملة ابن حديج، استقامت **إفريقية** بقوله:" ثم لم يزل أهل **إفريقيـة** من أطوع أهل البلدان وأسمعهم، إلى زمان هشام بن عبد الملك(105-125هـ)"[4].

وفي سنة 50هـ عَزل معاويةُ بن أبي سفيان معاويةَ بن حديج عن مصر [5]، وقيل أفرد معاوية **إفريقية** عن مصر واستعمل عليها عقبة بن نافع[6].

نتائج حملة معاوية بن حديج:

من أهم نتائج حملة معاوية بن حديج:

- التفكير في في الاستقرار، وذلك ببناء نواة لمدينة القيروان التي جاءت من بعد.

-إخلاد الناس إلى الراحة والهدوء، وانقيادهم وطواعيتهم إلى السلطة، حتى عصر الخليفة هشام، الذي ظهرت في عصره ببلاد المغرب الحركات الخارجية، بتأثير سياسة ولاة بني أمية، وهجران أهل هذه النحلة إلى المغرب، ذلك ما يمكن استنتاجه من قول ابن الأثير"فسكن الناس، وأطاعوا، وعادوا إلى مصر، ثم لم يزل أهل **إفريقية** من أطوع أهل البلدان وأسمعهم، إلى زمن هشام حتى دب إليهم أهل العراق"[7].

---

(1) البكري: المغرب32، إبن خلدون : المصدر السابق ج2ص549.

(2) إبن عذاري : المصدر السابق ج1ص17.

(3) المالكي: رياض النفوس ج1ص30.

(4) إبن الأثير:الكامل ج3ص92.

(5) المالكي: المصدر السابق ج1ص30.

(6) إبن الأثير: المصدر السابق ج3ص465 وانظر كذلك إبن عذاري : البيان ج1ص21.

(7) ابن الأثير: المصدر السابق ج3 ص92.

– التأكيد على أن **إفريقية** أصبحت في عداد الأقاليم المفتوحة.

–إعطاء إشارة واضحة للروم بأنه لم يبق لهم وجود، وأنه يتحتم عليهم مغادرة **إفريقيا** إلى الأبد.

– تسهيل وتيسير عملية استكمال الفتح، التي انتقلت من " **إفريقية** المفرقة، الغادرة والمغدور بها،" إلى "إفريقية السهلة، الطائعة للمسلمين الفاتحين".

– تعرف الفاتحين على أرجاء **إفريقية** معرفة تكاد تكون تامة.

إن هذه الحملات الثلاث التي بدأت منذ سنة21هـ إلى سنة50هـ كانت متميزة بثلاث صفات:

1– الكشف والتعرف على هوامش الإقليم و مسالكه.

2– التعرف على السكان و دعوتهم إلى الإسلام و نشره بينهم.

3– الرجوع بعد الغارات إلى **برقة** أو **الفسطاط** أو **الشام**، والاكتفاء بما حصلوا عليه من معلومات ومغانم وأسلاب، ولا شك أن الذي جاء بعد هذه المرحلة وهو عقبة بن نافع وغيره، قد استفادوا من هذه المعطيات، و بدءوا في التخطيط الجدي لعمليات الفتح الدائم، والاستقرار التام في هذه الأقاليم.

2– مرحلة الفتح الدائم للمغرب "الاستقرار":

أ– ولاية عقبة بن نافع"الأولى" وتأسيس مدينة القيروان(50هـ):

كان عقبة بن نافع القرشي الفهري الصحابي المولد أعرف **بإفريقية** و بلاد المغرب منذ سنة 22هـ، فقد كان مجاهدا مرابطا و داعية للإسلام" و كان ذا شجاعة و حزم و ديانة"[1]، و كان مقيما **ببرقة** و **زويلة** منذ فتحها أيام عمرو بن العاص"[2] ، و يروي ابن الأثير في الكامل بأن عقبة قد اضطلع بعمليات الفتح في **إفريقية** قبل سنة 50هـ، فقال:" و في هذه السنة (41هـ) استعمل عمرو بن العاص عقبة بن نافع بن عبد قيس و هو ابن خالة عمرو على **إفريقية**، فانتهى إلى لواتة و مزاتة، فأطاعوا ثم كفروا، فغزاهم من سنته(41هـ) فقتل و سبى، ثم افتتح في سنة (42هـ) **غدامس**، فقتل و سبى، و فتح في سنة (43هـ) كورا من كور السودان،و افتتح **ودّان**، و هي من **برقة** ، و افتتح عامة بلاد بربر"[3].

ويذكر ابن عبد الحكم أن عقبة بن نافع خرج إلى المغرب بعد معاوية بن حديج سنة (46هـ) و معه بسر بن أبي أرطأة، و شريك بن سُمى المرادي، ففتح **مَغْدَاس** من **سُرت**، ثم اتجه في 400فارس و 400 بعير و 800 قربة، ففتح وُدّان (إعادة فتحها)، ثم **جرمة**، و هي مدينة **فزان** العظمى، ثم قصور فزان، فافتتحها قطرا قطرا،ثم قصور **كوّار** فافتتحها، حتى انتهى إلى أقصاها، ثم انصرف راجعا، و أقام

---

(1) الذهبي: سير أعلام النبلاءج3 ص630

(2) ابن الأثير:الكامل ج3 ص465، و النويري: نهاية الأرب ج24 ص21.

(3) ابن الأثير: المصدر السابق ج3 ص419.

بمكان اسمه اليوم ماء فرس[1]، ثم سار فمر على موضع زويلة(عاصمة فزان من ليبيا)، ثم رجع إلى معسكره **بسرت**، ثم سار متوجها إلى **المغرب**، و جانب الطريق الأعظم، و افتتح أرض **مزاتة**، و قصورها، و **غدامس**، ثم **قفصة**، و **قصطيلية**[2]، و وصل أخيرا إلى القيروان[3].

ويذكر أن مقام عقبة في مدينة برقة و زويلة تلك السنوات الطوال كان له أهمية كبرى من الناحية الدعوية و نشر الإسلام ، فقد عمل عقبة على إرساء قواعد الدعوة إلى الله، و كان ذا دين وخلق كريم، فدخل البربر في دين الله أفواجا، و أصبحت برقة خاصة قاعدة للمسلمين، قال ابن الأثير مشيرا إلى ذلك:"و له في تلك البلاد جهاد و فتوح[...]فدخل إفريقية و انضاف إليه من أسلم من البربر فكثر جمعه"[4].

ويبدو أن نشاط عقبة المكثف من ناحيتي الدعوة والفتوح قد نبه الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى استعماله بدلا من معاوية بن حديج وذلك سنة50هـ.

سير معاوية بن أبي سفيان إلى عقبة عشرة آلاف فارس من المسلمين، و ضم إليهم عقبة من أسلم من البربر وسار بهم مجانبا " الطريق الأعظم"[5]،فاتجه بهم جنوبا مبتعدا عن الساحل الذي يحوي حصونا ومحارس رومانية، وأراد أن يباغت بذلك أهل **إفريقية** قادما من داخل الصحراء، و فعلا وصل **إفريقية** فافتتحها،" وأفنى من بها من النصارى"[6] .

والظاهر أن **إفريقية** كانت تضمر الغدر والشر للمسلمين، فكانت إذا دخلها المسلمون تظاهروا بالإسلام وإذا غادروها رجعوا إلى الكفر ومساعدة الروم، لذلك كان فعل عقبة بهم أن وضع السيف فيهم وأبادهم.

- بناء مدينة القيروان:

رأى عقبة بن نافع أن من أسباب فشل استمرار الحملات السابقة أنه لم يكن ثمة مستقر

---

[1] "لم يكن في هذا المكان ماء فأصابهم عطش شديد و أشفى (أشرف)منه عقبة بن نافع و أصحابه على الموت، فصلى عقبة ركعتين و دعا الله عز و جل فجعل فرس عقبة يبحث بيديه في الأرض حتى كشف عن صفاه فانفجر منها الماء فجعل الفرس يمص ذلك الماء، فأبصره عقبة فنادى في الناس أن احفروا فحفروا سبعين حسيا فشربوا و استقوا فسمي لذلك ماء فرس" ابن عبد الحكم : فتوح مصر264، مجهول: الاستبصار ص 146-147.

[2] قسطيلية:"قطر كبير فيه مدن كثيرة قاعدتها توزر كلاها الله(من بلاد الجريد=لكثرة النخيل بها) ومن مدنها نفطة و تقيوس و الحامة.انظر:مجهول: المصدر السابق ر ص155-156 .

[3] ابن عبد الحكم:فتوح مصر والمغرب ص262-264 بتصرف كثير.

[4]ابن الأثير: المصدر السابق ج3 ص465.

[5] ابن عبد الحكم: فتوح مصرو المغرب ص264.

[6] البكري:المغرب ص . مجهول: الإستبصار ص113. ابن عذاري: البيان ج1 ص 19.

للجيوش تهنأ فيه وترتاح بعد الجهاد، وتعيد النَّفس، وتأمن هجوم البربر أو الروم ، وتستعيد القوى، وأن رجوع الجيوش إلى مصر أو الشام كان من أهم أسباب ارتداد البربر القريبي عهد بالإسلام لذا فقد قال :"**إن إفريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر**"[1].

وبعد هذا الرأي الصريح من عقبة في الاستقرار، أشار عليه بعض أصحابه أن تكون يستجيب بناء المدينة للاحتياجات الامنية العسكرية والاقتصادية والدعوية وأن تكون قريبة من الساحل، ولكن عقبة ذكّرهم بأن وقوعها في الساحل تكون سهلة الغارة عليها من طرف الروم من جانب البحر، لذلك اقترح أن تكون بعيدة عن الساحل بالقدر الذي يمكّن الجنود من الاستعداد التام لهجمات الروم إن طرقوها في أي وقت، كما أشار عليهم أن تكون في موقع يقترب من مراعي الإبل والخيل.

وُفِق عقبة في هذه النظرة أيما توفيق، ذلك أن بعد نظره في مستقبل المدينة العسكري والثقافي، وما يكتنفه من لوازم الحياة والاستقرار للجيش ولجموع المسلمين وللدعوة الإسلامية التي بنيت ركيزتها الدائمة ببناء هذه المدينة، كل ذلك كان استشرافا لمستقبل هذه المدينة التي كانت فيما بعد قاعدة للفتح الإسلامي بشقيه العسكري و الثقافي، قال ابن عذاري:" فاتفق الناس على ذلك، و أن يكون أهلها مرابطين، و قالوا :" نقرُب من البحر ليتم لنا الجهاد و الرباط"، فقال عقبة: "إني أخاف أن يطرقها صاحب **القسطنطينية** بغتة، فيملكها، و لكن اجعلوا بينها و بين البحر ما لا يُدركها صاحب البحر، إلا و قد عُلّم به، و إذا كان بينها و بين البحر ما لا يوجب فيه التقصير للصلاة فهم مرابطون"، فلما اتفق رأيهم على ذلك قال :" قرّبوها من السَّبخة، فإن دوابكم الإبل وهي التي تحمل أثقالكم، وإذا فرغنا منها لم يكن لنا بد من الغزو والجهاد، حتى يفتح الله لنا منها الأول فالأول، وتكون إبلنا على قصرنا في مراعيها آمنة من عادية البربر والنصارى"[2].

البناء :

نظر عقبة إلى المكان الذي بنى فيه معاوية بن حديج **القيروان** فلم يعجبه[3] ، فركب و معه

---

[1] ابن عذاري: المصدر السابق ج1 ص19، النويري:نهاية الأرب ج24 ص22،مجهول: المصدر السابق رص113، ابن الأثير : الكامل ج3 ص 465،أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر المشهور بتاريخ أبي الفداء ، دارالكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1417هـ/1997م ج1 ص 260. و جاء في معالم الإيمان للدباغ ص 7 قول عقبة:"إن افريقية إذا دخلها أمير تحرَّم أهلها بالإسلام، فإذا خرج منها رجعوا إلى الكفر،وإني أرى أن أتخذ بها مدينة نجعلها معسكرا و قيروانا تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر". قيل القيروان=هي موضع اجتماع الناس و الجيش ، وقيل محط أثقال الجيش.

[2] ابن عذاري: البيان ج1 ص19-20.مجهول: الاستنصار ص113-114

[3] ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص264.

الناس حتى أتوا موضع **القيروان** اليوم، و كان واديا كثير الشجر كثير القطف تأوي إليه الوحوش و السباع و الهوام، فقال بعض الجند:"إنك أمرتنا بالبناء في شعار و غياض لا تُسلك و لا تُرام، و نحن نخاف من السباع و الحيات و غير ذلك من خشاش الأرض"[1]، فقام عقبة و دعا الله عز و جل و كان مستجاب الدعوة[2]، "و كان في عسكره ثمانية عشر رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم، و سائرهم من التابعين"[3]، ثم نادى:" أيتها الحيات و السباع، إنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم،ارحلوا عنا فإنا نازلون، و من وجدناه بعد ذلك قتلناه"[4]، و يروي ابن عذاري و عضده في ذلك ابن الأثير، أنهم رأوا "السباع تخرج من الشعرى وهي تحمل أشبالها سمعا وطاعة، والذئب يحمل جروه، والحية تحمل أولادها" ونادى في الناس" كفوا عنهم حتى يرحلوا عنها"[5].

شرع عقبة بعد ثلاثة أيام من دعوته فأضرم النار في الغابة ،حتى تيسرت لعملية البناء، وركز رمحه و قال :"هذا قيروانكم"[6] ، و بدأ في بناء المدينة و كان أول ما بناه دار الإمارة، ثم المسجد الأعظم[7]، ثم بنى الناس مساكنهم، و كان دورها ثلاثة ألاف باع و ستمائة باع(3600)، بينما ذكر ابن عذاري أن دورها ثلاثة عشر ألف ذراع و ستمائة ذراع(13600) أي ما يعادل سبعة ألاف و خمسمائة متر(7500)، والظاهر أن ما نقله ابن عذاري يبدو أنه كان ينقل عن ابن الأثير أو عن مصدر نقل عنه ابن الأثير بيد أنه أخطأ فأضاف رقم (1) الذي يشكل عشرات الآلاف و بقي 3600 ذراع في كلا المصدرين صحيحا، مما يرجح أن دورها ما ذكره ابن الأثير و هو 3600 ذراع أي حوالي ألف وثمانمائة متر(1800م)، و هو تقدري طبيعي جدا لبناء مدينة في مرحلتها الأولى.

و أثناء بناء المسجد الجامع، حرص المسلمون على أن يتم ضبط قبلته ضبطا دقيقا لأنه سيكون

---

(1) النويري: نهاية الأرب ج24 ص22، ابن عذاري: المصدر السابق ج1 ص20.

(2) ابن الأثير: الكامل ج3 ص466.

(3) ابن عذارى: المصدر السابق ج1ص20.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق ج3 ص466، و ابن عذاري: المصدر السابق ج1 ص20 (مع اختلاف يسير بينه و بين الكامل).

(5) ابن عذاري: المصدر السابق ج1 ص20، و ابن الأثير: المصدر السابق ج3 ص466، و انظر البلاذري: فتوح البلدان ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع و عمر أنيس الطباع، دار النشر للحامعيين، 1377هـ/1957م،ص320.

أمل الذهبي: سير أعلام النبلاء ج3 ص630 فيقول:" و كان الموضع غيضة لا يرام م نالسباع و الأفاعي، فدعا عليها ، فلم يبق فيها شيء و هربوا حتى إن الوحوش لتحمل اولادها"، و قال أيضا:" يا أهل الوادي إنا حالّون إن شاء الله فاظعنوا ثلاث مرات، فما رأينا حجرا و لا شجرا إلا يخرج من تحته دابة حتى مبطن بطن الوادي، ثم قال للناس: انزلوا بسم الله "ج3 ص631.

(6) ابن عبد الحكم: فتوح ص265.

(7) ابن عذاري: البيان ج1 ص20، و ابن الأثير: الكامل ج3 ص466.

المعلم الذي يقيس عليه المسلمون قبلتهم فيما بعد، و قالوا:" إن جميع أهل المغرب يضعون قبلتهم على قبلة هذا المسجد فاجهد نفسك في تقويمها" فأقاموا أياما ينظرون إلى مطالع الشتاء و الصيف من النجوم و مشارق الشمس فلما رأى أمرهم قد اختلف بات مغموما، فدعا الله عزّ و جلّ أن يفرج عنه فأتاه آت في منامه فقال له:"إذا أصبحت فخذ اللواء في يد و اجعله على عنقك فإنك تسمع بين يديك تكبيرا لا يسمعه أحد من المسلمين غيرك، فانظر الموضع الذي يقطع عنك فيه التكبير فهو قبلتك و محرابك"[1] ، ففعل عقبة ذلك، و يبدو أن هذه القصة مصطنعة و تنم عن محاولة إضفاء طابع القداسة على عقبة، و هو أمر يبدو فيه كثير من الإسفاف بالعقول ، إذ من غير المعقول البتة أن يأخذ عقبة برأي من منامه و يترك الحرص على التقدير الفلكي الحقيقي للقبلة التي هي مدار ركن من أعظم أركان الإسلام و هي الصلاة، و لكننا نعتقد أن عقبة اجتهد غاية الاجتهاد في تحديد جهة القبلة، و كانت دقيقة بحيث " اقتدى به جميع مساجد المغرب"[2].

ثم أقبل الناس على بناء الدور و المساكن و المساجد، و عمرت **القيروان**، و انتقل إليها الناس من كل أفق، وأصبحت مدينة من المدن العامرة، و تم بناؤها سنة خمس و خمسين للهجرة **(55هـ)**[3] في خلال أربعة أعوام من سنة 51هـ إلى 55هـ.

وكان عقبة خلال سنوات عمارة المدينة " يغزو و يرسل السرايا، فتغير وتنهب "[4] ، ولم يكن قصده في ذلك مزيدا من الفتح العسكري، و إنما أراد أن يحقق هدفين لازمين لهذه الفترة، **أولهما:** إشغال جنده بما هو ألزم لهم كجند، من الاستمرار في نشاطهم العسكري، حتى لا تركن أنفسهم للدعة والراحة، ويكونوا بذلك على استعداد دائم لكل خطر قد يهدد المدينة الجديدة التي هي في طور البناء، **ثانيهما:** إرسال إشارات رادعة، تنبه كل من يريد الشغب على المسلمين في مدينتهم الفتية بأن عقبة و جنوده لا يفتئون جنودا أشداء، أقوياء، يصولون و يجولون في كل مكان، حتى وإن بنوا ديارا للراحة.

- نتائج حملة عقبة بن نافع الأولى(نتائج بناء قاعدة القيروان):

لا شك أن العمل الذي أقدم عليه عقبة بن نافع ببنائه لمدينة **القيروان** يُعدُّ أهم حدث في تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب قاطبة، ذلك أنه أرسى قواعد الفتح الدائم، فقد كوَّن" نواة لولاية جديدة"[5] ، تحمل على كاهلها مستقبل الفتح في باقي أرجاء المغرب و الأندلس، و إذا كان جيش الفتح قبل بناء **القيروان** لا يملك"قاعدة ارتكاز" يرجع إليها و يطمئن فيها، فإنه بعد بناء **القيروان** صار للمسلمين مقرا

---

(1) ابن عذاري: المصدر السابق ج1 ص20-21 و الدباغ: معالم ص9، مجهول: الاستنصار ص114.

(2) الدباغ: المصدر السابق ص9.

(3) ابن الأثير: المصدر السابق ج3 ص466، و النويري: نهاية الأرب ج24 ص24.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق ج3 ص466.

(5) لقبال موسى : المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج ص33.

يأمنون فيه، و يغيرون منه، و يرجعون إليه، و ينشرون من خلاله نور الإسلام، و لقد أبان ابن الأثير عن نتائج بناء مدينة **القيروان** بعبارات دقيقة عندما قال:" و دخل كثير من البربر في الإسلام، و اتسعت خطة المسلمين، و قوي جنان من هناك من الجنود بمدينة **القيروان**، و أمنوا و اطمأنوا على المقام، فثبت الإسلام فيها"[1].

و يمكن إجمال نتائج حملة عقبة بن نافع الأولى و بناء قاعدة القيروان فيما يلي:

– زوال الخوف على الأهل و المال اللذين كانا على مسافة بعيدة من الجنود، بعد أن صاروا معهم في مدينتهم الجديدة، و ما ترتب عن ذلك من قوة في العزيمة، و روح معنوية عالية، عبر عنها ابن الأثير بقوله:" و قوي جنان (قلوب) من هناك".

– الأمان و الاطمئنان الذي شعر به الجنود المسلون، إذ أن مدينتهم في هذه المرحلة أصبحت " معسكرا للجند و لذويهم، و مستودعا لذخائرهم، و حرزا يقيهم ثورات السكان"[2] ، و صاروا أبناء المنطقة منذ ذلك الحين.

– اعتناق البربر للإسلام، و ذلك بمجاورة المسلمين في مدينتهم الجديدة، واختلاطهم بهم، وتعاملهم معهم، و ملاحظتهم لهم بعيدا عن أجواء الحروب، و تلمسهم مبادئ الإسلام وأخلاق المسلمين و هي تتحرك بينهم ، ينشرونها بأفعالهم و أقوالهم و أخلاقهم الكريمة، و تأكدت لهم حقيقة هذا الدين القويم، و أن مقصد المسلمين الفاتحين هو الدعوة إلى الله تعالى دون غيره، و نشر تعاليم الإسلام، فأقبلوا عليه مسلمين طائعين، و كان من نتائج ذلك اكتساب جموع من البربر إلى حظيرة الإسلام، وانقشع عن المسلمين" الخطر الذي كان يتهددهم من طرف السكان"[3].

– ثبات الإسلام في بلاد المغرب بعد أن دخل البربر في دين الله، وعلم غيرهم أن المسلمين جاؤوا للإقامة الدائمة فخارت قوى أعدائهم.

– التفكير الجدي في استمرار وتوسيع عمليات الفتح إلى أماكن بعيدة، بعد أن ثبَّت المسلمون أقدامهم في هذه البلاد.

ولأن عقبة بن نافع خلال هذه السنوات الأربع كانت مهمته الأساسية استكمال عملية بناء مدينة **القيروان**، فإنه لم يكن له نشاط كبير في عمليات الفتح إلا ما كان يقوم به من إرساله السرايا للإغارة و النهب[4]،و تخويف من يريد أن يمس المدينة الجديدة بسوء ، كما تمت الإشارة إليه من قبل ، و لذلك

---

(1) ابن الأثير: الكامل ج3 ص466.

(2) لقبال: المرجع السابق ص33.

(3) لقبال: المغرب الإسلامي ص34.

(4) ابن الأثير" الكامل ج3 ص466.

فإن عمل عقبة بن نافع **في هذه المرحلة كان عملا تمدينيا لا عملا حربيا**[1]، و من ثم فقد ابتعد عن الإغارة على مراكز العمران للسلب و المغانم، و كانت بذلك الغنائم لا تكاد تذكر، و لم ينل منها صاحب **مصر** أو **دمشق** ما كانوا يأخذونه من قبل ، لذلك قرر معاوية بن أبي سفيان عزل عقبة بن نافع، بعد أن سهل له ذلك والي **مصر** الجديد مسلمة بن مخلد[2]، و استعمل على **إفريقية** أبا المهاجر دينار الذي كان مولى له.

و قيل إن عقبة بن نافع انتهج مع البربر سياسة اتسمت بالعنف، مما جعل الأمن متعذرا، و كان ذلك من أسباب عزله من طرف معاوية بن أبي سفيان، وقد أبان ابن الأثير ما يفيد الرد على هذا الرأي وينفيه بقوله بعد بناء مدينة القيروان:" و دخل كثير من البربر في الإسلام"[3]، كما قيل أن عزله كان خوفا من استقلاله ببلاد المغرب[4]، وأعتقد كذلك أن هذا السبب مجاف للحقيقة التاريخية المتعلقة **أولا** بحالة الفتح في **إفريقية**، إذ أن المسلمين لازالوا في بداية الطريق نحو الاستقرار، ولا يمكن بحال من الأحوال الاستقلال بمنطقة غير مستقرة أمنيا، و بمدينة في بداية تكوينها، ومحاطة من جميع أطرافها بأعداء متربصين بها، وهو ما تؤكده الأحداث في المستقبل، و **ثانيا** بما تؤكده المصادر من عدم الإشارة إلى أي نوع من سوء التفاهم مع الخليفة مما يمكن أن يكون سببا وجيها في نية الانفصال، بل على العكس من ذلك فقد كان التفاهم وحسن الظن بعقبة يملآن أركان الخلافة، ويؤكد ذلك وعد معاوية له بإرجاعه، ثم رجوعه حقيقة في حملته الثانية، و**ثالثا** بشخصية عقبة بن نافع، ذلك أنه كان مجاهدا مخلصا يريد الشهادة، و لم يكن مبتغاه من الإمارة إلا ما يوصله إلى نشر دين الله في أقص ربوع الأرض، ثم الشهادة في سبيله، وهو القائل عندما وصل البحر المحيط وخاضه بفرسه:" اللهم اشهد أني قد بلغت المجهود، ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك، حتى لا يُعبد أحد من دونك"[5]، و كانت وصيته لأبنائه في حملته الثانية كافية لدرء هذا السبب، إذ كان في هذا الظرف أقوى منه في حملته الأولى فقد قال لأبنائه بعد أن جمعهم:" إني بعت نفسي من الله عز و جل و عزمت على من كفر به،

---

(1) لقبال موسى: المرجع السابق ص35.

(2) مسلمة بن مخلد له صحبة و لا صحبة لأبيه، كان من أمراء معاوية نوبة صفين ولد سنة هجرة النبي صلى الله عليه و سلم، في فضله: قال مجاهد : صليت خلف مسلمة بن مخلد فقرأ سورة البقرة، فما ترك واوا و لا ألفا. و توفي سنة 62هـ في ذي القعدة بالاسكندرية. أنظر الذهبي: سير أعلام النبلاء ج3 ص549

ابن حجر: الأصابة ج6 ص116.

(1)ابن الأثير: المصدر السابق ج3 ص466.

(4) عبد المنعم الهاشمي: الخلافة الأموية دار ابن حزم ط1، 1423هـ/2002م، ص45.

(5) الدباغ: المعالم ص47.

حتى أقتل فيه و ألحق به، ولست أدري أتروني بعد يومي هذا أم لا، لأن أملي الموت في سبيل الله"[1]، ورجل بهذا الشعور الفياض بحب الله والشهادة في سبيله وحب الآخرة، يبعد أن يكون استقلاله بالبلاد أهوى عنده من لقاء الله و الجهاد في سبيله، وإعلان الاستقلال يعني لزوما إعلانه الحرب على الخلافة، وتحوله من مجاهد في سبيل الله ضد أعدائه، إلى محارب لله ورسوله وللمسلمين.

ب- ولاية أبي المهاجر دينار إفريقية(55-62) هـ:

لما جمع معاوية بن أبي سفيان ولاية **مصر** و **إفريقية** لمسلمة بن مُخلَّد[2] سنة55هـ، استعمل هذا الأخير على **إفريقية** مولاه أبا المهاجر دينار مكافأة له، فقد قيل لمسلمة بن مُخلَّد والي مصر:" لو استعملت عقبة و أقررته على **افريقية** فإن له فضلا وسابقة، وهو الذي بنى القيروان" ، فقال مسلمة:" إن أبا المهاجر كأحدنا صبر علينا في غير ولاية ولا كبير نيل، فنحن نحب أن نكافيه و نصطنعه"[3]، فجعله على ولاية **إفريقية** سنة 55هـ[4] ، ولما وصل أبو المهاجر إلى إفريقية تشير المصادر إلى أنه أساء عزل عقبة بن نافع، فهل أساء أبو المهاجر إلى عقبة بن نافع ؟

تسلم أبو المهاجر ولايته الجديدة والفتية سنة 55 هـ، ولكن مسلمة كان يشعر بأن عزل عقبة لا يمر دون مشاكل، خاصة وأن هذا الأخير هو مؤسس هذه المدينة التي استغرق بناؤها خمس سنين، لذلك أوصى الوالي الجديد أبا المهاجر عندما يصل إلى القيروان أن يحسن إلى عقبة في عزله ويرفق به ولا يسيء إليه[5]، حتى وإن أبدى له نوعا من الرفض أو التمرد، لأن وقع العزل عليه ليس بالأمر الهين.

وتذهب جل المصادر إلى أن أبا المهاجر أساء عزل عقبة وسجنه وأوقره حديدا[6]، ولم يتم إطلاق

---

[1] ابن عذارى: البيان ج1 ص23-24، و انظر النص نفسه مع بعض التصرف في الدباغ: المعالم ص43.

[2] ابن عبد الحكم:فتوح مصر و افريقية ص 265 ،ابن عذاري: البيان ج1 ص 21.

مسلمة بن مخلد: ولد عام الهجرة، و سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و شهد فتح مصر و ولي الجند بها لمعاوية و يزيد، ومات في ذي القعدة سنة 62هـ. انظر، ابن كثير:البداية و النهاية ج 8 ص 588.

[3] ابن عبد الحكم:المصدر السابق ص 266 ،ابن عذاري: المصدر السابق ج1 ص 22.

[4] ابن عذاري: المصدر السابق ج1 ص 21.و النويري: نهاية الأرب ج 24، ص24، أما ابن عبد الحكم في فتوح مصر ص265 فيجعل ولاية مسلمة بن مخلد سنة47هـ و عزله لعقبة سنة 51هـ ، أما المالكي في رياض النفوس ج1 ص 33 فيجعل وصول أبي المهاجر إلى افريقية و توليه قيادة الجيش سنة57هـ ، و الدباغ في المعالم ص 42 فيحددها في 55هـ، وهو الأقرب للصواب .

[5] ابن عبد الحكم: م.س، ص 224، ابن عذاري: م.س، ج 1 ص 23.

[6] ابن عبد الحكم: م.س، ص 224، ابن عذاري: م.س، ج 1 ص 22، ابن الأثير: م.س، ج 3 ص 466، بن خلدون: م.س، ج 4 ص 222، الدباغ: م.س ص 42.

سراحه إلا بعد مراسلة من الخليفة معاوية بن أبي سفيان[1]، وتوجهه إلى عاصمة الخلافة بالشام يشكو ما تعرض له من قبل أبي المهاجر. ولم تبحث هذه المصادر في خلفية هذه الإساءة بل كان اللوم على أبي المهاجر.

ويجب التنبيه أولا إلى أن سياسة أبي المهاجر تتعارض إلى حد بعيد مع فكرة الإساءة دون سبب، فكيف لمن تمكن من نسج صداقة حميمة مع كسيلة[2]وهو العدو الأول للإسلام والمسلمين – قبل إسلامه – الإساءة إلى قائد كبير ووال سابق في مرتبة عقبة بن نافع في أول خطوة من عمله؟ وسوف يكون من المحال أن يُقْدِم أبو المهاجر لحظة وصوله إلى القيروان كوال جديد على الإساءة إلى عقبة وسجنه وتصفيده في الحديد دون سبب ألزمه فعل ذلك.

ويمكننا فهم خيوط هذه المسألة الحادثة من خلال نص الشكوى التي قدمها عقبة بن نافع لدى وصوله إلى الشام ومقابلته الخليفة معاوية بن أبي سفيان جاء فيها:" فتحت البلاد ودانت لي وبنيت المنازل واتخذت مسجدا للجماعة وسكنت الناس ثم أرسلت عبد الأنصار فأساء عزلي"[3]. إن هذا النص في صلبه يفيض بمشاعر الاستغراب والاندهاش والصدمة والحسرة من فعل العزل، وكيف أقدمت عليه الخلافة بهذه البساطة لرجل يعتقد في نفسه بأنه يجب أن يكون محل تشجيع ورفعة ومنعة أكثر، فكيف لمن فتح البلاد وبنى القيروان واتخذ مسجدا للجماعة وكان سببا في استقرار الجند أن يعزل عنها، وعرق البناء لم يجف بعد على جبينه؟؟؟.

إن هذا الشعور الغامر والاعتقاد الراسخ الذي سيطر على عقبة أثناء وصول أبي المهاجر إلى القيروان والذي أباح به عند الخليفة معاوية، يبدو أنه كان السبب في تمنعه ورفضه الانصياع لأوامر العزل، خاصة من قائد كبير كعقبة متمرس في القيادة وخبير بها منذ أن كان قائدا في صفوف عمرو بن العاص ولا يزال في قمة عطائه وحبه لمواصلة عمله كمسئول على هذه المنطقة[4]. إن هذا الاعتقاد والشعور بقيمة **عقبة** وبلائه وخدمته وجهوده وجهاده كان معتقد مسلمة بن مخلد ذاته والخليفة، بل وكل جموع المسلمين الذين يتتبعون حركة الفتح في بلاد المغرب.

إن وصية مسلمة لأبي المهاجر بالإحسان إلى عقبة في عزله ينطوي على اعتراف بالفضل

---

[1] ابن عبد الحكم: م.س، ص 224.

[2] الدباغ: م.س، ص 42.

[3] ابن عذاري: م.س، ج 1 ص 22 وانظر النص مع اختلاف طفيف في عبد الحكم: م.س، ص 225، المالكي: م.س، ج 1 ص 33–34 وكذلك في الدباغ: م.س، ص 43(الدباغ بنقل عن المالكي).

[4] أنظر ابن عبد الحكم: م.س، ص 227. جاء فيه :" عن بحير بن ذاخر المعافري قال:" كنت عند عبد الله بن عمرو بن العاص حيث دخل عليه عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري فقال:" ما أقدمك يا عقبة فإني أعلمك تحب الإمارة قال:" فإن أمير المؤمنين يزيد عقد لي على جيش إفريقية".

الكبير لعقبة ببنائه مدينة القيروان ومحاولاته في الاستقرار في بلاد لم تتهيأ الظروف فيها، بل كان الاستقرار فيها ضربا من المغامرة له ولجيشه، وكان صموده وصبره وعناؤه خمس سنوات هناك حتى أكمل بناء القيروان رغم المخاطر التي لا تنتهي كفيل بأن يجعل منه شخصية قوية تمتلك فضلا كبيرا في مسيرة الفتح، والمساس بها يكون له أثر غائر في نفسية عقبة، وهذا ما كان يجري في خلد مسلمة الذي شعر بأن عقبة سوف يكون له رد فعل وسوف يرفض العزل، ولذلك أوصى أبا المهاجر وصية خاصة[1] بالإحسان إليه أثناء العزل.

ولكن أبا المهاجر الوالي الجديد الذي جاء من مصر مكلف من قبل مسلمة بموافقة الخليفة معاوية ذاته، لا يمكنه أن يرضى من عقبة بغير العزل والانصياع لأوامره. ويبدو أن عقبة قد تمادى في تمنعه ورفضه للوالي الجديد واستعمل قوته وبعض جنده فكان لزاما على أبي المهاجر أن يستعمل حقه في ممارسة صلاحياته ويضبط الأمور فاستعمل القوة معه وأوثقه وسجنه مخافة أن تنفلت الأمور بين يديه، ولو رضي عقبة بولاية أبي المهاجر وانصاع لأوامره ما كان هذا الأخير أن يسيء إليه، ولو أساء إليه لكان مسلمة والخليفة ذاته قد استدعى أو عنف أبا المهاجر، وهو ما لم تحدثنا به المصادر.

إن عزل كبار القادة مشكلة كبيرة تكتنفها مخاطر جمة، خاصة إذا كانت لهم مآثر كبرى كانوا وراء تحقيقها، فإنهم سيتحولون في نظرهم هم وفي اعتقاداتهم أشخاصا فوق العزل وفي حِلٍّ منه، وإذا ما تم ذلك فإن ردات الفعل تكون متناسبة مع قوة اعتقاد القائد في نفسه، وهذا الذي شعر به عقبة، ولذلك اعتبر عقبة فعل العزل في حد ذاته هو الإساءة التي تعرض لها وليس ما قام به أبو المهاجر من تطبيق وتنفيذ الأوامر، وإن جاء رد الفعل مواجهة مع أبي المهاجر . ولقد أدرك معاوية بن أبي سفيان ذلك الإحساس بالمرارة الذي تعرض له عقبة فأراد أن يكفر عن سيئة عزله، ووعده بالرجوع إلى القيروان[2].

دعوى حرق القيروان من قبل أبي المهاجر:

تذهب بعض المصادر إلى أن أبا المهاجر لما وصل إلى القيروان كره أن يقيم بها وتوجه على بعد ميلين منها وبنى مدينة أخرى[3] ، ثم احرق مدينة القيروان أو خربها[4] لتعمر مدينته وليكون له بها

---

[1] ابن عبد الحكم: م.س، ص 224 .

[2] ابن عذاري: م.س، ج 1 ص 22

[3] تسمى تاكروان عند الدباغ في المعالم ص 43 ، وتسمى عند النويري"- تيكروان" نهاية الأرب ج 4 ص 24-25 .

[4] ابن عذاري : م.س، ج 1 ص 22 . ابن عبد الحكم: لم يتحدث عن الحرق للقيروان ولكنه تحدث عن بناء منازل على بعد ميلين ص 225.

الرقيق القيرواني: م.س، ص 41، ابن خلدون: العبر ج 4 ص 222 .، المالكي: م.س، ج 1 ص 33. الدباغ: م.س، ص 42-43. النويري م.س، ج24 ص 24-25. يسمى "دكرور" عند المالكي: ج 1 ص 32.

ذكر.واعتمدت هذه الروايات في المصادر المتأخرة واستثمرها العديد من الباحثين والدارسين[1].

وهذه دعاوى تردها كثير من النصوص المبثوثة في كتب المصادر نفسها، كما أنها لا تنسجم مع الرؤية الإستراتيجية للفتح التي تتبناها مؤسسة الخلافة من وراء بناء القيروان والمنتهجة في هذه الفترة من قبل أبي المهاجر. ففي جانب النصوص يتحدث المالكي عن حركة أبي المهاجر بعد وصوله إلى القيروان:" وخرج بجيوشه نحو المغرب ففتح كل ما مر عليه حتى انتهى على العيون المعروفة بأبي المهاجر نحو تلمسان ولم يستخلف على القيروان أحدا، ولم يبق بها إلى شيوخ ونساء، ثم رجع إليها فأقام بها(القيروان)"[2]، فجعل المالكي القيروان مدينته الأساسية التي انطلق منها ورجع إليها أبو المهاجر وأقام بها، مما يفيد أن المدينة كانت قائمة ولم تتعرض لسوء. كما يتحدث ابن الأثير عن ولاية عقبة الثانية فيقول في أحداث سنة 62 هـ:" فاستعمله يزيد على إفريقية في هذه السنة وأرسله إليها فوصل إلى القيروان مجدا وقبض أبا المهاجر أميرها وأوثقه في الحديد وترك بالقيروان جندا مع الذراري والأموال واستخلف بها زهير بن قيس البلوي"[3]. وإذا علمنا أن ابن الأثير يقرر بأنه أخذ تاريخ بلاد المغرب من المؤرخين المغاربة ذاتهم وهم أخبر ببلادهم من غيرهم كما يقول[4] تأكد لنا أن مقام أبي المهاجر كان مدينة القيروان وأنها كانت في أحسن حال، ولم تتعرض للخراب، وإلا كانت محل تدوين من قبل المؤرخين المغاربة وسجله عنهم ابن الأثير.

وفي نص آخر يورد المالكي كلاما ليزيد بن معاوية يقول فيه سنة 62 هـ عن مدينة القيروان:" أدركوها قبل تخريبها"[5]، فيه إشارة إلى أن ثمة إدعاءات كانت تروج لخراب المدينة لاستعجال ولاية جديدة لعقبة، وأنه حتى سنة 62 هـ لم تخرب المدينة وهي السنة التي رجع فيها عقبة لولاية ثانية.

وإذا فحصنا شكوى عقبة للخليفة معاوية سالفة الذكر:" فتحت البلاد ودانت لي وبنيت المنازل واتخذت مسجدا للجماعة وسكنت الناس ثم أرسلت عبد الأنصار فأساء عزلي"[6] أمكننا أن نستل منها دليلا قويا بأن أبا المهاجر لم يتعرض لمدينة القيروان للتخريب أو الحرق، فقد كانت شكوى عقبة منصبة على ما قام به من فتح للبلاد وبنائه للمنازل واتخاذه مسجد الجماعة، ثم ختم حديثه بالشكوى التي كانت متعلقة أساسا بالإساءة إلى شخصيه(عزله)، ولو أن أبا المهاجر خرب أو أحرق القيروان لكانت شكوى عقبة

---

[1] بودشيش إبراهيم القادري: حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1927هـ/ 2006م ، في مقال حول "ثقافة المنع والهدم في معمار المدينة"، مدينة القيروان نموذجا .

[2] المالكي: م.س، ج 1ص 33 ، والنص يورده الدباغ في المعالم ص 43 ناقلا عن المالكي.

[3] ابن الأثير: م.سن ج 4 ص 105 .

[4] م.ن، ج 3 ص 465 .

[5] المالكي: رياض، ج 1 ص 34.

[6] ابن عذاري: م.س، ج 1 ص 23.

موجهة إليها أكثر من نفسه.

حتى هذا النص الذي يورده صاحب البيان والذي يُفهَم منه تخريب القيروان يضاف دليلا على أن أبا المهاجر لم يتعرض لمدينة القيروان بسوء، يقول ابن عذاري عن الولاية الثانية لعقبة:" حتى قدم إفريقية فأوثق أبا المهاجر في الحديد وأمر بتخريب مدينته التي بناها ورد الناس إلى القيروان، وركب في وجوه العسكر ومن معه من الصحابة والتابعين، فدار بهم حول مدينة القيروان، وهو يدعو لها، ويقول:"يا رب! املأها علما وفقها! واملأها بالمطيعين لك! واجعلها عزا لدينك وذلا على من كفر بك!" ثم عزم رضي الله عنه على الغزو في سبيل الله، وترك بها جندا من المسلمين، واستخلف عليها زهير بن قيس البلوي"[1]. إن هذا النص يجب أن يفهم في سياقه التاريخي فإذا علمنا أن ولاية عقبة الثاني كانت سنة 62 هـ وقد استشهد سنة 63 هـ[2] وعلى رأي ابن الأثير سنة 62 هـ[3] وخلال هذه السنة كانت حركته من القيروان نحو الغرب إلى أن وصل إلى المحيط الأطلسي ثم رجع وهو في كل ذلك يقوم بحروب طاحنة، ولا يخفى على الباحث تلك المسافة الطويلة بين القيروان وبين المحيط الأطلسي ذهابا في غمرة تلك الحروب ثم إيابا إلى أن وصل إلى تهودة، واستشهد فيها فلا شك أنه استغرق في هذه الحملة أشهرا معتبرة، فكيف يستطيع في ظرف الأشهر القليلة المتبقية أن يعيد الحياة في مدينة مخربة أو حرقت ودمرت؟؟؟. وهي المدينة التي أنفق فيها عقبة ذاته خمس(05) سنوات من الجد والصبر حتى تم له بناؤها. ثم كيف يجرؤ عقبة بإرجاع الناس إلى القيروان وهي مخربة، ويخرب هو الآخر مدينة قائمة بناها أبو المهاجر كما يدعى عليه؟ لاشك إذن أن مدينة القيروان بقيت شامخة في عهد أبي المهاجر وكانت مقر قيادته الأساسي، ولعل ما تخرب منها دار الإمارة التي نفترض أن عقبة كان مع مجموعة من خلص جنده قد اعتصم بها ورفض أمر عزله مما حدا بأبي المهاجر أن يخربها.

وحتى دعاء عقبة لمدينته وسرعة خروجه منها وترك خليفة عليها وتوجهه إلى استكمال مهمته الجهادية في الفتح نحو الغرب وهو مشروعه قبل عزله سنة 55 هـ أي بعد بناء القيروان يقوم هو الآخر دليلا مؤكدا أن المدينة قائمة وصالحة للمقام ولم تتعرض للتخريب أو الحرق.

ونضيف إلى كل ذلك سكوت المؤرخين وصمتهم عن تأريخ أية انتفاضة أو امتعاض يكون قد حدث أثناء تخريب مدينتهم من قِبَل سكان مدينة القيروان وجندها وهم الذين اعتادوا أرضها وتنفس هوائها.

---

[1] م.س، ج 1 ص 23، والنص كذلك موجود في النويري: م.س، ج 24 ص 26.

[2] أنظر خليفة بن خياط: م.س، ص 192، بن عبد الحكم: م.س، ص 227، بن عبد البر القرطبي(توفي سنة 463هـ): الاستيعاب في معرفة الأصحاب دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 1 1995/1415م ج 3 ص 186، الذهبي (توفي سنة 748هـ): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق عمر عبد السلام تدمري دار الكتاب العربي ط 2 1413 هـ/1993. ج 5 ص 23 (حوادث 63 هـ).

[3] ابن الأثير: م.س، ج 4 ص 105 – 108 .وابن كثير: م.س، ج 2 ص 588.

أما من ناحية السياسة التي اتخذها أبو المهاجر وسار عليها فإن سياسته في حملته تقوم أكبر دليل على انتفاء دعوى الحرق أو التخريب، فهو رجل تمتع بكياسة قل نظيرها، فمن غير المعقول أن يبدأ خطوته الأولى بتخريب مدينة لها صدى في دار الخلافة فهل كان مسلمة أو معاوية يرضون بعملية التخريب؟ هذا ما لا يمكن قبوله البتة إذ لم تسجل المصادر أية ملاحظة من قبلهم . وهل يعقل أن يصالح عجم إفريقية وبربرها، ويصادق كسيلة ويحسن إليه وإلى قبيلته أوربة، و يسيء إلى مدينة قائمة تأوي جيشه الذي يحارب به ويعتمد عليه وهو إنما جاء للبناء لا للهدم.

أما أبو المهاجر دينار فيبدو أنه كان على اطلاع واسع بسياسة عقبة وآثارها على أهل المنطقة، لذلك عمد إلى انتهاج سياسة جديدة ، حكيمة تجاه البربر وعجم **إفريقية** ، كان لها أثر طيب في إسلام البربر وأفول خطرهم على المسلمين الفاتحين في عهده، فقد سار في سياسته على سنن الملاينة و الملاطفة، والابتعاد عن كل ما يثير البربر، الذين يمتازون بالأنفة و العزة و الإباء[1]، ويبدو أن أبا المهاجر بعد أن تمكن من كسيلة و ظفر به[2]، رأى من جانب البربر وزعيمهم كسيلة الأوربي ميلا حقيقيا نحو الإسلام، خاصة أنهم كانوا على صلة بالمسلمين و أخبارهم و ما يدعون إليه من الدين الجديد، و أن كسيلة كان قد أسلم في بدايات الفتح ثم ارتد[3]، فأحسن أبو المهاجر استمالتهم، و دعاهم إلى الإسلام، فأسلم كسيلة[4] وقبيلته، و اتخذ أبو المهاجر كسيلة صديقا له، وصالح البربر وعجم **افريقية** بعد موقعة كانت بينه و بين الروم في مركزهم المنيع **بقرطاجنة**[5] ، ثم خرج بجيوشه نحو المغرب ففتح كل ما مر به حتى انتهى إلى "العيون التي تسمى عيون أبي المهاجر" نحو **تلمسان**[6] .

ونظرا للسياسة الحكيمة التي انتهجها، و إمعانا منه في التأكيد للبربر بأنه لا يشك في إسلامهم، ولا في ولائهم، فإنه خرج من القيروان" و لم يستخلف عليها أحدا لأن أكثرهم خرج معه " و لم يبق بها إلا شيوخ و نساء و أطفال"[7]، ثم قفل أبو المهاجر راجعا إلى مدينته" **القيروان**".

ويعتبر أبو المهاجر أول من وطئت قدماه أرض المغرب الأوسط بوصوله إلى **تلمسان** ثم

---

(1) ابن خلدون : العبر ج6 ص125.جاء فيه:" و أمراؤها لايرامون بذل".

(2) ابن خلدون : المصدر السابق ج 6 ص 127 . ابن عذاري: المصدر السابق ج1 ص228.

(3) ابن خلدون : العبر ج6 ص127.

(4) ابن خلدون : المصدر السابق ج6 ص127. ابن عذارى : البيان ج1 ص29، و النوري: نهاية الأرب: ج24 ص 30.

(5) الدباغ: معالم ص 42.و انظر كذلك: السيد عبد العزيز سالم:المغرب الكبير ج 2 ص 216. لقبال موسى: المغرب الإسلامي ص39.

(6) الدباغ: المصدر السابق ص 42.

(7) الدباغ: المصدر السابق ص42، المالكي: رياض النفوس ج1 ص33.

استقراره في مدينة ميلة لمدة سنتين، كما يعتبر أول من اتخذ **إفريقية** مقاما له بعد فتوحه التي يقوم بها شمالا و غربا، وفي ذلك يقول ابن عبد الحكم: " و كان الناس قبل أبي المهاجر كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة و أحمد بن عمرو عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب، يغزون **إفريقية** ، ثم يقفلون منها إلى الفسطاط، و أول من أقام بها حين غزاها أبو المهاجر مولى الأنصار، أقام بها الشتاء والصيف و اتخذها منزلا"[1]، ولم يزل أبو المهاجر بها حتى سنة62هـ حيث عزله يزيد بن معاوية وولى مكانه عقبة بن نافع ، وهي ولايته الثانية على **إفريقية**[2].

ولعل من أهم نتائج حملة أبي المهاجر دينار أنها وحدت بين المسلمين الفاتحين والبربر الذين أسلموا وأصبحوا جزءا من جنود المسلمين، كما حاول أن يريح المسلمين من مخاطر الروم في قرطاجنة، وبذلك أصبحت إفريقية كلها ضمن الإطار الإسلامي.

جـ - ولاية عقبة بن نافع الثانية (62-64هـ) والانسحاب المؤقت من القيروان:

لما كانت سنة 62هـ وقد فرغ يزيد بن معاوية من بعض المشاكل الداخلية التي كانت تعيشها الأمة في تلك الفترة، فبعد مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه في 10 محرم من سنة 61هـ، وظهور عبد الله بن الزبير وخلعه طاعة يزيد بن معاوية في نفس السنة، في هذه الأثناء ولى يزيد بن معاوية عقبة بن نافع على **إفريقية** بعد أن كان قد وعده بها.

رحل عقبة بن نافع من الشام و معه خمسة و عشرون رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم[3]، و معه عشرة آلاف فارس[4]، ومر على **مصر** ، فلقيه مسلمة بن مخلد، و سلَّم عليه، واعتذر له من فعل أبي المهاجر،" وأقسم بالله لقد خالفه رأيه فيما صنع وأنه وصاه به، وأمره بتقوى الله وحسن السيرة، و أن يعزل عقبة أحسن عزل، فإن أهل بلده يحسنون القول فيه، فخالفني وأساء عزلك، فقبل منه عقبة"[5].

ثم أكمل عقبة سيره، و وصل إلى **إفريقية**، فتمكن من أبي المهاجر، و أوثقه في الحديد، ويبدو أن عقبة اغتاظ لما أصابه سنة 55هـ غيضا شديدا لم تنسه هذه السنون حدته، لذلك عمل على تقويض كل ما له علاقة بأبي المهاجر، فصفده ، ودار بمدينته "**القيروان**"، ومعه جنده وصحابة رسول الله صلى

---

(1) ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص266.

(2) ابن عذارى : المصدر السابق ج1 ص23، و النوري: المصدر السابق ج24 ص 25.

(3) ابن عذارى: البيان ج1 ص23.

(4) الدباغ: معالم الإيمان ص43.

(5) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية و المغرب ص39-40، و انظر النص بتصرف في النويري: نهاية الأرب ج24 ص26.و ابن الأثير: الكامل ج4 ص105.

الله عليه و سلم و هو يدعو لها ويقول:" يا رب املأها علما و فقها، و املأها بالمطيعين لك، و اجعلها عزا لدينك و ذلا لمن كفر بك"[1]،" و أعز بها الإسلام [...] و امنعها من جبابرة الأرض"[2].

ثم عزم عقبة على الغزو في سبيل الله، فخرج بأصحابه، و بكثير من أهل **القيروان**[3] نحو المغرب، و استخلف على **القيروان** زهير بن قيس البلوي[4]، ثم دعا أولاده فقال لهم:" إني قد بعت نفسي من الله عز و جل و عزمت على من كفر به حتى أقتل فيه و ألحق به، و لست أدري أترونني بعد يومي هذا أم لا، لأن أملي الموت في سبيل الله"[5]، ثم أوصى أبناءه و قال لهم:" يابني إني أوصيكم بثلاث خصال فاحفظوها و لا تضيعوها: إياكم أن تملئوا صدوركم شعرا و تتركوا القرآن، املئوا من كتاب الله، فإنه دليل على الله، وخذوا من كلام العرب ما تهتدي به ألسنتكم و يدلكم على مكارم الأخلاق، ثم انتهوا عما وراءه، وأوصيكم أن لا تداينوا و لو لبستم العباء، فإن الدَّين ذل بالنهار، و همٌّ بالليل، فدعوه تسلم لكم أقداركم وأعراضكم، و تبقى لكم الحرمة مع الناس ما بقيتم ، ولا تقبلوا العلم من المغرورين المرخصين فيُحلِّوكم دين الله، و يفرقوا بينكم و بين الله ، و لا تأخذوا دينا إلا من أهل الورع و الحيطة، فإنه أسلم لكم، ومن احتاط سلم و نجا"[6] ، ثم ودعهم قائلا:" عليكم سلام الله، اللهم تقبل مني نفسي في رضاك"[7].

وخرج عقبة في عسكر عظيم، و كان معه أبو المهاجر دينار مصفدا في الحديد، و قد كانت سياسته مخالفة لسياسة أبي المهاجر، فلم يستمل البربر و لا قائدهم كسيلة الذي أهانه إمعانا في الإساءة إلى أبي المهاجر، رغم الأخطار التي يمكن أن تجلبها هذه السياسة.

ورغم الظروف التي كان فيها أبو المهاجر، ومن منطلق النصيحة والحرص على بقاء كسيلة وقومه في صفوف المسلمين، بعد أن كان سببا في إسلامهم، و علمه بأنهم أناس قريبو عهد بالكفر، ولمَّا يتمكن الإسلام و الإيمان من قلوبهم، فقد طلب من عقبة أن يعامل كسيلة معاملة حسنة، خاصة وأنه زعيم لقومه، ونفُوسهم معلقة به، ولكن عقبة لم يهتم لما نبهه عليه أبو المهاجر، ولم يكن في خَلَده

---

[1] ابن عذارى:المصدر السابق ج1 ص23، أما نص النويري فهو" اللهم املأها علما و فقها، و اعمرها بالمطيعين والعابدين،وامنعها من جبابرة الأرض"ج24 ص23، ويجعل هذا الدعاء أثناء بناء القيروان في الحملة الأولى لعقبة.الرقيق: المصدر السابق ص40.

[2] الزيادة من الرقيق:ص40.

[3] الدباغ: المصدر السابق ص43.

[4] ابن عذارى: البيان ج1 ص23 . بينما الدباغ: المصدر السابق ص42، وابن عبد الحكم: فتوح ص267 يضيفان إليه عمر بن علي القرشي.

[5] البيان:ج1 ص23-24، و انظر النص بتصرف في الكامل ج4 ص105، الدباغ ص43، النويري: نهاية الأرب ج24 ص26، الرقيق: تاريخ إفريقية ص41.

[6] الدباغ: معالم ص43-44.

[7] النويري: نهاية الأرب ج24 ص26.

الاهتمام والاستماع إلى رأي من كان سببا في عزله، و تقويض جهاده في الحملة الأولى، فلعله كان يخشى على نفسه أية حيلة قد يدبرها أبو المهاجر استنادا إلى صديقه كسيلة، لذلك كان عقبة يرى عدم استمالة كسيلةَ وصديقُه مكبل في الحديد، ولكنه بالغ في إهانة كسيلة كما يذكر المؤرخون، إذ" أحضر مجموعة من الغنم وأمر بذبحها، ثم أمر كسيلة بسلخها مع السلاخين، فقال كسيلة:" أصلح الله الأمير، هؤلاء فتياني و عبدي يكفوني المونة!" فقال عقبة:"لا!"، فقام كسيلة مغضبا"[1] فقال أبو المهاجر لعقبة :" بئسما صنعت! كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يتألف جبابرة العرب ، و أنت تأتي إلى رجل جبَّار في قومه ، في دار عزه ، قريب عهد بالشرك، فتهينه !"[2]، وهذه السياسة بلا شك كانت سببا في تقويض إسلام كسيلة و أصحابه من البربر، وكانت سببا فيما حصل لعقبة.

وبدأ عقبة جهاده مع عسكره العظيم متوجها نحو **باغاية**، وقاتل أهلها قتالا شديدا، وهم من الروم الذين لجئوا إلى حصنها، و غنم منهم خيلا كثيرا.

ثم ذهب إلى مدينة **لميش** "لمبيز"، وهي من أعظم مدائن الروم[3]، فخرجوا إليه و قاتلوه قتالا شديدا، فهزمهم، و دخلوا حصنهم، و كره المقام عليها،ثم رحل إلى بلاد الزَّاب، و سأل عن أعظم مدائنهم، فقيل له مدينة يقال لها أرْبة، فيها الملك، و هي مجمع ملوك الزَّاب، و حولها ثلاثمائة و ستون قرية، كلها عامرة، فقاتلهم قتالا حتى يئس المسلمون من الحياة[4]، ثم أنزل الله عليهم نصره، و خذل من كفر به و"ذهب عز الروم وملكهم من الزاب إلى آخر الدهر"[5].

ورحل بعد ذلك حتى نزل **تاهرت** "تيهرت"، و قد اجتمع فيها الروم و استعانوا بالبربر[6] فأجابوهم ونصروهم، فقام عقبة وخطب الناس، و حرض على القتال و الجهاد في سبيل الله، و قال بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه:"أيها الناس إن أشرافكم و خياركم الذين رضي الله عنهم، و أنزل إليهم كتابه بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان على من كفر بالله إلى يوم القيامة ، و هم أشرفكم ، والسابقون منكم للبيعة، باعوا أنفسهم من رب العالمين بجنته بيعة رابحة، و أنتم اليوم في دار غربة ،

---

[1] ابن عذاري:البيان ج1 ص 29، و انظر النص بتصرف في : ابن الأثير : الكامل ج4 ص107، و النويري: نهاية الأرب ج24 ص 30.

[2] ابن عذاري:البيان ج1 ص 29.و انظر النص ببعض الاختلاف في:

ابن الأثير : الكامل ج 4 ص 107. النويري، نهاية الأرب ج 24 ص30.

[3] ابن عذارى: المصدر السابق ج12 ص 24، النويري: المصدر السابق ج24 ص26.

[4] الدباغ: معالم ص44. النويري: المصدر السابق ج24 ص27.

[5] ابن عذارى: المصدر السابق ج1 ص24 ، النويري: المصدر السابق ج24 ص27. الدباغ: معالم ص45. الرقيق: تاريخ ص43.

[6] ابن عذارى: المصدر السابق ج1 ص24، الدباغ: المصدر السابق ص45، الرقيق: المصدر السابق ص43.

وإنما بايعتم رب العالمين، وقد نظر إليكم في مكانكم هذا ، ولم تبلغوا هذه البلاد إلا طلبا لرضاه، وإعزازا لدينه ، فابشروا فكلما كثر العدو كان أخزى لهم و أذل إن شاء الله تعالى، و ربكم عز وجل لا يسلمكم ، فالقوه بقلوب صادقة، فإن الله عز و جل جعلكم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين ن فقاتلوا عدوكم على بركة الله و عونه"[1]. والتحم الجيشان، وصبر المسلمون، وعلم الروم و البربر صلابة و بأس المسلمين، فولوا هاربين و قتلهم المسلمون قتلا ذريعا، و فروا عن المدينة و تفرق جمعهم .

ثم رحل عقبة متوجها نحو **طنجة** ، بعد أن فرت جموع من تبقى من الروم و البربر، و التجئوا إلى الحصون، فكره المقام على محاصرتهم[2] فأوغل في الغرب، و وصل إلى **طنجة** و هو في أشد نشاطه لا يخاف من أمامه و لا من خلفه، و كان **بطنجة** الملك " يُليان" من أشراف ملوك الروم، و من ذوي الرأي و الدهاء، فاستعطف عقبة بهدية عظيمة، و سأله المسالمة، و النزول عند حكمه[3] ،و سأله عقبة عن **الأندلس**، فعظم عليه أمرها، و قال له:" قد تركت الروم و راء ظهرك، و ما أمامك إلا البربر"[4]، " و هم في عدد لا يعلمهم إلا الله"[5]، فسألهم عن موضعهم، فقيل له: " السوس الأدنى"، و هو جنوب **طنجة**، فتوجه نحوه، و قاتل البربر، ثم رحل إلى السوس الأقصى، و هزم من بها من البربر، و غنموا أموالهم، و سبوا نساءهم[6]، و هرب من بقي منهم، ثم رحل عقبة حتى وصل البحر المحيط، فانتهى إليه ، و اقتحم فرسه فيه، ثم نادى بأعلى صوته و رفع يديه إلى السماء و قال:" يا رب لولا أن البحر منعني، لمضيت في البلاد إلى مسلك ذي القرنين مدافعا عن دينك، مقاتلا من كفر بك"[7].

ويقال إن عقبة نزل **درعة**، ثم بلاد **صنهاجة**، ثم إلى بلاد **هكسورة** ،ثم نزل **أغمات وريكة** ، ووصل إلى **إيجلي** بالسوس.

استشهاد عقبة :

ثم رجع عقبة إلى المغرب الأوسط يريد **إفريقية**، وسار حتى انتهى إلى مدينة **طبنة**، وبينها وبين

---

(1) الدباغ: المصدر السابق ص45-46 ، و نص الخطبة ببعض التغيير في الرقيق: المصدر السابق ص43-44.

(2) ابن عذارى : البيان ج1 ص25.

(3) ابن عذارى : المصدر السابق ج1 ص26 ،ابن الأثير:الكامل ج4 ص106، النويري: نهاية الأرب ج24 ص27.

(4) ابن عذارى : المصدر السابق ج1 ص26 ، النويري: المصدر السابق ص27.

(5) الدباغ: المعالم ص 46.

(6)الدباغ: المصدر السابق ص46.

(7) ابن عذارى : المصدر السابق ج12 ص27، النويري: المصدر السابق ج24 ص28، ابن الأثير: المصدر السابق ج4 ص106 جاء فيه:"يا رب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهدا في سبيلك"، و في المعالم ص47:" اللهم أشهد أني قد بلغت المجهود، و لولا هذا البحر، لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك، حتى لا يعبد أحد من دونك".

مدينة **القيروان** ثمانية أيام[1]، ولما رأى عقبة رُعب البربر من جيشه، وهروبهم في كل جهة، ظن أن عقدهم انفرط، ولا يمكنهم الاجتماع بعد ذلك، أمر أصحابه أن يتقدموا فوجا بعد فوج إلى **إفريقية**، وتمت عملية الرجوع لتلك الأفواج، و بقي عقبة، واتجه إلى **تهودة**، ولما علم الروم بقلة من تبقى من الجند مع عقبة، راسلوا البربر وزعيمهم كسيلة، الذي هرب من معسكر عقبة، و التقوا على قتاله ومناجزته، و قام الروم بسب و شتم عقبة و هم محصنون، و هو يدعوهم إلى الله عز و جل، فاجتمع كسيلة بمن معه من جيوش البربر، إضافة إلى الروم، و أحاطوا بالمسلمين، و كان أبو المهاجر مصفدا في الحديد، فأطلقه عقبة، و أمره بالالتحاق بالقيروان، وقال له:"الحق بالمسلمين فقم بأمرهم، و أنا أغتنم الشهادة"، فقال له أبو المهاجر :" وأنا أغتنم ما اغتنمت"[2]، فأمر عقبة من كان معه فكسروا أغماد سيوفهم، و ترجلوا،و قاتلوا قتالا مريرا، و استشهد معظمهم، ما عدا بعضا منهم، ففداهم صاحب **قفصة** و أرسلهم إلى **زهير بن قيس البلوي** الذي خلفه عقبة أميرا على القيروان،و كانت موقعة **تهودة** سنة 64هـ.

وبعد هذه الوقعة تقوت جموع البربر و من معهم من الروم، و توجه كسيلة إلى مدينة **القيروان** وانتزعها من أيدي المسلمين، بعد أن اضطر زهيرا في حمأة هذه الأحداث التي فلَّت عضد المسلمين، و لم يستطيعوا الصمود و البقاء في **القيروان**، إلى الانصراف نحو **برقة**، و أقام بها مرابطا[3]، تاركا المدينة لكسيلة و جيشه.

ويبدو أن كسيلة إنما قام بهذه المعركة كرد فعل قوي ضد شخص عقبة الذي أهانه أمام قومه و هو زعيمهم، و لم يكن في نيته قتل المسلمين إذ أنه أسلم و حسن إسلامه[4]، و نظرا لما تعرض له من من طرف عقبة فإنه أراد أن يسترد كرامته بقتله ، و الدليل على ذلك أنه لما قرب من مدينة **القيروان** ، خرج من كان فيها هاربين " فأمن كسيلة من بقي بالقيروان من المسلمين"[5]، و أقام "أميرا على سائر **إفريقية** والمغرب، و على من فيه من المسلمين إلى أن ولي الخلافة عبد الملك بن مروان"[6].

ولا شك أن الأحداث التي حدثت في هذا العهد في المشرق بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان بين يزيد ولي عهده و بين الحسين بن علي و قتله ، ثم صراعه مع عبد الله بن الزبير و الصراعات العسكرية التي كانت بينهم فقد ألقت بظلالها على المغرب الإسلامي و كان كسيلة يتابعها فتزيد في صموده و قوته

---

(1) النويري: المصدر السابق ج24 ص29.

(2) النويري: نهاية الأرب ج24 ص31، ابن عذارى : البيان ج1 ص29، ابن الأثير: الكامل ج4 ص108،107.

(3) ابن الأثير : المصدر السابق ج4 ص108، ابن عذارى : المصدر السابق ج1 ص26.

(4)ابن الأثير : المصدر السابق ج4 ص107.

(5) ابن عذارى : المصدر السابق ج1 ص31.عند النويري: المصدر السابق :"فقصد القيروان و بها أصحاب الأثقال و الدراري من المسلمين فطلبوا الأمان من كسيلة فأمنهم" ج24 ص 31.

(6) ابن عذارى : المصدر السابق ج1 ص31.

وتدفعه إلى الإقدام دون خوف ولا وجل وهو يعلم أن مركز الإمداد يعيش ظروفه التعسة لا يستطيع أن يسعف نفسه بله إسعاف غريمه عقبة في المغرب ، وكان عقبة رغم بطولته لا يستطيع أن يطلب مددا من الخلافة وهي في هذه الظروف، وكذا كان الأمر بالنسبة لزهير الذي تراجع نحو **برقة** يترقب انفضاض هذه المشاكل، وسوف نرى أن الفتن التي حدثت بين المسلمين في المشرق بعد ذلك كانت مؤقتا سببا في تراجع أو تباطؤ عمليات الفتح و استمرارها في المغرب الإسلامي، و شجعت الروم و البربر المتحالفين للهجوم على المسلمين و محاولة الاستيلاء على ما فتحه المسلمون ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

و في سنة 65هـ ولي عبد الملك بن مروان ، و لما اشتد سلطانه اجتمع عليه أكابر المسلمين وسألوه تخليص إفريقية و من بها من المسلمين من كسيلة، و أشير عليه بإنفاذ زهير بن قيس البلوي لأنه صاحب عقبة و هو أعلم بأحوال **إفريقية**.

د – و لاية زهير بن قيس البلوي و قتل كسيلة(69هـ):

[حملة إعادة الاعتبار والثقة للجيش الإسلامي]

لما وُلي عبد الملك بن مروان و قوي أمره، عرض عليه المسلمون تخليص **إفريقية** من حكم كسيلة، فاستشار وزراءه، فاجتمع رأيهم على تقديم زهير بن قيس البلوي، وقالوا:"هذا صاحب عقبة، وأعلم الناس بسيرته و تدبيره، و أولاهم بطلب دمه "[1]، فأمر عبدُ الملك زهيرا و هو في **برقة** بالتوجه إلى **إفريقية** على أعنة الخيل، لإنقاذ **القيروان**، و لكن زهيرا كان على دراية بحجم قواته مقابلة بقوات كسيلة، فطلب من عبد الملك تزويده بإمدادات من جيش المسلين ، فبعث إليه بالخيل، والرجال، والأموال، و وجوه العرب و المسلمين، فجاءته الجيوش تترى .

وأقبل زهير سنة69هـ[2] بجيش عظيم متوجها نحو **القيروان** ، و لما سمع به كسيلة الذي خالط الإسلامُ قلبه، ولم يرد أن يجرَّ على المدينة حرب إبادة، دعا أشراف البربر وقال لهم:" إني رأيت أن أرحل عن هذه المدينة، فإن بها قوما من المسلمين لهم علينا عهود ، ونحن نخاف إن أخذنا القتال معهم أن يكونوا علينا، ولكن ننزل على موضع **ممس**، وهي على الماء، فإنَّ عسكرَنا خلق عظيم، فإن هزمناهم إلى أطرابلس، قطعنا آثارهم، فيكون لنا الغرب إلى آخر الدهر، وإن هزمونا، كان الجبل منا قريبا، والشعراء، فنختص بهما".[3]

والحق أن هذا العذر الذي قدمه كسيلة لأشراف البربر لم يكن خوفا من المسلمين الذين لا

---

[1] ابن عذارى : المصدر السابق ج1 ص31.، النويري : المصدر السابق ج 24 ص 32.

[2] ابن الأثير: الكامل ج 4 ص108.

[3] البيان ج 1 ص 32 و ابن الأثير: الكامل ج 4 ص 108 –109، الدباغ: معالم ص 52.

يزالون **بـالقيروان**، لأنـه يستطيع أن يُفنيهم، أو أن يجعلهم فـي يده أسرى، إذا مـا حـاول المسلمون دخول **القيروان**، ولكن إيمانه وإسلامه وعلمه أن المسلمين الذين خالطهم لمدة أربـع عشرة (14)سنة،(من55إلى 69هـ)، لهم دين يحسن به أن ينتشر في ربوع العالم كله، وأنه من غير الأنفة والعزة التي يؤمن بها ، ومن غير الإسلام الذي خالط قلبه أن يكون سببا في مزيد من قتل المسلمين بعدما كان سببا فـي قتل عقبة، لذلك كانت هذه العبارات لأشراف البربر، حتى يُيَسِّر لهم عملية الخروج من **القيروان** دون التشبث بها، وهكذا يكون رأي كسيلة مبني على دراسة نفسية لأصحابه، ولما كان يعتقده من سلامه الدين الإسلامي.

وجـاء زهير، وأقام بظـاهر **القيـروان**[1] أو **بـالقيروان**[2]، وبقـي بهـا ثلاثـة أيـام للراحـة واسـترجاع الأنفاس، والاستعداد للمعركة الفاصلة، ثم رحل زهير إلى موقع كسيلة **بممس**، والتقى الجيشان، واشتد القتال، وكثر القتل بين الفريقين، وانتهت المعركة بقتل كسيلة وجماعة من أصحابه، وفرَّ من بقي منهم، وقتلوا قتلا ذريعا ، "وأفنى المسلمون رجال الروم"[3]المتحالفين معهم، وتبعوا البربر ومن بقي من الروم فقتلوا من أدركوا منهم، و في هذه الوقعة كما يقول ابن الأثير" ذهب رجال البربر والروم وملوكهم وأشرافهم"[4]، وعاد زهير إلى القيروان بعد أن قضى على عنصرين من أشد عناصر المقاومة وهما الروم والبربر البرانس(المستقرين في السهل الساحلي المتأثرين بالحضارة البيزنطية والمسيحية)، وقد أبان السلاوى في كتابه الاستقصا نتائج حملة زهير بقوله:" وفي هذه الواقعة ذل البربر، وفنيت فرسانهم ورجالهم، وخضدت شوكتهم، واضمحل أمر الفرنجة فلم يعد، وخاف البربر من زهير والعرب خوفا شديدا، فلجئوا إلى القلاع والحصون، وكُسِرت شوكة **أوْربـة** من بينهم، واستقر جمهورهم بديار المغرب الأقصى، وملكوا مدينة وليلى"[5].

بعد رجوعه إلى مدينة **القيروان**، نظم زهير إدارتها، وأقام عليها كثيرا من أصحابه، ثم زهد في المقام بها بعدما رأى فيها من الملك العظيم وقال:" إني ما قدمت إلا للجهاد، وأخاف أن تميل بي إلي الدنيا فأُهلك"[6]، وكان من رؤساء العابدين، وكبراء الزاهدين، فغادر **القيروان**، ورحل نحو المشرق باتجاه **برقة**.

ويبدو أن عيون الروم كانت تراقب حركة سير الجيش الإسلامي، فلما علموا بعودة زهير من

---

(1) النويري: ج 24 ص 33.

(2) المالكي:رياض النفوس ج 1 ص 30.

(3) الدباغ : معالم ص 53.

(4) ابن الأثير: الكامل ج 4 ص 109.

(5) ج 1 ص 91.

(6) ابن عذاري: المصدر السابق ج 1 ص 32.و انظر النص مع بعض الاختلاف في الدباغ : المصدر السابق ص53، وابن الأثير: المصدر السابق ج 4 ص109. النويري: نهاية الأرب ج24 ص33.

القيروان باتجاه برقة ،أعدوا جيشا كبيرا ، و خرجوا من جزيرة **صقلية** في مراكب كثيرة، و قوة عظيمة، "فأغاروا على برقة، فأصابوا بها سبيا كثيرا، وقتلوا، ونهبوا"[1]، وفي هذه الأثناء كان جيش زهير على مقربة من **برقة**، فأُخبِر بخبرهم، فأمر عسكره بالمسير إلى الساحل طمعا أن يدرك سبي المسلمين فيستنقذهم، فأشرف على الروم، وإذا هم في خلق عظيم، فلم يقدر على الرجوع، وقد استغاث به المسلمون وصاحوا، والروم يُدخلونهم المراكب، فنادى بأصحابه النزول فنزلوا، وكانوا أشرف العابدين، ورؤساء العرب المجاهدين ،أكثرهم من التابعين، فنزل الروم إليهم وتلقوهم بعدد عظيم، والتحم القتال، وتكاثرت عليهم الروم، فقُتل زهير رضي الله عنه وأشراف من كان معه من العرب، ومضى المسلمون إلى **دمشق**، فدخلوا على عبد الملك بن مروان فأخبروه أن أميرهم وأشراف رجالهم قد استشهدوا فعظم ذلك عليه، لفضل زهير ودينه، وكانت مصيبته مثل مصيبة عقبة قبله"[2]، وكان ذلك سنة(69هـ)[3].

هـ- حملة حسان بن النعمان" الأولى"[4] سنة(74هـ).

بعد استشهاد زهير بن قيس، وبعد أن حسم عبد الملك بن مروان ما كان بينه وبين ابن الزبير(قُتل سنة 73هـ)، اجتمع أشراف العرب و سألوه أن يوجه لإفريقية من يسد ثغرها، و يعيد هيبتها، فقال لهم عبد الملك:" ما أرى أحد كفؤا لإفريقية كحسان بن النعمان"[5] .

قدم حسان إلى **إفريقية** سنة 74هـ[6] بجيش عظيم، قدره ابن عذارى ب40 ألف[7] ، و كان أول الأمر قائما في **مصر**، ثم كتب إليه يأمره بالنهوض إلى **إفريقية** و يقول له:" إني قد أطلقت يدك في أموال **مصر**، فأعط من معك، و من ورد عليك، و أعط الناس، و اخرج إلى بلاد **إفريقية** على بركة الله

---

(1) ابن عذاري: المصدر السابق ج 1 ص33..أما ابن الأثير في الكامل ج4 ص109، والنويري في نهاية الأرب ج24 ص33، فيرون خروج الروم إلى برقة بعد ما غادرها زهير متوجها نحو إفريقية (القيروان) لملاقاة كسيلة، و الظاهر أن هذا الرأي لا يتفق مع الاستعداد الحربي و العسكري الذي لم يبده زهير، و قتل في هذه المعركة غير المتكافئة ، فلو أن زهيرا كان يعلم بوجود الروم عند مغادرته برقة، أو حتى و هو في القيروان، لكان استعداده للمعركة معهم في برقة استعدادا كاملا، و لكن المباغتة التي استعملها الروم وهو عائد إلى برقة بجيش لم تكن مهمته القتال، لأنه كان راجعا إلى المشرق، هي التي كانت وراء استشهاده رضي الله عنه.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق ج 1 ص33.الدباغ: ص54 ، ابن الأثير: ج4 ص 110.

(3) ابن الأثير: الكامل ج4 ص 110- 369.

(4) حسان بن النعمان بن المنذر الغساني، كان بطلا شجاعا افتتح المغرب [...]وهذب الإقليم[...] و كان يدعى الشيخ الأمين لثقته و جلالته ، توفي سنة 80هـ ،انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء ج4 ص158.

(5) ابن عذاري: البيان ج1 ص33 الدباغ: معالم ص 55

(6) ابن الأثير: الكامل ج4 ص369.

(7) البيان: ج1 ص34.

وعونه"[1].

وكانت الرؤية العسكرية عند حسان أن يحارب جبهتين قويتين، **شمالية وقاعدتها قرطاجنة**، ويحميها جيش من الروم بمساندة البربر، **وجبهة جنوبية بقيادة أعظم زعماء البربر وقتئذ، و هي الكاهنة الزناتية، الجراوية**، صاحبة جبل الأوراس.

دخل حسان بن النعمان **إفريقية** بجيش عظيم " لم يدخل **إفريقية** قط جيش مثله"[2]، و انضم **إليه عدد آخر من المسلمين البربر، يقودهم هلال بن ثروان اللواتي**[3].

وبدأ حسان جهوده في الفتح **في الجبهة الشمالية حيث قرطاجنة**، و يذكر ابن عذاري أن حسان لما وصل القيروان سأل أهل إفريقية :" من أعظم الملوك قدرا؟"، فقالوا:" صاحب **قرطاجنة** دار ملك إفريقية"[4]، فتوجه إليها، و كان بها ما لا يحصى من الروم و البربر، فقاتلهم و حصرهم و قتلهم قتلا ذريعا، فلما رأوا ذلك هربوا في مراكبهم، و اتجه بعضهم إلى **صقلية**، و بعضهم إلى **الأندلس**[5]، ثم دخلها حسان و أعمل في أهلها السيف، و سبى، و نهب، و "أرسل الجيوش فيما حولها، فأسرعوا إليه خوفا، فأمرهم فهدموا من **قرطاجنة** ما قدروا عليه"[6].

ويبدو أن حسان أراد أن يريح الروم من التفكير في العودة إلى **قرطاجنة** ، فأمر بهدمها أو هدم مااستطاع عليه منها، لأنها كانت تشكل خطرا على المسلمين، و لكن فلول الروم والبربر عاودوا الاجتماع في مدينتي **صطفورة** و **بنزرت**، فسار إليهم و قاتلهم، و لقي منهم العنت ،والشدة، والقوة، وصبر لهم المسلمون، فانهزمت الروم، و أكثر فيهم القتل، واستولى على بلادهم، و لم يترك موضعا من بلادهم إلا وطئه، فخافه أهل إفريقية خوفا شديدا، ولجأ من فر منهم إلى مدينة **باجة**، و تحصنوا بها، كما اتجه البربر إلى **بونة** و تحصنوا بها، و عاد حسان إلى **القيروان** حتى اندملت جراح[7] الجيش ، ثم بدأ يفكر في الجبهة الثانية و هي مشكلة البربر، **بقيادة داهية**[8] **بنت ماتية بن تيغان، ملكة جبل أوراس.**

---

(1) نفسه:ج1 ص34 والنويري: نهاية الأرب ج24 ص34.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق ج4 ص396، و ابن عذاري: المصدر السابق ج1 ص34.

(3) ابن عبد الحكم: فتوح ص 270. عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج2 ص242.

(4) ابن عذاري: المصدر السابق ج1 ص34.

(5) ابن الأثير: المصدر السابق ،ج4 ص369، النويري: المصدر السابق ج24 ص35 .

(6) نفس المصادر والمكان.

(7) ابن الأثير:الكامل ج4 ص369،النويري: نهاية الأرب ج24 ص35.(النويري ينقل حرفيا من الكامل ويشير إلى ذلك).

(8) و هي الكاهنة، كانت تخبرهم بأشياء من الغيب و لهذا سميت الكاهنة الكامل ج4 ص370، و اختلف هل كانت يهودية أو وثنية و الظاهر أنها كانت وثنية لقول المالكي :" معها صنم عظيم من خشب كانت تعبده يحمل بين يديها على جمل"المعالم ص60.

بعد ما انتهى حسان من جبهة الروم واستراح الجيش، عزم على تصفية الجبهة الثانية بقيادة الكاهنة فقال للناس:" دلوني على أعظم من بقي من ملوك **إفريقية**"[1]، فدلوه على الكاهنة ملكة البربر[2]، و هي بجبال أوراس قد اجتمع عليها البربر بعد مقتل كسيلة[3]، و أشادوا بقوتها، و طاعة البربر لها، وخوف روم **إفريقية** منها، و قالوا له" فإن قتلتلها دان لك المغرب كله، و لم يبق لك مضاد و لا معاند"[4].

تجهز حسان و اتجه صوب الكاهنة، فلما علمت به ظنت أن وجهته مدينة **باغاية** ليتحصن بها، فسبقته إليها و هدمت حصنها[5]، و علم حسان بحركة الكاهنة، فنزل بوادي **مسكيانة**[6] ، و لحقته الكاهنة إلى أسفل الوادي، و لم تبدأ المعركة حتى أصبح الصباح، بعد ليلة بات الفريقان فيها على سروجهم، و تقاتل الفريقان قتالا شديدا، و صبروا صبرا كبيرا، إلى أن دارت المعركة على حسان، فهُزم جيشُه، و قَتلت الكاهنة المسلمين قتلا ذريعا، وأسرت ثمانين من أعيان أصحابه[7]، منهم **خالد بن يزيد، واتبعت حسان حتى خرج من قابس**، فكتب حسان إلى عبد الملك بن مروان يخبره بذلك، و كان يتمهل السَّير، حتى جاءه رد أمير المؤمنين بالمكوث حيث وافاه كتابه، و قد وافاه في حدود برقة، فابتنى هناك قصرا لنفسه[8]، و قصورا لمن كان معه، وسمي ذلك الموضع بقصور حسان[9].

وقد لاقى حسان من الكاهنة ما لم يكن يتوقعه، إذ قُتل من جيشه الكثير، وهلع الناس من حوله، وتراجعت عملية الفتح خطوات إلى الوراء، و قد أورد ابن عذاري الحالة النفسية التي كان عليها حسان بعد لقائه و انهزامه أمام الكاهنة، في نص الكتاب الذي بعثه إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، جاء فيه :" **إن أمم المغرب ليس لها غاية، و لا يقف أحد منها على نهاية، و كلما بادت أمة خلفتها أمم، و هي من الجهل و الكثرة كسائمة النعم**"[10]وهذا التعبير الحربي في حقيقته يسلط أشعة فاحصة حول

---

[1]ابن الأثير: المصدر السابق ،ج4 ص369، النويري: المصدر السابق ج24 ص35.

[2] ابن عبد الحكم: فتوح ص270.

[3] النويري: المصدر السابق ج24 ص35-36.

[4] ابن عذارى:البيان ج1 ص35 أما نص ابن الأثير" إن قتلتها لم تختلف البربر بعدها عليك" ج4 ص370 و النويري ج24 ص36.

[5] النويري: المصدر السابق ج24 ص36..

[6] ابن عذارى: المصدر السابق:ج1 ص36.

[7]البكري: المسالك و الممالك ج 2 ص 179، ابن عذارى: المصدر السابق ج1 ص36 الدباغ: المصدر السابق ص57.

[8] الدباغ: المصدر السابق ص57.

[9] البكري: المسالك و الممالك ج2 ص 179-180، ابن عذارى: البيان ج1 ص36، ابن الأثير:الكامل ج4 ص970، النويري:نهاية الأرب ج24 ص36، و البلاذري: فتوح ص321.

[10] ابن عذارى: المصدر السابق ج1 ص36.

المنطقة التي كانت مسرحا للعمليات العسكرية حيث جيش الكاهنة و كثرته وكثافة عدده ،وقوته وشدة بأسه ،في مقابل جيش حسان الذي يظهر في هذه المعركة أنه وصل إلى حالة من الذهول والإحباط ومن جانب آخر وعن المعاناة التي كان يكابدها جيش الفتح.

استقر المقام بحسان في **برقة**، بعد أن استخلف على **إفريقية** رجلا يقال له أبو صالح، و بقي بها مدة خمس سنين[1] ، كانت هي المدة التي تحكَّمت فيها الكاهنة في أرجاء **إفريقية** ، وأساءت السيرة في أهلها[2]، ولكنها لم تتعرض **للقيروان** بسوء، و كانت كما مر قد أسرت ثمانين رجلا من أصحاب حسان، فأكرمتهم ثم أطلقت سراحهم[3] ، و حبست عندها **خالد بن يزيد القيسي**، و كان شريفا شجاعا، فقالت له يوما:" ما رأيت في الرجال أجمل منك و لا أشجع ، وأنا أريد أن أرضعك، فتكون أخا لولديّ، وكان أحدهما **بربري، و الآخر يوناني**، و قالت له:" نحن جماعة البربر لنا رضاع، إذا فعلناه نتوارث به"، فعمدت إلى دقيق الشعير فلتته بزيت[4] ، و جعلته على ثدييها، و دعت ولديها و قالت:" كلا معه على ثديي، ففعلا، فقالت: قد صرتم إخوة"[5].

إذن بقي حسان **ببرقة** خمس سنين يتحين الفرصة لمعاودة الهجوم على الكاهنة، وقد ساعده وجود خالد بن يزيد في هرم قيادة الكاهنة مع ابنيها، في تحسس قوتها، والكتابة إليه حتى يتيسر له الحال بالعدة اللازمة من الخلافة، وبعد أن رأى بعينيه (خالد بن يزيد) تفتت قوة الكاهنة ، أشار على حسان بالإسراع إلى مناجزة الكاهنة.

و- حملة حسان بن النعمان الثانية (79هـ-85هـ):

كان لخالد بن يزيد الذي تبنته الكاهنة دورا أساسيا في نقل معلومات القيادة البربرية بالسرية اللازمة إلى حسان بن النعمان المقيم في قصوره ببرقة، فقد أورد ابن عذارى أن خالدا كان يراسل حسان بكتب ويتستر عليها بمختلف الطرق، منها وضعه الكتاب في خبزة و جُعلت زادا لمبعوث حسان[6]، ووضعه في أخرى الكتاب في قربوس السرج[7].

---

(1) نفسه:ج1 ص36، وانظر ابن الأثير: المصدر السابق ج4 ص370، النويري: المصدر السابق ج24 ص36.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق ج4 ص370-371، النويري: المصدر السابق ج24 ص36.

(3) ابن عذارى: المصدر السابق ج1 ص37، و لكن الدباغ في المعالم ص57 يقول أساءت لهم إلا خالد.

(4) الدباغ يقول أن"البربر تسمي ذلك البسيسة" المعالم ص57.

(5) ابن عذارى : المصدر السابق ج1 ص37ن وانظر النص بمعناه في الدباغ: المعالم ص57، بينما ابن الأثير في الكامل ج4 ص370، و النويري في نهاية الأرب ج24 ص36 يقولان:"فاتخذته ولدا".

(6) ابن عذارى: البيان ج1 ص37، ابن الأثير: الكامل ج4 ص371،الدباغ: المعالم ص38

(7) ابن الأثير: المصدر السابق ج4 ص371، الدباغ : المصدر السابق ص38

ويمكن أن نتصور بأن هذه المراسلات لم تكن رسمية إلا عندما اقترب موعد الإطاحة بالكاهنة، وبعد الذي رآه خالد بن يزيد من تململ في صفوف جنودها، و خاصة أنها عملت على تخريب **إفريقية** خرابا لا نظير له، فقد كانت تظن أن العرب إنما جاؤوا من أجل الغنائم و السلب، و كانت **إفريقية** " ظلا واحدا، من **طرابلس** إلى **طنجة**، و قرى متصلة، و مدائن منتظمة، حتى لم يكن في أقاليم الدنيا أكثر خيرات، ولا أوصل بركات، ولا أكثر مدائن و حصونا، من إقليم **إفريقية** و المغرب، مسيرة ألفي ميل في مثله"[1]، فقالت الكاهنة لقومه:" إن العرب إنما يطلبون من **إفريقية** المدائن و الذهب و الفضة، و نحن إنما نريد منها المزارع والمراعي، فلا نرى لكم إلا خراب بلاد **إفريقية** كلها، حتى ييأس منها العرب، فلا يكون لهم رجوع إليها إلى آخر الدهر"[2]، و فرقت أصحابها فخربوها، و هدموا الحصون، و قطعوا الأشجار، ونهبوا الأموال[3]، وجعله ابن الأثير الخراب الأول **لإفريقية**[4].

وهذه الحادثة، أو هذا الخراب الذي كانت تظن الكاهنة أنها خطة لصرف نظر المسلمين عن بلاد **إفريقية**، قد أحدثت رعبا كبيرا، واستياء بالغا في صفوف الروم و البربر، الذين سارعوا إلى الهرب، وتفرقوا على الأندلس، و سائر الجزر البحرية[5].

نعود إلى خالد بن يزيد الذي كان في محيط الكاهنة، وكانت له دراية كاملة في هذه السنين بأحوال البربر و قيادتهم، و لما كانت سنة 79هـ توافد على حسان مدد من قبل أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، فنشط لملاقاة الكاهنة، وبعث رسولا من قبله إلى خالد بن يزيد و قال له:" إن حسان أرسلني إليك، وهو يقول لك ما منعك من الكتب إلينا بخبر الكاهنة؟" ، فكتب يزيد إلى حسان كتابا مع رسوله، وجعله في خبزة قد أنضجها، و مضى الرسول بها، حتى قدم على حسان ،فقرأه، فإذا فيه كل ما يحتاج من أخبار الكاهنة، يقول فيه:" إن البربر يعقدون عساكرهم بالنهار، و يفترقون بالليل، ليس لهم حزم في الرأي، و إنما ابتلينا بأمر قدره الله و أكرم به من أراد منا بدرجة الشهادة، فإذا نظرت في كتابي هذا فاطْو المراحل، و جُدّ السير، فإن الأمر إليك، و لست أسلمك إن شاء الله تعالى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"[6].

ويقال إن هذا الكتاب احترق بالنار، ورجع رسول حسان إلى خالد و كتب إليه كتابا و أودعه

---

(1) ابن عذارى: المصدر السابق ج1 ص36.

(2) نفسه ج1 ص36 و ذكر النص تقريبا في الكامل ج4 ص371، نهاية الأرب ج24 ص36، معالم ص59.

(3) النويري: المصدر السابق ج24 ص36-37.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق ج4 ص371.

(5) ابن عذارى: المصدر السابق ج1 ص37.

(6) الدباغ: معالم ص58.

قربوس[1] السرج.

ولما ورد كتاب خالد على حسان، و جاءه أمر عبد الملك بن مروان بالمسير إلى **إفريقية**[2] ، سار بجيش كثيف باتجاه الكاهنة، و لقيه في الطريق جمع من الروم يستغيثون به، و يشكونه الكاهنة[3] ، فاتجه صوب **قابس**، فأطاعه أهلها، و قدموا له فروض الولاء، ونصيبا من المال، و جعل فيها عاملا له، ثم ترك الطريق الساحلي، و توجه إلى **قفصة**، فاستولى عليها وعلى **قسطيلية** و **نفزاوة**[4].

ولما علمت الكاهنة بقدوم حسان وجيشه الضخم، وانفراط عقدها مع قومها، وتحولهم عليها، وأنها لم تعد تتصرف في جيشها كما كانت في السابق، علمت أن المسلمين عازمون على إنهاء مقاومتها، وعلمت أنها مطلوبة، و أن قتلها بات قاب قوسين أو أدنى، رحلت من جبال أوراس[5] وتنبأت بقتلها، ولكن الأمومة الفطرية تحركت في أعماق الكاهنة رغم قساوتها على نفسها فأحضرت ولديها وخالد بن يزيد وقالت لهم :"إنني مقتولة، فامضوا إلى حسان، و خذوا لأنفسكم منه أمانا"[6]، فركب خالد و ولديها في الليل، و توجهوا إلى حسان، بعد أن نصحوها بالخروج من البلاد و تركها لحسان و امتناعها عن ذلك، ورأت إن فعلت ذلك سيلحق قومها عارُ إلى آخر الدهر[7] .

ولما وصل خالد و ولداها إلى حسان، قدم خالدا على أعنة الخيل، و وكل بولديها من يحفظهما، وبقيا معه، و سار حسان نحو الكاهنة، و اقتتل الفريقان قتالا شديدا" حتى ظن الناس أنه الفناء"[8]، ثم نصر الله المسلمين، و انهزمت الكاهنة، و اتبعها المسلمون حتى أدركت، فقُتلت عند بئر يسمى بئر الكاهنة[9].

وبعد انتهاء المعركة الفاصلة، تجمع فلول البربر مع الروم، و قاتلوا حسانا، و استطاع أن يهزمهم، فطلبوا منه الأمان فلم يقبل إلا بشرط أن يسلموا، و يقدموا من قبائلهم اثني عشر ألفا يكونون

---

[1] نفسه ص58 و ابن الأثير: الكامل ج4 ص370، ولكن ابن عذارى لم يذكر ذلك و اكتفى بأن الكتاب قد تم تقديمه فعلا إلى حسان.

[2] الدباغ: المصدر السابق ص59.

[3] ابن الأثير: المصدر السابق ج4 ص371.

[4] نفسه.

[5] ابن عذاري: البيان ج1 ص37.

[6] ابن الأثير: المصدر السابق ج4 ص371، مسألة الأمان الذي طلبت الكاهنة من ولديها أن يأخذاه من حسان ورد في المعالم ص60، البيان ج1 ص38.

[7] ابن عذاري المصدر السابق:ج1 ص38، الدباغ: المصدر السابق ص60.

[8] ابن الأثير: المصدر السابق ج4 ص372.

[9] الدباغ:معالم ص61، وابن الحكم: فتوح ص271.

عونا للعرب ، و يجاهدوا معه، فأجابوه إلى ما اشترط، و أسلموا على يديه"[1]، فعقد لولدي الكاهنة بعد إسلامهما لكل واحد ستة ألاف، و أصبحوا مسلمين يجولون في المغرب، يقاتلون الروم، و من كفر من البربر، و أصبح البربر منذ ذلك الحين يساهمون في نشر الإسلام، و حماية بيضة المسلمين.

ويبدو أن هذا الشرط الذي اشترطه حسان بإدخاله 12 ألفا من البربر في جيشه، لم يكن شرطا غير مدروس، فمن غير المعقول إدخال هذا العدد في جيش المسلمين، دون التأكد من صفاء سريرتهم ،وحسن إسلامهم، و لا شك أن الذين كانوا يحاربونه مع الكاهنة، لم يكونوا وثنيين كملكتهم، بل كانوا مسلمين يحاربون عصبية لقومهم لا مقاومة للإسلام، و قد كان منهم من أسلم على عهد كسيلة، و بعد أن تم قتل الكاهنة، علم هؤلاء البربر المسلمون أن مهمتهم العصبية قد زالت بعد مقتلها، و أن اشتراط حسان مثل هذا الشرط يؤكد أن خالد بن يزيد ربما كان وراء ذلك باعتباره يعلم خفايا جيش الكاهنة ونظرتهم تجاه الاسلام وادراكه انهم على مسافة قريبة من الاسلام. وهو دليل على رحابة صدر حسان، وسياسته الحكيمة في اجتذاب عدد أكبر من البربر إلى الإسلام، و هو ما لاقى قبولا و استحسانا عند البربر، فأصبحوا ضمن جيش حسان، يجاهدون في سبيل الله ، بعد أن حملهم مسؤولية نشر الإسلام كباقي العرب المسلمين.

ويروى أن حسان ذهب بعدها إلى **قرطاجنة** و قاتل أهلها ثلاثة أيام فلم يقدر عليها ، ثم شدد عليهم الخناق و هزمهم، حتى طلبوا الصلح، و أن يضع عليهم الخراج، فوافقهم على ذلك، غير أنهم وضعوا أموالهم، و أمتعتهم ، و أثقالهم، في مراكبهم المعدة لوقت الحاجة، و هربوا ليلا[2] من باب النساء إلى جزيرة صقلية، و لم يكن حسان على علم بذلك، فلما كان الصباح و جدوا المدينة خالية، فدخلها وبنى بها مسجدا[3].

وانتشر الإسلام في البربر، و عم نوره أرجاء **إفريقية**. وانصرف حسان إلى مدينة **القيروان** في رمضان من سنة 82هـ[4] ، **و بدأ في عمليات الإصلاح الإداري و السياسي، " فدون الدواوين، وصالح على الخراج، و كتبه على عجم إفريقية، و على من أقام معهم على دين النصرانية"**[5].

أهم أعمال وإنجازات حسان بن النعمان:

1- **التنظيم السياسي:**

بعد أن قضى حسان على الروم في **قرطاجنة**، و الكاهنة في جبال أوراس، وفشا الإسلام في

---

(1) ابن عذاري:البيان ج1 ص38.

(2)الدباغ المصدر السابق ص62.

(3) الدباغ: المصدر السابق ص62. البكري: المغرب ص 37.

(4) ابن عذاري: المصدر السابق ج1 ص38.

(5) نفسه، وابن عبد الحكم: المصدر السابق ص271.

البربر، وبعد تحسن العلاقات بين الفاتحين والبربر، و امتزاجهم بروح الإسلام ،و إشراكه البربر في القيادة والجيش،، كان من أوليات ما بدأ به حسان أن ساوى بين العرب و البربر، و أصبح للبربر المسلمين ما للعرب المسلمين الفاتحين" وصارت الخطط **بإفريقيـة** للبربر، فكان يقسم الفيء و الأراضي بينهم"[1]، وكان لهذه السياسة الإسلامية أثر عظيم في تجذر الإسلام، و اتساع نشره في باقي ربوع البربر.

2- التنظيم الإداري:

قام من الناحية الإدارية بتنظيم شؤون المدينة فدون الدواوين، واتخذ السجلات، والموظفين، وكتابة الرسائل، مما يعطي صورة واضحة على رؤية منهجية لإقامة الدولة وحسن تسييرها.

3-التنظيم العمراني:

لما استقر حسان بمدينة **القيروان** عمرها المسلمون، و بنوا بها المساجد، وانتشروا فيها، و كثروا، وقام حسان بتجديد مسجدها الجامع[2] دون أن يمس محرابه، و حمل إلى المسجد" السارين الحمراوين الموشاتين بصفرة اللتين لم ير الراءون مثلها من كنيسة كانت للأول"[3] ، ولم يرد المسلمون استبدالهما بوزنهما ذهبا بطلب من صاحب **القسطنطينية.**

أما **قرطاجنة** فقد باتت مشكلة مستطيرة للمسلمين، إذ أنه بعد فتحها صلحا في المرة الأخيرة، وهروب أهلها في المراكب، أغار الروم مرة أخرى من البحر على من كان بقي من المسلمين في **ترشيش** القريبة من **قرطاجنة**، فقتلوا، و سبوا، و غنموا، و كانت **ترشيش** مكانا قد عسكر فيه المسلمون، و لم يكن ما يحصنهم من عدوهم، و لما بلغ ذلك حسان أرسل أربعين رجلا من أشراف العرب إلى عبد الملك بن مروان، و كتب إليه بما نال المسلمين من الروم.

لا شك أن هذه المشكلة كانت تؤرق حسان، الذي أدرك خطر الروم، و خطر ما تشكله مدينة **قرطاجنة** بالنسبة للمسلمين، رغم فتحها عدة مرات، لأن الروم الذين عاشوا فيها، يعرفون مسالكها البحرية و البرية، و يستطيعون الإغارة عبرها ثم الرجوع سريعا، فكان من رأي حسان و بعد نظره بناء مدينة جديدة بحرية وقريبة من **قرطاجنـة**، وكان يهدف من وراء ذلك إلى ضرب التفوق البحري للروم، ببناء دار لصناعة السفن فيها، فيكون على مأمن من الروم، و يستطيع ملاحقتهم، والإغارة عليهم في سواحل الروم نفسها، وفي أي ظرف، و لذلك عمد إلى مكان قرية صغيرة كانت تسمى **ترشيش**، وبنى بها مدينة **تونس**، إذ تبعد على مدينة **قرطاجنـة** بمسافة 12 ميلا، و على مدينة **القيروان** بمسافة 100ميل، و استطاع أن

---

(1) الدباغ:معالم ص61.

(2) الدباغ: المصدر السابق ص61 ،مجهول: الإستبصار ص114.

(3) البكري: المغرب ص22، مجهول: المصدر السابق ص114.

يصل **مرسى رادس** ببحيرة على حافة تونس بواسطة قناة، وتم الربط بين البحر والبحيرة، واعتمدت كمكان لصناعة السفن، و لقد أبان البكري عن الإستراتيجية التي توختها قيادة المسلمين من بناء مدينة **تونس** بقوله:" فكتب عبد الملك بن مروان إلى أخيه عبد العزيز و هو والي مصر أن يوجه إلى معسكر **تونس** ألف قبطي بأهله وولده، وأن يحملهم من **مصر**، و يحسن عونهم، حتى يصلوا إلى **ترشيش**، و هي **تونس**، و كتب إلى حسان بن النعمان يأمره أن يبني لهم دار صناعة، تكون قوة و عدة للمسلمين إلى آخر الدهر، وأن يجعل على البربر جرَّ الخشب ،لإنشاء المراكب، ليكون ذلك جار عليهم إلى آخر الدهر، وأن يصنع بها المراكب، و يجاهد الروم في البر و البحر، وأن يغار منها على ساحل الروم، فيشتغلوا عن **القيروان**، نظرا للمسلمين و تحصينا لشأنهم، فوصل القبط إلى حسان و هو مقيم **بتونس**، فأجرا البحر من مرسى رادس إلى دار الصناعة، و جر البربر الخشب، و جعل فيها المراكب الكثيرة، و أمر القبط بعمارتها"[1].

- عزل حسان بن النعمان :

بعد أن تمهدت بلاد إفريقية و أمن أهلها، رحل حسان بمن معه من المسلمين بالغنائم و الأموال قاصدا عبد الملك بن مروان[2]، وتروي بعض المصادر أن عبد العزيز بن مروان والي مصر من قبل أخيه عبد الملك بن مروان هو الذي عزل حسان، وأمره بالقدوم عليه[3]، و لما كانت الغنائم كثيرة جدا[4]، و علم حسَّان بنوايا عبد العزيز بن عبد الملك في استئثاره بالغنائم، عمد حسَّان إلى الذهب، والفضة، والجواهر، والياقوت، في قرب الماء، و أظهر ما سوى ذلك من أنواع الدواب، والرقيق، والأموال ، ثم أتى **مصر**، فسلبه عبد العزيز جميع ما كان معه من الغنائم، فلم يعجب ذلك حسان الذي بادر بالرجوع إلى عبد الملك بن مروان[5] في دمشق، و عندما كان بين يديه اشتكى مما فعله أخوه عبد العزيز، فغضب عبد الملك بن مروان من أخيه، ثم أمر حسان بقرب الماء فأفرغ ما فيها من الذهب و الجواهر و الياقوت، فاستعظمه عبد الملك بن مروان، وعجب من أمر حسان، فقال له:"جزاك الله خيرا يا حسان". فقال حسان:" يا أمير المؤمنين إنما خرجت مجاهدا في سبيل الله، وليس مثلي من يخون الله والخليفة"، فقال له الوليد:" أنا أردك إلى عملك، و أحسن إليك، و أنوه بك

---

(1) البكري: المغرب ص38-39

(2) الدباغ:معالم: ص63.

(3) ابن عذاري :البيان ج1 ص38.

(4) قدرها صاحب المعالم" خمسة و ثلاثون ألف فارس من سبي البربر و كان معه من الذهب ثمانون ألف دينار" ص63.

(5) عند ابن عذاري" الوليد بن عبد الملك (ابن اخي عبد العزيز بن عبد الملك)، البيان ج1 ص39.

"، فحلف حسان:" لا أولي لبني أمية أبدا"[1].

وكان لفضل حسان و شجاعته و أمانته يسمى الشيخ الأمين، وأعتقد أن ثمة من خونه، أو رماه بما يخدش سمعته وأمانته، فكان هذا اللقب نوعا من إعادة الاعتبار لشخصه، وجبر لخاطره، بعد أن رُؤي منه خلاف ما ظُّن فيه.

وكانت **إفريقيـة** في هذا الوقت من آمن البلاد، فاستقام أهلها، و انتشر الإسلام بها، و صارت **القيروان** وجميع مدن **إفريقية** دار إسلام.

ز- حملة موسى بن نصير[2]، وإتمام الفتح(86-95)هـ:

بعد رجوع **حسان بن النعمان** إلى **دمشق** ولىَّ **عبدُ العزيز بن مروان موسى بن نصير**، وذلك في أواخر سنة 85هـ أو بداية سنة 86هـ[3]، و يبدو أن هذا التاريخ هو الأقرب إلى الحقيقة ذلك أن **عبد الملك بن مروان** كان مستاءا جدا لمَّا سمع بتولية **موسى بن نصير** من طرف أخيه **عبد العزيز**[4]، لِمَا كان يجده من قبل من الخلل و التقصير و أخذ الأموال النفيسة عندما كان **موسى** مستشارا لأخيه **بشر بن**

---

(1) ابن عذاري: البيان ج1 ص39.

[2] موسى بن نصير: بن عبد الرحمن بن زيد، قيل إنه من لخم ملوك الحيرة، وقيل من بكر بن وائل ، عرب الشمال ،(ابن عذاري: البيان 12ص39) ومنهم من يقول إنه من أسرى عين تمر، الذين أصابهم خالد بن الوليد، أو هو من موالي بن أمية (البلاذري:فتوح البلدان، ص322، مجهول: أخبار مجموعة، ص3)، كان أبوه نصير قائدا على حرس معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أثناء ولايته على الشام، واشتهر بقوة شخصيته، وقوة إيمانه، وحكمته، ولم يساير معاوية فيما ذهب إليه في حربه ضد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مما يؤكد أصالة رأيه، وشجاعته، وحبه لله تعالى حبا جعله ممن يختارون رضوان الله حتى في أصعب الأحوال، فامتنع من الذهاب مع معاوية إلى صفين، فقال له معاوية: " ما يمنعك من المسير معي إلى قتال عليّ، ويدي عندك معروفة"، فقال : "لا أشركك بكفر من هو أولى بالشكر منك وهو الله عز و جل"، فسكت عنه معاوية" (ابن الأثير: الكامل، ج4 ص 539) .

أما موسى فكان صنو أبيه " ذا رأي و حزم" (الذهبي:سير أعلام النبلاء، ج4 ص265)، و كان مستشار أخا الخليفة عبد الملك بن مروان، وهو الشاب الصغير بشر بن مروان والي البصرة، وقيل كان على خراجها، وقد ألقيت عليه تبعات فساد أموالها، فهرب نحو عبد العزيز بن مروان، وكان أثيرا لديه، فتدخل من أجله عند عبد الملك بن مروان حتى عفا عنه، وأقام عند عبد العزيز في الفسطاط، ثم ولي بعدها إفريقية، (ابن قتيبة: الإمامة السياسية، ج2 ص48-49).

[3] ثمة اختلافات كثيرة في تاريخ بداية حملة موسى بن نصير، فابن عبد الحكم يجعلها في سنة 79هـ، وابن الأثير في 89هـ، والنويري سنة 89هـ ناقلا عن ابن الأثير، وابن أبي دينار في المؤنس سنة 88هـ، والمقري في نفح الطيب في88هـ، و عبد العزيز سالم في 85هـ، و لقبال في 86هـ.

[4] انظر ابن عبد الحكم: فتوح ص 274، ابن قتيبة: الإمامة و السياسة، ج2 ص 52.

مروان على **البصرة**، ومعلوم أن **عبد الملك بن مروان** توفي في شوال سنة 86هـ[1]، و أنه عاش بعد أخيه **عبد العزيز** الذي توفي سنة 85هـ أو 86هـ[2]، و لَمَّا جاء نعيه **(نعي عبد العزيز)**، عقد **عبد الملك** بولاية العهد لابنه **الوليد**، ثم **سليمان**[3]، و تتفق كل المصادر على أن تولية **موسى** إنما كانت من طرف **عبد العزيز** والي **مصر**، وهو ما يرجح بشدة هذا التاريخ لتولي **موسى** بلاد المغرب أواخر 85هـ و بداية 86هـ، ويمكن أن تكون الحملة من الناحية العسكرية قد بدأت فعلا في 88هـ..

جاء **موسى بن نصير** واليا جديدا على **إفريقية**، ويظهر بأنه لم تكن له معرفة سابقة بتضاريسها الطبيعية، رغم ما يبدو عليه من إلمام واسع بتفاصيل عمليات الفتح السابقة، ذلك أن خطبته التي أوردها **ابن قتيبة** في كتابه الإمامة و السياسة تُبِين عن رجل يمتلك حكمة السياسي، و جرأة المقاتل، و بسالة المدافع، و تُؤَدَة الحريص، فقد ذكر أن **موسى** لما قدم إفريقية و نظر إلى جبالها و ما حولها، جمع الناس، ثم صعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:" أيها الناس، إنما كان قبلي على إفريقية أحد رجلين: مسالم يحب العافية و يرضى بالدون من العطية، و يكره أن يُكلم، و يحب أن يسلم، أو رجل ضعيف العقيدة، قليل المعرفة، راض بالهوينى، وليس أخو الحرب إلا من اكتحل السهر، و أحسن النظر، وخاض الغمر، وسمت به همته، و لم يرض بالدون من المغنم لينجو، و يسلم دون أن يَكلم أو يُكلم، ويبلغ النفس عذرها في غير خرق يريده، و لا عنف يقاسيه، متوكلا في حزمه،جازما في عزمه، مستزيدا في علمه، مستشيرا لأهل الرأي في إحكام رأيه، متحنكا بتجاربه، ليس بالمتجابن إقحاما، و لا بالمتخاذل إحجاما، إن ظفر لم يزده الظفر إلا حذرا، وإن نكب أظهر جلادة و صبرا، راجيا من الله حسن العاقبة، فذكَّر بها المؤمنين و رجاهم إياها، لقول الله تعالى:" إن العاقبة للمتقين"،أي الحذرين، و بعد: فإن كل من كان قبلي كان يعمد إلى العدو الأقصى، و يترك عدوا منه أدنى، ينتهز منه الفرصة، و يدل منه على العورة، و يكون عونا عليه عند النكبة، و أيم الله، لا أريم هذه القلاع (أتركها و أغادرها)، و الجبال الممتنعة، حتى يضع الله أرفعها، و يذل أمنعها، و يفتحها على المسلمين بعضها أو جميعها،أو يحكم الله لي و هو خير الحاكمين"[4].

هذه بعض ملامح السياسة العسكرية التي جاء لينفذها موسى بن نصير، و قد تمحورت حول نقطة واحدة مهمة و أساسية، و هي: أنه سيعمل على تتبع العدو الأدنى قبل الأقصى، في إشارة إلى التصفية الصحيحة و التامة لكل جيوب المقاومة، ابتداء من حدود القيروان و تخومها، مع أخذ الحيطة

---

[1] ابن عبد الحكم:المصدر السابق ص275، الذهبي: سير أعلام النبلاء ج4 ص 132. ابن الأثير:الكامل ج4 ص 517، ، ابن خلدون: العبر ج3 ص70.

[2] الذهبي: المصدر السابق، ج4 ص 133.

[3] نفس المصدر و الصفحة.

[4] ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ج2 ، ص 51.

والحذر في كل خطوة يخطوها و بعد الدراسة اللازمة، متدثرا بالحزم و العزم في غير غرور، متزملا بالصبر والجلد إن حدث مكروه.

و يبدو أن هذه الخطبة هي محصلة لما توصل إليه **موسى** من دراسته لمسيرة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب قبل مجيئه، كما تُنبئ عن تلك الروح القتالية و العسكرية لقائد عسكري لا يعترف بالتراجع أو التلكؤ في ميادين الجهاد التي لا تحتمل نفسا هزيلة أو ضعيفة، **غير أنه كان في خطبته** هذه متحاملا على من سبقه، برميهم بما ظنه عيبا في سياستهم في قوله:" مسالم يحب العافية"، "أو رجل ضعيف العقيدة"، و يمكن أن تُحمل هذه الآراء على أنها نوع من الاعتداد بالنفس، بإيراد بعض نقائص من سبقه، خاصة و أنه جاء إلى ولاية **إفريقية** بعد أن استقامت في عهد **حسان بن النعمان**، و بالطريقة التي ظهرت و كأنها انقلاب على **حسان**، وإبعاد له دون ذنب، ليبرر قدرته، و قوته، و حسن تدبيره، و تنبهه لما خفي عمن سبقه، فيرضى به الجندُ قائدا لهم دون تردد أو تلكؤ، مع إبراز صرامته، و قوة عزمه، و شدة حزمه، و هي مظاهر كلها تنبئ عن تذمُّرٍ ما قد ناب الجند، فأراد أن يجعلهم في الصورة الصحيحة التي ينبغي لهم أن يكونوا عليها، وأردف ذلك بأن أمر لهم برواتب مضاعفة[1].

ونشم من هذه الخطبة كذلك رائحة فيها كثير من التهديد والوعيد لكل من تسول له نفسه تجانب الطاعة، أو الغمز في القائد الجديد، و ما يقوم به من سياسة في عمليات الفتح التي سوف يبادر بها، و إن جاءت مغلَّفة بعبارات صارمة، موجهة لتتبع الفتح خطوة خطوة، دون القفز على بعض ما يمكن أن يكون فيه الضرر بالحملة، أو تعرضها للتوقيف أو التراجع.

بدأ **موسى** إذن حملته بهذه النفسية التواقة والحذرة في آن واحد، فكانت أولى خطواته في الفتح هي فتح قلعة **زغوان**[2] التي تبعد عن **القيروان** مسيرة يوم كامل (50 كلم جنوب تونس)، و نواحيها، إذ بعث إليها كتيبة تضم خمسمائة فارس(500)، ففتحها الله على أيديهم، و بلغ سبيهم عشرة ألاف رأس[3]، و هو أول سبي دخل **القيروان** في ولاية **موسى**، ثم بلغه أن ببعض نواحي **إفريقية** قوما خارجين عن الطاعة، فوجه إليهم ابنه **عبد الله**[4]، أو **عبد الرحمن**[5]، فقاتلهم و ظفر بهم، و أتاه بغنائم كبيرة وهائلة، ثم بعث ابنا له آخر و هو **مروان** إلى مجموعة أخرى، فانتصر عليهم، و سبى منهم الكثير، وقد قدرت معظم المصادر أن عدد السبي في حملتي **عبد الله و مروان** ابنا **موسى بن نصير** كانت مائتي ألف من السبي (200000)، أي مائة ألف في كل حملة، و بلغ الخُمس حينها بعد جمع كل ما حصله المسلمون

---

[1] ابن قتيبة: ج2 ، ص50.

[2] عن زغوان أنظر : البكري : المغرب ص 45-46. و مجهول: الاستبصار.

[3] ابن عذارى: البيان ج1 ص 40، ابن قتيبة: الامامة و السياسة ج2 ص 52.

[4] ابن الأثير: الكامل ج4 ص 540، ابن عذارى: ج1 ص 40: النويري: ج24 ص 39.

[5] ابن قتيبة: الامامة والسياسة ج2 ص52، ابن عبد الحكم: ص257.

من السبي ستين ألفا(60000)، حتى أن رواية **ابن عذارى** تفيد بأن **عبد العزيز بن مروان** والي **مصر** شكك و استكثر العدد الذي أورده **موسى** في كتابه إليه، ولنترك **ابن عذاري** يروي لنا ذلك فيقول:" فكتب **موسى** إلى **عبد العزيز** يعلمه بالفتح، و يعلمه أن الخُمس بلغ ثلاثين ألفا، وكان ذلك وَهْمًا من الكاتب: كتب ثلاثين ألفا بدلا من ستين ألفا، فلما قرأ **عبد العزيز بن مروان** الكتاب، و أن الخمس من السبي ثلاثون ألفا، استكثر ذلك، و رأى أنه وهْمٌ من الكاتب لكثرته، فكتب إلى **موسى** يقول له:" إنه قد بلغني كتابُك تذكر أن خُمس ما أفاء الله عليك ثلاثون ألف رأس، فاستكثرت ذلك، و ظننته وهما من الكاتب، فاكتب بالحقيقة"، فكتب إليه موسى:"قد كان ذلك وهما من الكاتب على ما ظنه الأمير، والخُمس أيها الأمير ستون ألف رأس ثابتا بلا وهم"، فلما بلغه الكتاب عجب كل العجب، و امتلأ سرورا"[1]،حتى قالوا بأنه لم يُسمع بمثل هذا في الإسلام[2].

ويبدو أن هذا العدد الهائل جدا وهو ثلاثمائة ألف رأس من السبي، و الذي يكون خُمُسَه ستين ألف رأس، رقم مبالغ فيه كثيرا، إذ أن هذا العدد الهائل يصعب جمعهم، أو التصرف فيهم مهما كانت القوة العسكرية التي يمتلكها موسى، فلا شك أن الناس في مواطنهم و بيوتهم اعتبروا من السبي، أما أن يكون هذا العدد الهائل من السبي، فهو مما لا يمكن السيطرة عليه، أو القيام بواجب الجندية معه، رغم انهزامهم.

و الظاهر أن هذا العدد كان مبالغا فيه عن قصد و عمد من طرف **موسى بن نصير** إن صحت هذه الرواية، حتى يبين **لعبد العزيز بن مروان**، و من ورائه الخليفة **عبد الملك بن مروان** الذي امتعظ لتوليته، أنه قائد يُرجى من ورائه كل خير، إن من ناحية الاقتدار الحربي وتهيئة المنطقة كلها للفتح التام، أو من حيث استحصاله على الأموال الطائلة لبيت مال المسلمين، و الاندهاش الذي أصاب **عبد العزيز بن مروان** من الكتاب الأول و استكثاره عدد السبي، هو اندهاش وال أو أمير له خبرته كذلك فيما وصل إليه من سبي قبل مجيء **موسى** ، و اندهاشه يبين عدم تصديقه لهذه الكثرة من السبي، أما **موسى** فكان عليه أن يثبت من الجولة الأولى أنه صاحب قدرات تفوق حسان، و أنه وُضع في موضع لا يندم عليه **عبد العزيز و عبد الملك بن مروان.**

نعم من عادة القادة الجدد الذين يخلفون قادة آخرين بالطريقة التي جاء بها **موسى بن نصير** يحاولون قدر المستطاع، و في بداية مشوارهم، التفاني في العمل للظهور بمظهر المقتدر الذي يُحسب له كل حساب، خاصة فيما يتعلق بالتحكم في زمام الأمور العسكرية، وما يتبعها عادة من الغنائم، و التي

---

[1] ابن عذاري: البيان ج1 ص40، و قد ذكر هذا العدد من السبي عند كل منابن قتيبة، الإمامة و السياسة ج2 ص 52. ابن الأثير ج4 ص540. النويري ج24 ص 39.أما ابن عبد الحكم: فتوح ص275 ، ذكر" عشرون ألف".

[2] النويري:ج24 ص39.

كانت تسيل لعاب **عبد العزيز بن مروان** و ما حدث له مع **حسان بن النعمان** الذي علم بنهمه، وشدة اهتمامه بالغنائم، و لذلك فلا يستبعد أن يكون **موسى** قد استجلب من السبي الكثير، و لكن لا يتعدى العدد الحدود المعقولة و المعروفة في مثل هذه الأحداث.

و الظاهر أن السبي كان كثيرا كما قلنا، و أن المعارك التي أدارها **موسى بن نصير** و أبناؤه، كان لها صدى كبيرا في كامل المغرب الإسلامي، مما جعل قبائل البربر تفر غربا خوفا منه[1].

و بعد أن استخلف على مدينة **القيروان** ابنه **عبد الله**، توجه **موسى بن نصير** إلى **سجومة**[2]، في عشرة آلاف من المسلمين، و على مقدمته **عياض بن عقبة بن نافع**، ومعه ابنه **مروان بن موسى**، وكان في الجيش كذلك **عثمان**، و**أبا عبدة أبناء عقبة**، فحاصرها، ثم اقتتلوا قتالا شديدا، و انتصر فيها المسلمون نصرا مؤزرا[3]، ويحدثنا صاحب البيان أن **موسى بن نصير** أمر أبناء **عقبة** بأخذ حقهم من قتلة أبيهم، فقاموا بقتل خمس مائة رجل من كبرائهم، ثم أمرهم بالتوقف فكفوا عن ذلك[4]، ومثل هذه الحوادث يصعب تصديقها، لأنها لم تكن من شيم المسلمين، الذين جاؤوا لنشر رسالة الإسلام، ولم يكن همهم الثأر لقتلاهم، خاصة و أن حادثة استشهاد عقبة قد مر عليها في هذه الأثناء أكثر من اثنتين وعشرين سنة(من 64هـ إلى 86هـ) .

ثم أرسل **موسى عياش بن أخيل** إلى هوارة، وزناتة، فأغار عليهم و شدد على قلوبهم[5]، ثم لما رأوا قوة المسلمين تنادوا بالصلح، فصالحهم **موسى**، و أتت كتامة قبلهم للصلح فصالحهم، وولى عليهم رجلا منهم، وأخذ منهم رهائن من خيارهم[6].

ثم كانت الوجهة إلى **طنجة**[7]، إذ ما إن سمع البربر باتجاهه نحوها حتى هربوا، و تفرقت بهم السبل، فتبعهم **موسى**، حتى بلغ السوس الأدنى و هو بلاد درعة[8]، ثم وجَّه **زُرعة بن أبي مدرك** إلى قبائل مصمودة، و لما علم البربر أن لا طاقة لهم به استأمنوه، و أطاعوه، و أعطوه رهائن، وأذعنوا له، فقبل

---

[1] ابن عذاري: البيان ج1 ص 42، النويري ج24 ص 40، ابن الأثير ج4 ص 540.

[2] سجوما، سقوما، سكوما: قلعة و مدينة على مقربة من فاس ،انظر، البكري:المسالك و الممالك ج2 ص301. ، مجهول: الاستبصار ص 194،الحميري: الروض المعطار ص 328،و المؤلف ينقل عن البكري.

[3] أنظر عن فتح سجوما ابن عذاري ج1 ص41، ابن قتيبة ج2 ص 55، و البكري: المسالك و الممالك ج2 ص301،الاستبصار ص 194، الحميري: الروض المعطار ص 328..

[4] البيان:ج1 ص 41 ، ابن قتيبة: الإمامة ج2 ص 56.

[5] ابن عذاري : البيان، ج1 ص 41 وهو ينقل عن ابن قتيبة في الإمامة و السياسة ج2 ص 54.

[6] نفس المصادر والصفحة.

[7] الروض المعطار ص 395- 396.

[8] البيان: ج1 ص 42.انظر عن السوس، الحميري : روض المعطار ص 329- 330، إذ يقول:"وهي مدن كثيرة و بلاد واسعة".

منهم، و ترك عليهم واليا.

ثم استعمل **موسى** على **طنجة** مولاه **طارق بن زياد** مع جيش كبير، قوامه سبعة عشر ألفا(17000)من العرب، **و اثنا عشر ألف(12000)من البربر**[1]، **و ترك معهم 17 رجلا من الفقهاء، يعلمونهم القرآن الكريم و شرائع الإسلام**[2]، **فتم إسلام أهل المغرب الأقصى على يد هؤلاء**[3].

ورغم الأجواء الخاصة و الشديدة التي تفرضها الحروب عادة، إلا أن **موسى بن نصير** كأسلافه من القادة، كان دائما يقظا للمهمة الأساسية التي جاء من أجلها، و هي نشر الإسلام، و الاهتمام بتعريف الناس به، فكانت هذه البعثة من الفقهاء و العلماء الذين أوكل لهم هذه المهمة، دليلا على العناية اللازمة بالشعوب المفتوحة في إيصال دعوة الإسلام إليهم صافية من خلال هؤلاء العلماء ،وحتى لا تتحول الفتوح إلى غير وجهتها، وكان موسى في ذلك على خطى عقبة بن نافع الذي ترك قبله مجموعة من العلماء للغرض نفسه،و منهم **شاكر** صاحب الرباط[4].

و يعتبر المؤرخون فتح **طنجة** من قبل **موسى** أول فتح حقيقي لهذه المدينة[5]، ثم رجع **موسى** إلى **إفريقية**، فمر بقلعة **مجانة**[6]، فتحصن أهلها، فترك عليها **بشر بن أبي أرطاة**، و كان عمره 82 سنة، ففتحها، و سميت بقلعة بشر[7]، و دانت له إفريقية بلا منازع.

و كان رجوع **موسى** إلى **القيروان** في حدود سنة 88هـ أو 89هـ/ 707م[8].

و بعدها، عقد **موسى لعياش بن أخيل** على مراكب **إفريقية**، و بعثه إلى جزيرة **صقلية**[9]، و فتح مدينة **سرقوسة**[10]، و غنم ما بها، ثم قفل راجعا إلى **إفريقية**[11].

---

[1] ابن عذاري: ج1 ص 42، أما ابن خلدون فيجعلهم 27000 من العرب و12000من البربر.

[2] البيان :ج1 ص 42 ،43، ابن الأثير: الكامل ج 4 ص 540 ، النويري :ج24 ص 40.

[3] عبد العزيز سالم: المغر ب الكبير ج 2 ص 257 نقلا عن نص عبد الله بن صالح ص 224.

[4] ابن عذاري: ج1 ص 42.

[5] ابن عبد الحكم ص 276.

[6] البكري:المسالك و الممالك ج2 ص 329.الحميري:الروض المعطار ص 525.

[7] البكري:المسالك و الممالك ج2 ص 329..

[8] عمر فروخ: العرب و الإسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط ص 75.

[9] البكري:المسالك و الممالك ج2 ص 52، الإدريسي: نزهة المشتاق ج 2 ص 590 ، الحميري:الروض المعطار ص 366.

[10] مدينة بينها و بين جزيرة صقلية مجاز لطيف . انظر: البكري:المسالك و الممالك ج2 ص 53، الإدريسي: نزهة المشتاق ج 2 ص 597، الحميري: الروض المعطار ص 317-318.

[11] ابن عذاري: ج1 ص 42.

استقر **طارق بن زياد** بن عبد الله بن ورفجوم مع زوجه **أم حكيم**[1]في مدينة **طنجة**، وتم إسلام من بقي من البربر على يديه، و لكنه لم يستطع الدخول في حرب متتالية مع **يليان** الذي كان متحصنا بمدينة **سبتة**، و كانت تأتيه الإمدادات من مساعدات ملوك القوط الذين كان معهم على صلة دائمة، بالإضافة إلى ما تحتويه مدينته من "عدة وقوة ونجدة"[2]، لذلك التزم طارق مقامه بطنجة إلى سنة 92هـ..

وبفتح مدينة طنجة واستقرار طارق بن زياد فيها، أصبحت مدينة إسلامية شبيهة بالقيروان، ولكن في غرب بلاد المغرب، و تم في هذه الفترة فتح بلاد المغرب قاطبة.

فتح الأندلس

الإسم: أصل مصطلح **الأندلس** مأخوذ من اسم قبائل الوندال(vandals) التي تعود إلى أصل جرماني، احتلت شبه الجزيرة الإيبرية حوالي القرن الثالث والرابع وحتى الخامس الميلادي، وسميت باسمها: فاندلسيا(vendalusia)أي:بلاد الوندال، ثم نطقت بالعربية: **الأندلس**، أما مدلول هذا المصطلح، فقد أطلقه المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون أحيانا على كل شبه الجزيرة الإيبرية (إسبانيا والبرتغال اليوم)، والتي يسمونها أيضا الجزيرة الأندلسية، ثم استعمل للدلالة على كل المناطق التي سكنها المسلمون وحكموها من شبه الجزيرة الإيبرية[3].

الموقع: تقع شبه الجزيرة الإيبرية (الأندلس) في الجنوب الغربي من القارة الأوروبية، تفصلها من الشمال عن جنوب فرنسا جبال الْبُرت أو البرتات pyrenees، وتعرف بالإسبانية pirineos (تسمى البرانس ولكنها تسمية تبدو خاطئة، لان جبال البرانس تقع شمال قرطبة، وتعرف أيضا بجبال المعدن(almaden) sierra de، ويفصلها من الجنوب مضيق جبل طارق الذي يطل على البحر الأبيض المتوسط .

أما حدودها الشمالية والشمالية الغربية، فهي سواحل المحيط الأطلسي(البحر الأخضر=البحر المظلم= بحر الظلمات= أقيانس)، وحدودها الشرقية و الجنوبية الشرقية، فهي البحر المتوسط(البحر الرومي= البحر الشامي) .

الأندلس قبيل الفتح الإسلامي:

كانت الأندلس قبل الفتح الإسلامي تحت حكم القوط الغربيين (Visigoths) ،إذ بدأ احتلالهم لها في أوائل القرن الخامس الميلادي،بعد طردهم للوندال(vendals) إحدى القبائل الجرمانية المتبربرة، الذين اتجهوا إلى احتلال الشمال الإفريقي، وطُردوا من طرف الرومان سنة 534م (احتل الوندال شبه

---

[1] ابن عبد الحكم: ص 276.

[2] مجهول:أخبار مجموعة ص 4.

[33] عبد الرحمان علي الحجي : التاريخ الأندلسي دار العلم دمشق ط5 ، 1418هـ/1997 م ، ص370.

الجزيرة الإيبرية من القرن الثالث إلى الخامس الميلادي)،وقد استبد القوط بالأندلس و ساءت معاملتهم لها، وانتشرت الفوضى، وعم الفساد ربوعَها، وشقي الناس بهذه السياسة، وكان الصراع بين طبقات الحكام يزيد بؤس الشعب، ويرهقه بالضرائب والمظالم ،وكان الشعب مقسما إلى شيع وفئات :

الأشراف:و تتكون من:

. طبقة النبلاء (ومنها الطبقة الحاكمة).

. طبقة رجال الكنيسة التي تشارك النبلاء في حكم البلاد،و التمتع بخيراتها، ولا يدفعون الضرائب.

الطبقة الوسطى: وتتكون من طبقة التجار، والزراع، والملاك الصغار، الذين يتحملون الضرائب.

طبقة العبيد: وهم:

طبقة عبيد الأرض :الذين يتبعون مالكها و ينتقلون مع ملكليتها من سيد لأخر.

طبقة العبيد: التي تكونت من أسرى الحرب، ويتصرف فيهم بيعا وشراء[1]، وكانت حياتهم سيئة جدا :

أ. لايتزوج أحد منهم من ذكر أو أنثى إلا بإذن سيده.

ب – إذا رزق أولادا، فأولاده عبيد لسيده.

ج – إذا اتفق أن تزوج قن في أرض بامرأة من أرض ثانية، فأولادهما يُقسمون بين صاحبي الأرضين [2].

أما اليهود فقد سامهم الأشراف سوء العذاب: لقد اضطهدوهم مع رجال الدين، فكانوا يأخذون منهم قروضا، ثم تدفعهم الدولة إلى أخذها من الشعب من الطبقة الوسطى، و اضطر اليهود لذلك إلى التسلط بالربا على أبناء الطبقة الوسطى خاصة، ثم عملوا في النخاسة يتاجرون بالأرقاء و الخصيان، يأخذونهم من الأندلس، و يأتون بهم من خارجها، وكان السبب في اضطهاد اليهود من طرف رجال الدين(خاصة الذين كانوا لا يبايعون ملكا على إسبانية إلا إذا تعهد بتنفيذ سياستهم العدائية ضد اليهود) هو ما يتحجج به رجال الدين من أن اليهود **قتلوا المسيح**، و أنهم **يأخذون الربا**، و **يعملون في النخاسة.**

و قد وصل اضطهاد اليهود في إسبانيا أن انعقد من أجلهم المجمع الرابع عام 633م/ 12هـ في طليطلة، في أيام سيسيناندو، وقرر المجمع ما يلي:

1– يترك اليهود البالغون و شأنهم، ولكنهم يُسلِّمون أولادهم إلى الكنيسة في السنة السابعة من

---

[1] **عبد الرحمان علي الحجي: التاريخ الأندلسي ص29، عن الروض المعطار ض 170.**

[2] **فروخ :العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط ص 76 – 77 .**

عمرهم، ليصير تنشئتهم على النصرانية.

2- لا يتزوج عزب يهودي إلا بنصرانية، ولا تتزوج عزبة يهودية إلا بنصراني.

3- إذا رفض يهودي ذلك، فإنه يُسترق، و تُصادر أمواله[1].

و من أهم ملوك القوط الذين حكموا إسبانيا:

ششبيرت sisiberto 612-621.

شندا سقنتو chindaswinto 649-672 .

وامبا wanba 672-680م/ 52 -59هـ، الذي توفي بعد أن احتال عليه أحد أعدائه و دس له من سقاه جرعة مخدرة، فنام في سبات عميق، حتى ظن أنه توفي، و عندما كانوا يحضرونه لمواراته التراب عاد إلى رشده، و بعدها ترك العرش و ترهب، وقضى بقية حياته في الدير، و لم يعاقب من فعل به ذلك.

أما غيطشته witiza ، فقد اعتلى العرش سنة 700م/80هـ،و كان قائما بمملكته، يسوسها بالحزم والإصلاح و إنصاف الناس من استبداد النبلاء، الذين عولوا على القضاء على حكمه، ولما علت به السن، أرغمته زوجته أن يعلن ابنه الصبي وقلة Achila حاكما على ولايتين" الناربونية، والطركونية" تحت وصاية أخيه رخشندس rechisido ، و توفي غيطشه سنة 708 أو 709م/88هـ، وكان البيت الحاكم منقسما على نفسه، لآن غيطشه ترك من بعده مجموعة من العائلة كلهم يصبو لأن يتملك، ومنهم:

1- زوجه (الأرملة).

2- أخاه أُبَّه (oppa)، و كان أسقفا لإشبيلية.

3- أبناؤه الثلاثة : أخيلا،(و قلة، و رمله عند المقري)ـــ ألمندOlmundo.أرطاقازدس(أرطياس= أرطبان).

4- سبسرة، من المتصلين بغيطشه.

و حدث نزاع و حروب بين هذه الأطراف، اضطرت الملكة و ابنها الفرار من طليطلة، واستأثر بالحكم الوصي رخشندس، و لكن خصومه اجتمعوا و قرروا إدارة شؤون الدولة، و اختاروا واحدا منهم إسمه لذريق(رودريكو=Rodrigo)[2]، ويُعَد ذلك اغتصابا للعرش من أبناء غيطشه.

استطاع **لذريق** أن يهزم الوصي **رخشندس** و يقتله، و يفرق أتباعه الذين ربما يكونون قد لجأوا إلى **يليان** المخاصم للذريق.

أما **يليان (يوليان)** : فقد كان حاكما لمدينة **سبته** الحصينة، و كانت تأتيه الإمدادات من القوط،

---

[1] **فروخ : المرجع السابق ص77، 87.**

[2] **مؤمن : فجر الأندلس ص 15-16، 193، أخبار مجموعة 5.**

ويبدو أنه كان على علاقة حسنة مع البربر المسلمين، حتى ظن المؤرخون أنه بربري، بينما كان هو الآخر قوطي.

بواعث فتح الأندلس:

يمكن إجمال البواعث الأساسية التي كانت وراء فتح الأندلس في العناصر التالية:

1. لقد كان أهم باعث للمسلمين في فتح الأندلس هو استكمالهم لعملية الفتح التي انطلقت من المدينة المنورة باتجاه العالم الخارجي شرقا و غربا، و ها هم المسلمون اليوم على عتبة أوروبا من الناحية الجنوبية، و بعد توطنهم في طنجة التي أصبحت مدينة إسلامية تحوي البربر المسلمين و العرب الذين جاءوا بالفتح و نشر الإسلام، ولا شك أن عمليات الفتح المتتالية لبلاد المغرب قد ساهمت في إمداد المسلمين بالروح العالية التي مكنتهم من النظر صوب أوروبا عن طريق الأندلس، من أجل استمرارية الفتح في كل مكان يمكن للإسلام أن يجد أتباعا جددا.

2. الفوضى السياسية في الأندلس" كما رأينا".

3. التشجيع الذي لقيه المسلمون من يليان: كان يليان قد شجع المسلمين بقيادة موسى بن نصير على اقتحام الأندلس، و يظهر أن يليان قام بهذا الدور المريب بالنسبة لقومه لأسباب منها:

أ- يمكن أن يكون يليان من البربر، أو من القوط الذين سئموا حكم **لذريق** الذي اغتصب عرش الأندلس بعد موت الملك غيطشه، و كان يفترض أن يعود العرش إلى أبنائه، ولكن **لذريق**استطاع أن يغتصب العرش بقوة، و أن ينصب نفسه ملكا للأندلس، ويقال إن زوجة يليان كانت ابنة غيطشه، فكان يليان يعمل من أجل استرجاع الملك إلى أبناء غيطشة، فكان تعاونه مع المسلمين لهذا الغرض، إذ كانوا يظنون أن المسلمين إنما جاؤوا لأخذ الغنائم، فلا مانع من الاستنجاد بهم في قلب نظام الحكم، و إرجاعه إلى أبناء غيطشه، ثم يرجع المسلمون إلى المغرب ومن حيث أتوا، وما علموا و ما دروا أن المسلمين لم يكونوا في يوم من الأيام مكلفين بمهمة لغيرهم، بل كانوا صادقين في التوجه إلى نشر رسالة الإسلام في الربوع التي استطاعوا فتحها بالجهاد في سبيل الله.

ب- و ثمة رأي آخر يجعل من استنجاد يليان بالمسلمين للدخول إلى الأندلس انتقاما من لذريق الذي اعتدى على ابنته **فلوراندة**، فقد كان من عادة الأشراف أن يبعثوا بأبنائهم إلى بلاطات ملوكهم لينشأوا على آداب القصور و سلوك الملوك، وكانت ابنة يليان في بلاط لذريق، فاهتم بها واستحلاها، وعلم أبوها فأراد أن ينتقم لها، و يبدو أن هذا السبب بعيد عن الحقيقة لما يلي:

- إن عداوة يليان مع لذريق ترقى إلى العام الذي خُلِع فيه حموه غيطشه قبل أن يكون الاتصال المزعوم بابنته.

- هذه القصة شبيهة بقصة **امرئ القيس** مع ابنة قيصر الروم، فقد زعموا أن امرأ القيس لما ذهب عام 538م إلى القسطنطينية يستنجد بالإمبراطور يوستنيانوس الأول، و يطلب منه جيشا ليحارب به **بني أسد**، أحب ابنته و اتصل بها، فغِيظ القيصر، و أهداه حلة مسمومة، تقرح منها جسمه و مات ،

ولذلك سمي امرؤ القيس " ذوالقروح"[1].

ـ واضح أن القصة من وضع عربي مسلم في بيئة شرقية، تجعل من قضايا العرض قضايا حياة أو موت، بينما نحن نعلم في التاريخ أن الفسق والفجور كان سائدين في بلاد الروم وبلاد القوط، إلى درجة أن مثل هذا الحادث إن وقع لا يؤثر ولا يحدث مثل هذه الضجة التي هزت أركان القوط؟.

تحقيق:

ولكن مهما كان الأمر فإن المسلمين لم يكونوا منساقين ليوليان لمجرد طموح له في مخيلته أراد أن يحققه بالمسلمين، بل كان فتح **الأندلس** من هموم القادة و الخلفاء من قبل، و إن جاء رأي يوليان، أو محاولة المساعدة التي أبداها، ضمن تحقيق ما كان المسلمون يصبون إليه.

على أنه لو استطعنا أن ننفلت من الحصار الذي ضربه المؤرخون في مصادرهم على الفتح الإسلامي، ونريد أن نستجلي بعض الدواخل **الدفينة لأمكننا القول بأن المؤرخين الأندلسيين استعظموا فتح المسلمين لبلاد الأندلس بهذه السهولة الكبيرة،** في غياب شبه تام لكل مقاومة من قبل القوات القوطية هناك، والتي كانت تعيش فتنتها الداخلية، فأرادوا أن يخففوا وقع هذه الهزائم على مجتمعاتهم، وحتى على الشعوب الفاتحة كي يضعفوا من قوة المسلمين في إدارة المعارك عسكريا، و يوهموا الناس أن المسلمين ما كانوا ليفتحوا تلك الفتوح في الأندلس لولا تلك المساعدات التي كانوا يتلقونها من يوليان.

ونقول إن مجموعة من العوامل التي ساهمت في تسريع عملية الفتح استغلها المسلمون، واغتنموا كل فرصة تمكنهم من الوصول إلى مبتغاهم في نشر رسالة الإسلام.

فتح الأندلس:

1- رحلة يوليان(سنة 90هـ):

بعدما حرص يوليان على إبداء مساعدته لموسى بن نصير، و أشار عليه بالإسراع لذلك، واستغلال الوضع المتردي في الأندلس، لم يتسرع موسى بن نصير لذلك خشية من أن يوليان قد دبر مكيدة لاصطياد بعض الجند الإسلامي،أو توريطهم في معارك غير محسوبة العواقب، لذلك عرض موسى على يوليان لإثبات صدق النية أن يتوجه هو أولا إلى الساحل الجنوبي من الأندلس لاستكشاف المنطقة، وذهب يوليان فعلا بمجموعة من جنده، ونزلوا على ساحل الجزيرة الخضراء، فقتل وسبى و غنم، وأقام بها أياما يشن الغارات، و شاع الخبر عند المسلمين، فوثق موسى به، وكان ذلك أواخر سنة 90 هـ(أواخر سنة 709م).

و كتب **موسى** إلى الخليفة **الوليد بن عبد الملك بن مروان** في أمر فتح **الأندلس،** و ما كان من يوليان، وتذليل طريقها للمسلمين، غير أن الخليفة تردد في ذلك، و أمره بأن لا يخاطر بجيوش المسلمين

[1] **الأصفهاني: الأغاني ج9 ص 78، 99-100.**

في منطقة مجهولة، وكتب إليه بأن يخوضها بالسرايا حتى يخبرها و قال له:"خضها بالسرايا، و لا تغرِّر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال"، فكتب إليه موسى:"إنه ليس ببحر متسع، و إنما هو خليج يبين ما وراءه"، فكتب إليه:"أن اختبرها بالسرايا، و إن كان الأمر كما حكيت"[1]، فقلد الأمر أحد القادة الكبار: وهو البربري طريف بن مالك"[2].

2- حملة طريف بن مالك العافري(91هـ):

تجهز مالك و قاد جيشا قوامه خمس مائة مقاتل، أربع مائة من المشاة و مائة من الفرسان[3]، وأعارهم يوليان أربعة مراكب، و نزلوا في جزيرة تعرف بجزيرة الأندلس " لاس بالوماس" تقع على مقربة من مدينة طريف الحالية التي حملت اسمه فيما بعد لنزوله فيها، و كان ذلك في رمضان 91هـ/ يوليو سنة 710هـ، و استطاع طريف أن يحقق انتصارات، و أن يغنم غنائم وفيرة و أسرى، **وعاد سالما، و محملا بمعلومات نفيسة جدا عن أحوال الأندلس في جزئها الجنوبي**، وبهذه المعلومات الهامة اطمأن موسى بن نصير إلى أن عملية الفتح قد حان وقتها، و يجب اغتنام هذه الفرصة.

3 - حملة طارق بن زياد[4](92هـ):

في العام التالي92هـ، اختار موسى بن نصير على الحملة التي أعدها لفتح الأندلس قائدا من خيرة قادته، و هو طارق بن زياد الذي كان قد ولاه طنجة، و يبدو كذلك أن موسى يريد أن يكون فتح الأندلس ناجحا نجاحا باهرا، خاصة و أنه أول عبور لأوروبا، لذلك جعل على هذه الحملة مولاه طارق بن زياد، رغم وجود كثير من القادة الكبار، أمثال طريف بن مالك، و عياش بن أخيل، و زُرعة بن أبي مدرك، و المغيرة بن أبي بردة العذري، لأنه يعرف حسن قيادته، و بلائه، و حنكته، فبعثه على سبعة آلاف رجل من البربر (7000)، و فيهم 300 من العرب.

وهذه هي المرة الأولى التي يتولى فيها قائد محلي جيشا بأكمله و يقوده في عملية الفتح نحو قطر جديد، و يدل ذلك على أن البربر قد أسلموا و تمكن الإسلام من قلوبهم، و أصبحوا يشكلون القوة الكبرى التي بإمكانها أن تكون المعتمد لموسى بن نصير في فتح الأندلس.

و أبحرت حملة طارق من ميناء طنجة في 05 رجب سنة 92هـ/أفريل711م، في السفن الأربعة التي كانت ملكا ليوليان، بينما كان موسى مجتهدا في بناء سفن أخرى في تونس، و نزل طارق بجيشه

---

[1] ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج4 ص 561. الحميدي: الروض المعطار ص 35.

[2] نفسه.

[3] المصدر السابق ج4 ص 562

[4] هو طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو بن ورفجوم بن برغاسن بن ولهاص بن يطونث بن نفزاو فهو نفزي، ذكر أنه من سبي البربر، و كان مولى موسى بن نصير، البيان ج1 ص 43، وانظر عن طارق بن زياد، الذهبي: سير أعلام النبلاء ج4 ص 268.

على الشاطئ الاسباني عند رأس في أقصى الجنوب في جزيرة الأندلس، أو جزيرة طريف، في موضع عرف بعد ذلك باسم جبل طارق، أو جبل الفتح، و كان **لذريق** حينها مشغولا بإخماد ثورة قام بها البشكنس في بنبلونة، و كل الأجواء تشير إلى سخط عارم من سكان الأندلس على لذريق.

و قيل بأن طارقا لما نزل بجنوده إلى البر، أحرق السفن[1] ثم ألقى خطبة يحرض المجاهدين فيها على القتال، جاء فيها بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله:"أيها الناس، أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام، في مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته، وأقواتُه موفورة، وأنتم لا وَزر لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم، وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم، ولم تنجزوا لكم أمرا، ذهبت ريحكم، و تعوضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية، فقد أُلْقَت به إليكم مدينته الحصينة، وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت، وإني لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة، ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس إلا وأنا أبدأُ بنفسي، واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا، استمتعتم بالأرفه الألذ طويلا، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي، فما حظكم فيه بأوفى من حظي، وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان، من بنات اليونان، الرافلات في الدر والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقيان، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عربانا، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة

أصهارا وأختانا، ثقة منه بارتياحكم للطعان، واستماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان، ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته، و إظهار دينه بهذه الجزيرة، و ليكون مغنمها خالصة لكم من دونه و من دون المؤمنين سواكم، و الله تعالى ولي إنجادكم على ما يكون لكم ذ كرا في الدارين، و اعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه، وإني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى، فاحملوا معي، فإن هلكت بعد فقد كفيتكم أمره، ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه، و إن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه، واحملوا بأنفسكم عليه، واكتفوا الهمَّ من فتح هذه الجزيرة بقتله، فإنهم بعده يُخذَلون"[2].

و يبدو كذلك أن طارق بن زياد أحرق السفن و خطب تلك الخطبة عند التقاء جيشه بجيش لذريق، إذ أن هذا الأخير لما أُعلِم بوجود المسلمين ببلاده، تراجع عن معاركه، و توجه مسرعا بجيش

---

[1] **الحميري: :الروض المعطار ص 224.**

[2] **المقري : نفح الطيب ،تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر بيروت لبنان ،ط1 1419هـ/1998م ، ج1 ص 195-196. .الحميري: الروض المعطار ص .**

كثيف قوامه 40ألف[1]–70 ألف –100 ألف[2] إلى لقاء طارق، وتولى لذريق بنفسه قيادة الجيش، و جعل على جناحيه ابني غيطشه[3]، شيشرت على ميمنته، و أُبَّه على الميسرة، و علم طارق بجيوش النصارى، و أنه لا طاقة له بهذا العدد الكبير، فأرسل إلى موسى يستزيده ، فبعث إليه خمسة ألاف 5000 رجل[4]، و أصبح جيش المسلمين إثنا عشر ألف (12000)، و كان معهم يوليان يدلهم على العورات، و يتحسس لهم الأخبار[5].

معركة وادي لكه:

كانت هذه المعركة في يوم الأحد 28 رمضان سنة 92هـ[6] "19 جويلية 711م"، على نهر لكّه من أعمال شذونة،و استمرت الحرب ثمانية أيام إلى يوم الأحد 05 شوال[7]، واستغل المسلمون نفور ابني غيطشه من لذريق بعد أن لم تحسم المعركة لصالح لذريق، فقرر أبناء غيطشه الميلان مع المسلمين، و اتفقوا على الهزيمة بغضا للذريق، و كان يراودهم حلم السيطرة على الملك مرة أخرى بعد هزيمة لذريق إذ اعتبروا المسلمين ما جاءوا إلا للغنائم، و قالوا" إن المسلمين إذا امتلأت أيديهم من الغنيمة عادوا إلى بلادهم، و بقي الملك لنا"[8]، و استطاع المسلمون أن يحققوا النصر على لذريق و جيشه، و تطاير جيشه شذر مذر.

أما لذريق نفسه فإنه لم يظهر خبره بعد ذلك حتى أن المصادر التي أرخت لهذه المعركة لم تتفق عن نهاية محددة له و ذلك لما أصاب جنده من الارتباك و الفوضى[9]، ضاعت فيها كل معالم نسيان الحقائق أو التدقيق فيها، غير أنه لو بقي للذريق نفوذ لتحدثت كتب التاريخ عن معاودته الكرة على المسلمين، و لكنه إما أن يكون قد قتل فعلا و هو الأرجح، و أنه أصبح غير آبه به ليتحدث عنه التاريخ.

ثم بعد ذلك توجه طارق بن زياد إلى مدينة شذونة، و فتحها بعد حصار، ثم إلى مورور، ثم

---

[1] ابن خلدون: العبر ج4 ص 141.

[2] أخبار مجموعة7، ابن الأثير: ال0.كامل ج4ص 44، نفح الطيب المصدر السابق ج1 ص 207.، روض المعطار ص .

[3] ابن الأثير: المصدر السابق ج4 ص 562.، نهاية الأرب ج24 ص 47.

[4] ابن الأثير: المصدر السابق ج4 ص562، نهاية الأرب ج24 ص47.

[5] المقري: المصدر السابق: ج1 ص207.

[6] ابن الأثير:المصدر السابق ج4 ص 563.المقري: المصدر السابق ج1 ص 209،الحميري: :المصدر السابق ص511– 605.

[7] الحميري: :المصدر السابق ص 511.

[8] ابن الأثير: الكامل ج 4 ص563.

[9] المقري: نفح الطيب ج1 ص 208.

مدينة قرمونة، ثم إلى إشبيلية، و فتحها صلحا، ثم إلى مدينة استجه حيث دارت معركة حامية الوطيس بين المسلمين و بقايا القوط الذين هربوا من المعركة الأولى بوادي لكّه، و انتصر المسلمون، و افتتحت المدينة، وهرب القوط و تفرقوا و توجه وراءهم نحو طليطلة.

توجيه الجيوش:

إن طارق بن زياد لما فتح الله عليه أستجه، و كانت الأوامر التي جاءته قبلُ من طرف موسى بن نصير تؤكد له التوقف بعد المعركة الفاصلة الأولى، ولا شك أن القائد الحكيم و القائد الميداني و الشجاع و الذي يدرك الخطط العسكرية في حينها و في وقتها، يكون في حل مما التزم به، أو من أوامر من لا يدركون أحوال المدن المفتوحة، والظروف التي تحيط بجيش الفتح الذي يقوده، لذلك لم يتوقف طارق بن زياد عند الحدود الأولى التي أمره موسى بالتوقف عندها، بل علم أن توقفه سيتيح الفرصة للقوط المنهزمين من إعادة التجمع، و إعادة التنظيم لصفوفهم، و هو ما يفقده النصر الحقيقي، خاصة و أنه في منطقة لا يعرف تضاريسها و نوعية شعوبها، فكان عليه أن يُكمل ملاحقة القوط وإدراكهم، و عدم إعطائهم الفرصة لإعادة التنظيم من جديد، و واضح أن طارق بن زياد كانت له عبقرية فذة في هذا الفتح، إذ علم أن الجيش القوطي بعد معركة وادي لكّة التي انهزم فيها قد أصابه الذعر و الخوف والهلع، وانتشر في مختلف الأقاليم، و في الاتجاه الشمالي الشرقي، ونحو طليطلة، لذلك عمد على ملاحقته في كل الاتجاهات،

و كانت رؤيته تحقق هدفين كبيرين:

أولهما: ملاحقة فلول القوط الهاربين، حتى لا يتمكنوا من استعادة تنظيم صفوفهم.

وثانيهما: تأمين واسع للمنطقة الجنوبية الشرقية بكاملها، حتى يكون جيش الفتح مؤمن من أن يؤخذ غيلة على طريق رجعته، ففرق طارق جيوشه من أستجه، فبعث مغيثا الرومي مولى الوليد بن عبد الملك إلى قرطبة، و كانت من أعظم مدائنهم، في سبعمائة فارس، لأن المسلمين ركبوا جميعا خيل العجم، ولم يبق فيهم راجل، و فضلت عنهم الخيل، وبعث جيشا آخر إلى **مالقة**، وآخر إلى **غرناطة** مدينة **إلبيرة**، وسار هو في معظم الجيش إلى كورة **جيّان** يريد **طليطلة**[1].

اذن كانت الجيوش التي وجهها طارق نحو المدن التالية[2]:

1-مغيث الرومي إلى مدينة قرطبة في سبع مائة فارس، واستطاع مغيث فتح المدينة دون مشقة بفضل شجاعة المسلمين[3]، فترك مغيث الرومي في قرطبة حامية صغيرة من الجند و ضم إلى تلك

---

[1] **المقري: نفح الطيب ج1 ص 210.**

[2] **أنظر: النويري ج24 ص48.**

[3] **نفح الطيب: ج1 ص 210.**

الحامية يهود قرطبة ثم مضى في سبيله[1].

2-جيش إلى مدينة مالقة التي تقع على الساحل الجنوبي من الأندلس، و فتحت و جميع أعمالها بعد أن هرب علوجها القوط و الفرنجة إلى جبال رية و اعتصموا بها، و لم يجد بها العرب يهودا[2].

3-أما الجيش الثالث، وجه نحو إلبيرة، فكان مسيره أولا جنوبا نحو أرشذونة، ثم عطف شرقا نحو غرناطة مدينة كورة إلبيرة ففتحها بسهولة، لأن كثيرا من أهلها كانوا يهودا، و استعان المسلمون بهم على ضبط المدينة و مساعدة الحامية المسلمة هناك[3]، وكان في الجيش الذي فتح غرناطة، المجاهد المشهور حنش بن عبد الله الصنعاني، فأسس فيها مسجدا[4]، ثم توجه هذا الجيش إلى مرسية في الجانب الشرقي الجنوبي من الأندلس، و كان حاكمها نبيل قوطي إسمه "تيودمير"(تدمير)[5] ، فقاتله المسلمون و هزموه هزيمة منكرة في قرطاجنة الخلفاء و هي ثغر مدينة مرسية، ثم سحب إلى مدينة أريولة، و عمد إلى الحيلة، فأمر النساء بنشر شعورهن، و أعطاهن القصب، و أوقفهن على سور المدينة، و أوقف منهن من بقي من الرجال في وجه الجيش، في محاولة لكي يظهر للمسلمين كثرة عدد الجند، ثم نزل بنفسه على هيئة رسول، فاستأمن، فأمنه المسلمون، و عقد على نفسه الصلح و على أهل بلده، ثم أبرز لهم اسمه، و أدخلهم المدينة، فاكتشفوا الحيلة، فندم المسلمون، و لكنهم مضوا على ما أعطوه من العهود، و عقد عبد العزيز بن موسى بن نصير بينه و بين تدمير معاهدة هذا نصها:

"**بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب من عبد العزيز بن موسى بن نصير لتدمير بن عبدوس، أنه نزل على الصلح، وأن له عهد الله و ذمته وذمة نبيه صلى الله عليه و سلم، ألا يقدم له ولا لأحد من أصحابه ولا يؤخر، ولا يُنزع من ملكه، وأنهم لا يُقتلون ولا يُسبون، ولا يفرق بينهم و بين أولادهم ولا نسائهم، ولا يكرهون على دينهم، و لا تحرق كنائسهم، ولا ينزع من كنائسهم ما يعبد، و ذلك ما أدى الذي أشترطنا عليه، وأنه (أي تدمير بن عبدوس) صالح على سبع مدائن: أوريونة، وبلتنة، ولقّنت، وموله، وبلاَّنة، ولورقة، وأله، لا يؤوي لنا آبقا، ولا يؤوي لنا عدوا، ولا يخيف لنا آمنا، ولا يكتم خبر عدو علمه، وعليه وعلى كل واحد من أصحابه دينارا كل سنة،وأربعة أمداد قمح، وأربعة أمداد شعير، وأربعة أقساط طلاء، وأربعة أقساط خل، و قسطي عسل، وقسطي زيت، وعلى العبد نصف ذلك، و كتب**

---

[1] **أخبار مجموعة ص10-14، البيان 2/9-10.**

[2] **أخبار مجموعة ص12 البيان ج2 ص 11.**

[3] **أخبار مجموعة ص 12.**

[4] **عمر فروخ: العرب و الاسلام في الخوض الغربي من البحر المتوسط ص89.**

[5] **عند أخبار مجموعة ص13**

في رجب في سنة 94 من الهجرة"[1].

طارق نحو طليطلة " 93هـ".

في هذه الأثناء كان طارق قد سار بمعظم الجيش إلى جيّان يريد طليطلة التي غادرها أهلها إلا اليهود في قوم قلة[2]، و فر علجها (حاكمها) إلى مدينة خلف الجبل يقال لها ماية[3]، وكذلك أسقفها سندريد قد تركها أيضا و لحق برومية، و كان ذلك سنة 93هـ،و كانت غنائم طارق من طليطلة كثيرة، منها تلك المائدة الثمينة المحلاة بالحجارة الكريمة (مائدة سليمان)، وحسب بعض المصادر [4]" الروض المعطار ص 132" فإنها لم تكن سوى مقرأة يوضع عليها الإنجيل مفتوحا لقراءتها.

حملة موسى بن نصير:

لما رأى موسى بن نصير حملة طارق قد نجحت نجاحا باهرا ، وبعد أن راسله طارق لمعاونته على فتح بلاد الأندلس[5]، و أراد أن يشارك في الحملة، و قيل بل كان حاسدا لطارق على ما أصاب من الفتوح والغنائم[6]، تحرك موسى من القيروان سنة 93هـ" رجب" في جيش قوامه 10 ألاف و قيل 18 ألف[7]، و كان معه وجوه العرب من قيس و اليمن، و من أهل الشام و وجوه الموالي و عرفاء البربر، و معه كذلك حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع[8]، وترك على القيروان ابنه الأكبر عبد الله، و وصل الجيش إلى الأندلس، ونزل فيها في رمضان من سنة 93هـ " حزيران 712م".

بدأ موسى حملته و سار في طريق الفتح طريقا غير الذي سار عليه طارق[9] ، إذ سلك طريقا

---

[1] القسط مكيال سبع نصف صاع 750 غراما ، الطلاء في الاصل الخمر و واضح هنا أن الطلاء عصير العنب المعد لصنع الدبس لآن الخمر من المحرمات و لا يجوز للمسلم أخذها في زكاة أو جزية أو بيع أو شراء..إلخ، 04 رجب 94 هـ =05 نسان 714 م. الروض المعطار ص 132..

نلاحظ أن ذكر المعاهدة قد ورد في : أخبار المجموعة ص 12-13، البيان ج2 ص11، ابن الأثير ج4، نفح الطيب ج1 ص212.،

[2] البيان: ج2 ص 12..

[3] النويري: ج24 ص 48-49، البيان ج2 ص12 مدينة المائدة.

[4] الحميري الروض المعطار ص 393.

[5] عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ص 277و الامامة و السياسة": إن الأمم تداعت علينا من كل ناحية فالغوث الغوث ج 2 ص 118.

[6] البيان: ج2 ص13.

[7] أخبار مجموعة: ص15.

[8] ابن الأثير: ج4 صص 267.

[9] إذ قيل له اسلك طريق طارق، فقال : لا والله لا أسلك طريقه، فقال له الأدلاء من الأعلاج: نحن بذلك على طريق هي أشرف من طريقه و على مدائن هي أعظم خطرا من مدائنه لم تفتح يفتحها الله على يديك إن شاء الله ، فامتلأ موسى

غربيا حتى جاء شذونة و افتتحها عنوة، ثم قرمونة و فتحها خدعة بأن واطأ أصحاب يوليان، فتقدموا من المدينة و تظاهروا بالهزيمة أمام جيش المسلمين، ثم دخلوا المدينة، و لما جن الليل فتحوا باب المدينة للخيلن و فتحت المدينة[1]، ثم اتجه موسى نحو إشبيلية و افتتحها بعد أن حاصرها أشهر، ثم لبلة، ثم توجه نحو ماردة و فتحها بعد حصار أشهر، ثم كمن لرجالها في حفر كانت مقالع يقطع أهل ماردة منها الحجارة، ثم هرب نفر منهم إلى جليقية في الشمال الشرقي، وطلب الذين بقوا الصلح فصالحهم موسى ، وفتحت يوم الفطر 01 شوال سنة 94هـ /719م.

موسى نحو طليطلة:

توجه بعدها موسى نحو طليطلة، وبلغ طارقا إقبال موسى نحو طليطلة، فانحدر منها بعد أن كان قد وصل إلى مدينة وادي الحجارة أو مدينة الفرج[2]، على بعد نحو 110 كلم من شمال شرق طليطلة في أواخر 93هـ، ثم رجع ليشتو في طليطلة، والتقى بموسى بموضع من كورة طليبرة يقال له " بايد" أو تايد أو تايتر، ونزل طارق معظما لموسى، و يجمع المؤرخون على أن لقاء طارق بموسى لم يكن وديا، فابن عبد الحكم يروي أن موسى أخذ طارقا فشده وثاقا و هم بقتله[3]، وأما صاحب أخبار مجموعة فيقول:" فوضع موسى السوط على رأسه، و ونبه فيما كان من خلاف رأيه"، و تقترب رواية ابن الأثير و ابن عذاري من رواية أخبار مجموعة.

و يبدو أنه كانت بين موسى و طارق خطة التزم طارق بتنفيذها، و لكن الظروف الميدانية كانت أقوى من أن يلتزم طارق بالخطة التي رسمت و كانت محل تفاهم و اتفاق بينه و بين موسى[4] ، وأن لا يغرر بالمسلمين، لذلك ظن موسى أن طارقا خالفه مخالفة القائد للأمير قبل أن يرى مبرراته، فلا شك أنه كانت له معاتبة لطارق اعتذر فيها طارق، و أبان عذره، فرضي موسى بعد ذلك[5]، دون الوصول إلى السجن أو الضرب كما ادعى بعض المؤرخين، بدليل أن طارق و موسى أكملا الفتوح نحو سرقسطة سنة 95هـ.

و بعد لقاء طارق و موسى رجعا إلى مدينة طليطلة و قضيا فيها شتاء 95هـ/ 713م جمادى الأولى، وأرسل موسى الخبر بالفتح و بالغنائم إلى الخليفة **الوليد بن عبد الملك** مع علي بن رباح اللخمي،

سرورا و سلك.

[1] البيان: ج2 ص 13-14.

[2] الروض المعطار ص 193.

[3] فتوح مصر ص ،

[4] فقد ذكر صاحب البيان بأنه :ط إنما فعل ذلك به لتقدمه دون رأيه و هو مولاه، و على توغله بالمسلمين و تغريره بهم"ج2 ص 16.

[5] البلاذري :فتوح البلدان ص 323.

و مغيث الرومي، فاتح قرطبة، **و سك موسى عملة دراهم و دنانير**، مضروبة باللغة العربية، و الألفاظ الإسلامية، على أحد وجهيها" **بسم الله لا إله إلا الله وحده لا إله غيره**" **و على الوجه الآخر:" هذا الدرهم ضرب في الأندلس سنة... "**[1].

وفي رجب من سنة 95هـ تقدم موسى وطارق نحو مدينة سرقسطة فحاصراها و فتحاها، و كان معهما حنش الصنعاني فاستقر فيها، و خط مسجدها الجامع[2].

و ينسب بعض المؤرخين إلى مغيث الرومي فاتح قرطبة و الذي كان أحد الرسولين بعثهما موسى بالفتح إلى الخليفة **الوليد بن عبد الملك** بأنه كان وراء تلك الصورة التي رسمت للخليفة نحو موسى، فقد كان مغيث حانقا على موسى إما لشيء في نفسه، أو لأنه نسب أعمال الفتح كلها إليه، فأراد أن ينتقص من عمله في حضرة الخليفة ،و كان لذلك بالغ الأثر السيئ على مصير موسى من بعد، و ربما كان رأيه في موسى أنه يريد التغرير بجيش المسلمين حينما أراد أن يلتف إلى القسطنطينية.

بدا لموسى بعد استقراره في طليطلة أنه باستطاعته السير نحو الشمال لإكمال فتح شبه الجزيرة، و كانت نيته منعقدة على اختراق جبال البرت، و غالة، و أروبا كلها ليصل إلى القسطنطينية من الغرب.

وصول مغيث الرومي رسولا من طرف الخليفة الوليد بن عبد الملك:

في هذه الأثناء وصل مغيث الرومي من دمشق، و معه أمرُ لموسى و طارق بأن يحضرا إلى دمشق، وأحس موسى بخطر التوقف عن الفتح، فاستمال مغيثا حتى يمهله لإكمال الفتح، و عرض عليه أن يمنحه نصف ما يغنم من البلاد التي سيفتحها، و القصر الذي كان يسكنه حاكم قرطبة، فقبل مغيث، و ظل هذا القصر يعرف فيما بعد ببلاط مغيث[3]، وكانت أقصى ما وصلت الفتوح هو البحر من الناحية الشمالية ، قال المقري:" و مشى معه (أي مغيث الرومي) حتى بلغ المفازة، فافتتح حصن بارو، و حصن لُكَّ، فأقام هنالك، و بعث السرايا حتى بلغوا صخرة بلاي[4] على البحر الأخضر، فلم تبق كنيسة إلا هدمت، ولا ناقوس إلا كُسر، و طاعت الأعاجم، فلاذوا بالسلم و بذل الجزية، و سكنت العرب المفاوز..."[5].

عودة موسى بن نصير و طارق إلى دمشق:

---

[1] أنظر حسين المؤنس: فجر الأندلس ص100، وفروخ: المسلمون في الحوض الغربي ص98. حسن حسني عبد الوهاب: ورقات، ج1، ص 401.

[2] الحميري: الروض المعطار ص 317. وانظر المقري، نفح الطيب ج1 ص 218، ابن الأثير: الكامل ج4 ص 376، ابن خلدون : العبرج4 ص 117،.

[3] المقري: النفح ج1 ص 220.

[4] ابن عذاري:البيان ج1 ص 45.

[5] النفح: ج1 ص 220، النويري : نهاية الأرب ج24 ص

عاد موسى وطارق إلى المشرق، وتعرض موسى إلى محنة كبيرة لحقته من قبل الملك سليمان بن عبد الملك، مسته في شخصه وفي أبنائه وأملاكه وأصحابه وأشياعه، وذلك لاسباب لعل اهمها ما كانت تتصوره مؤسسة الخلافة بأنه أصبح يتمتع بمركز سلطة قوي جدا قد يؤدي به إلى الاستقلال بإقليم المغرب والاندلس، وما كان يتبع ذلك من تهديد الخلافة ذاتها وانتزاع الملك من البيت الاموي، ومن ثم كان لزاما على الخليفة أن يزيل هذا التهديد الحقيقي باستدعائه وتصفية كل قوته المادية والمعنوية.

والملاحظ أن النكبة التي تعرض لها موسى و أبناؤه من طرف سليمان بن عبد الملك كانت وصمة عار، بقي ذكرها ملطخا سمعته على مدار التاريخ، قال الرازي:" فكانوا يعدون فعل سليمان هذا بموسى وابنه من كبار زلاته التي لم تزل تنقم عليه"[1].

وإذا كان الأمر قد تعلق كما قلنا بفكرة الاستقلال، و ترويع موسى وأهله من أجلها، فإن سليمان بعد أن ارتاحت نفسه من هذه الحيرة تجاه موسى، أصبح بعد ذلك من جلسائه، يتبادلون أطراف الحديث حول الفتوح وخاصة القسطنطينية، وكان ممن حج معه، وتوفي موسى في طريقه إلى الحج سنة 97هـ[2].

ثالثا: عصر الولاة بالمغرب الاسلامي.

تمهيد:

مصطلح عصر الولاة يؤرخ للفترة التي اعقبت عمليات الفتح شبه النهائية لبلاد المغرب والاندلس، وكان ذلك بعد استدعاء موسى بن نصير من المغرب والاندلس، ثم تعيين أول وال جديد بعده من قبل الخلافة الاموية وذلك سنة 97 هـ.

وإذا كان تاريخ هذا العصر متفق عليه بين المؤرجين فيما يتعلق بالمغرب والاندلس فإن تاريخ نهايته تختلف من منطقة إلى أخرى ؛ فبالنسبة للاندلس ينتهي عصر الولاة المرتبطين بالخلافة العباسية وريثة الخلافة الاموية سنة 138هـ وهي السنة التي تم فيها تأسيس الدولة الاموية في الاندلس من قبل عبد الرحمن الداخل، بينما في المغرب الاسلامي فإن عصر الولاة يبدأ بتأسيس الدول المستقلة عن الخلافة العباسية، فعصر الولاة في جنوب المغرب الاقصى يبدأ بتأسيس دول بني مدار سنة 140هـ ، وعصر الولاة في المغرب الاوسط يبدا سنة 160هـ عند تأسيس الدولة الرستمية، بينما في المغرب الاقصى فيبدأ عصر الولاة سنة 172 بتأسيس دولة الادارسة، وفي المغرب الادنى يكون سنة 184 بتأسيس إمارة بني الاغلب التابعة للعباسيين.

---

[1] **ابن عذاري : البيان ج2 ص25.**

[2] **الذهبي: سير أعلام النبلاء ج 4، ص 267.**

1- ولاية محمد بن يزيد (97-100)هـ:

بعد الذي رأيناه في أمر موسى بن نصير و أبنائه، والذي كان من أهم أسبابه التوجس الذي أصاب الخلافة من شرٍّ قد يأتي عليها و يحولها إلى آل نصير، فإنه لما استقام الأمر لسليمان، و نفسه تحدثه بالمراكز العليا التي وصلها أبناء موسى، إلى جانب المعاملة السيئة والعنيفة التي أبداها عبد الله بن موسى تجاه بربر إفريقية[1]، بدأ يفكر في أمر من يوليه خلفا لعبد الله بن موسى، فاستشار وزيره رجاء بن حيوة[2] في ذلك، وقال له:"أريد رجلا له فضل في نفسه أوليه إفريقية"، فقال له:" نعم"، فمكث أياما ثم قال:" قد وجدت رجلا له فضل"، قال :"من هو"، قال :"محمد بن يزيد مولى قريش"، فقال:" أدخله علي"، فأدخله عليه، فقال سليمان:" يا محمد! اتق الله وحده لا شريك له، و قم فيما وليتك بالحق و العدل! و قد وليتك إفريقية والمغرب كله"[3]، فخرج محمد وهو يقول:" مالي عذر عند الله إن لم أعدل"[4].

استقر محمد بن يزيد وال على إفريقية والمغرب سنة 97هـ، وقام فيها بأحسن سيرة وأعدلها[5]، وساد السلم والأمن بلاد المغرب، ونعم المسلمون عربهم وبربرهم بالاطمئنان والعدل، وعمل على بث السرايا إلى ثغور إفريقية، وما كان فيها من الغنائم، قسمه على جنوده، دون أن يحتجز لنفسه شيئا منها[6].

وجاءته أوامر من طرف الخليفة سليمان **لتصفية عبد الله بن موسى** وأهل بيته، واستئصال أموالهم، بعد الذي رأيناه من قبل مما بدى للخلافة في موسى وأبنائه، فتمت العملية على يدي خالد بن يزيد[7] وذلك سنة 97هـ .

وكانت الأندلس تابعة لولاية إفريقية، لذلك استعمل محمد بن يزيد عليها الحر بن عبد الرحمن الثقفي، وبقي واليا عليها ثلاث سنين، وهو الذي نقل العاصمة من إشبيلية إلى قرطبة، وكانت الأندلس قبله وبعد مقتل عبد العزيز بن موسى قد بقيت لستة أشهر دون وال، ثم اجتمع أهلها على تزكية أيوب بن حبيب ابن أخت موسى بن نصير.

وكان لسياسة **محمد بن يزيد** الأثر الطيب في دخول البربر في دين الله أفواجا.

وفي سنة **99هـ توفي سليمان بن عبد الملك**، واستخلفه **عمر بن عبد العزيز**[8]، فاستعمل على

---

[1] عبد العزيز سالم: المغرب الكبيرج2 ص288.

[2] ابن سعد : الطبقات الكبرى ج5 ص 387،" كان ثقة عالما فاضلا كثير العلم".

[3] ابن عذاري ك البيان ج1 ص47، الرقيق القيرواني ص93.

[4] البيان ج2 ص47، والنويري: نهاية الأرب ج24 ص 54.

[5] البيان ج1ص47.

[6] إبن عذاري: البيان ج1 ص47.

[7] البيان ج1 ص 47..

[8] لما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز، قال لامرأته فاطمة بنت عبد الملك:" إن أردت صحبتي فرُدِّي ما معك من

إفريقية **تابعيا جليلا**، وإماما زاهد، هو **إسماعيل بن عبد الله بن مهاجر دينار** .

2- ولاية اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر (100-101)هـ:

اتسمت سياسة عمر بن عبد العزيز بمحاولته إصلاح الدولة في جوانبها المختلفة، ويمكن تحديد ذلك في : العودة بالاسلام إلى صفحته الاولى، وعلاج الازمة المالية، ومفاوضة الخوارج، واستمالة وارضاء الشيعة **وكان لهذا التوجه أثره في ولاته، ومنهم اسماعيل** .

كانت شخصية إسماعيل ومن ولاه عمر بن عبد العزيز قد أفضت على الخلافة وأنصارها روحا جديدة تتنسم فيه روح الإسلام الصادقة، بعيدة عن مفاتن الدنيا وزخرفها، كما أخضع معيار التولية لاقتدار الشخص وإيمانه وحسن أخلاقه وترفعه عن مفاتن الدنيا، تلك خصيصة زادت في تألق **عمر بن عبد العزيز**، حتى عُدَّ خامسا للخلفاء الراشدين، رغم تخلفه عنهم عشرات السنين.

ويروى أن سبب تولية عمر بن عبد العزيز لإسماعيل بن عبد الله، أن الولاة كانوا إذا بعثوا الغنائم، بعثوا معها مجموعة من الشهود يحلفون أنها أُخِذت من وجهها، فكان إسماعيل أحد الشهود الذين أبوا أن يشهدوا بصحة جمع المال مع السمح بن مالك الخولاني(عشر شهود رفض منهم اثنان)، وكان ذلك بحضرة عمر بن عبد العزيز(و لم يكن خليفة بعد)، في عهد سليمان بن عبد الملك، فحفظها له عمر بن عبد العزيز، و ولاه إفريقية، وعهد إلى السمح بن مالك الخولاني **بولاية الاندلس**، و ولى **عبد الله بن المغيرة** قضاءها[1].

وكانت ولايته سنة 100هـ[2]:

- أحسن السيرة في ولايته، و كان حريصا على إصلاح ماسلف من العمال،

- خفف الاعباء المالية على المسلمين من اهل البلاد وأصبحوا ا يحتفظون بأرضهم ولا يدفعون عنها إلا الخراج إلى جانب الزكاة منهم.

من مال وحلي وجوهر إلى بيت مال المسلمين، فإنه لهم، فإني لا أجتمع أنا وأنت وهو في بيت واحد. فردته جميعا".
وهو الذي ترك سبَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وقرأ عوضه:﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى﴾، فكان هذا الفعل محل استحسان الناس، فمدحوه لسببه، فمن ذلك قول كثير عزة (ابن الأثير: الكامل، ج5، ص43):

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف * بريا ولم تتبع مقالة مجرم**
تكلمت بالحق المبين وإنما * تبين آيات الهدى بالتكلم**
وصدقت معروف الذي قلت بالذي * فعلت فأضحى راضيا كل مسلم**
ألا إنما يكفي الفتى بعد زيغه * من الأود البادي ثقاف المقوم**

[1] الدباغ: معالم الإيمان، ج1 ص 158-158.

[2] البيان: ج1، ص 48.

الغى عمر بن عبد العزيز بيع الابناء من لواتة في حساب الخراج وقد اصبحوا مسلمين فلهم المساواة مع المسلمين وقال :" من كانت عنده لواتية فليخطبها إلى أبيها أو فليرددها إلى أبيها

- **دعاء البربر للإسلام، حتى أسلم بقيتهم على يديه[1]، إذ قد أوفد إليه عمر بن عبد العزيز عشرة من التابعين،** أهل علم و فضل و فقه، ليعلموا البربر القرآن الكريم، و أحكام الدين و علومه، حتى يكون إسلامهم على تقوى من الله و رضوان، و يستبينوا حقائق الدين على أساس سليم،فحتى ذالك الوقت بقي في اهل افريقية من لا يعرف الحلال والحرام وكانت الخمر حلالا حتى وصل التابعون فبينوا تحريمه"(ابن عذاري 48/1) ومن هؤلاء **عبد الرحمن بن نافع، و سعيد بن مسعود التجيبي،** و**إسماعيل بن عبيد الأنصاري** المعروف بتاجر الله، **وعبد الرحمن بن رافع التنوخي، وجعيل بن عاهان بن عمير الرعيني،** و **حبان بن أبي جبلة القرشي،** و **موهب بن جنى المعافري، و طلق بن حابان الفارسي،** و **بكر بن سوادة الجذامي،** و **إسماعيل بن عبيد الله الأعور**[2].

وقد أدى هؤلاء التابعون مع غيرهم من المسلمين واجب الدعوة و نشر الإسلام في مناطق المغرب المختلفة، و كان جهادهم و مثابرتهم وراء إسلام بقية البربر، وكان فضلهم كبير على المغرب كله، **فجامع الزيتونة بناه أحد هؤلاء العشرة هو إسماعيل بن عبيد الأنصاري**[3].

وهنا تبرز ظاهرة استمرار البعوث العلمية لبلاد المغرب فربما كان اسلام البربر يشوبه كثير من الجهل بالاسلام لعامل اللغة والحضارة من جهة، ومن جهة اخرى لعدم الاهتمام بالجانب الدعوي الموازي للفتح العسكري، ولذلك كانت المرة تلو الاخرى تكتشف الثغرات الكبيرة في العلاقة بن البربر المسلمين وبين التصورات الاسلامية السليمة.

وكانت مهمة هؤلاء التابعين العشرة ليست مقتصرة على التعليم فحسب، **بل كان وجودهم إضافة إلى ذلك يشكل صمام أمان للأمة من أن يجور عليها ولاتها،** فقد روي المالكي أن **أبا مسعود سعيد بن مسعود التجيبي** كانت همته عالية في استرجاع حقوق الناس، و الطلب بقوة بإيفائها لأصحابها، منها أنه كانت له مظلمة عند أمير إفريقية، فصاح عليه يوم الجمعة بعد خروجه من الجامع، و قال له:" أنا بالله لا بك"، فقضى الأمير حاجته[4].

وكان **عمر** رحيما بالمسلمين في الأندلس، فأراد أن يرجعهم ويخرجهم منها، ولكن السمح بن مالك أكد له أن المسلمين قد تكاثروا و تقاطروا على هذا القطر بما لا يُخشى عليهم غيلة، فأفردها عمر

---

[1] الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية و المغرب ص97، ابن عبد الحكم ص 241، النويري ج24 ص56، الدباغ: معالم ج1 ص154.

[2] المالكي: رياض النفوس ج1 ص64-76، و انظر كذلك الدباغ: معالم الإيمان ج1 ص141 وما بعدها .

[3] الدباغ: معالم الإيمان ج1 ص 147.

[4] نفسه: ج1 ص 142-143.

عن ولاية إفريقية، اعتناء بأهلها وتهمما بشأنها[1].

غير أن الشطط الذي كان يحيق بالخلافة من الخليفة ذاته، يمتد عبر وُلاَّتِة مختلف الأقاليم، رغم وجود هؤلاء الثلة من العلماء.

وتوفي عمر بن عبد العزيز في السادس من شعبان سنة 101هـ بدير سليمان (أو سمعان)[2]، وكانت خلافته سنتين و خمسة أشهر، و ولي الخلافة بعده **يزيد بن عبد الملك**، فولى على إفريقية يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج بن يوسف، صاحب شرطته. بعد ان عزل **إسماعيل بن عبد الله** .

العودة إلى سالف عهد الدولة في الاستبداد باهل الامصار (سياسة عامة)

3- ولاية يزيد بن أبي مسلم (102)هـ:

هو أبو العلاء بن دينار الثقفي، مولى الحجاج و كاتبه و مشيره وصاحب شرطته[3]،أحد تلامذة الحجاج في الادارة ، استخلفه الحجاج عند موته على أموال الخراج، فضبط ذلك، **و أقره الوليد**، حتى لقد قال:" مثلي ومثل الحجاج وأبي العلاء، كمن ضاع منه درهم فوجد دينارا"[4]، ويبدو أنه أخذ من الحجاج سطوته وجبروته و ظلمه.

ولاه يزيد بن عبد الملك إفريقية سنة 102هـ[5]، وقد أساء السيرة في ولايته.

1- قبض على الوالي الاسبق **محمد بن يزيد القرشي** وأساء اليه اساءات بالغة من تعذيب وسجن ربما كان ذلك لأسباب شخصية

2- واستخف بالبربر، وأراد إهانتهم، وفرض الجزية عليهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم و هم كفار[6]، إمعانا في السيطرة عليهم.

3 - تتبع اموال الولاة السابقين وبدأ بموالي موسى بن نصير من البربر فجعلهم اخماسا.

4- احصى اموالهم وأولادهم.

5 - جعلهم حرسه الخاص.

- كان حرس الولاة يتكون من البربر البتر خاصة، ولعلهم من بربر **جراوة بربر الكاهنة.**
- وحتى يتمكن في نظره من استقامة الحكم له، خطرت له فكرة غريبة كانت وراء مهلكه، ذلك

---

[1] البيان: ج2 ص26.

[2] ابن عذاري: البيان ج1 ص 48، الفيق القيرواني: ص98.

[3]الرقيق القيرواني: ص98. سير أعلام النبلاء: ج4 ص 320.

[5] البيان ج1 ص 48، الفيق ص99.

[6] ابن الأثير: الكامل ج5 ص 101.،

أن حرسه كانوا من البربر البتر[1]، الذين تسارعوا في بدايات الفتح للإسلام، والاشتراك فيه، فقام يزيد فيهم خطيبا على المنبر وقال:" إني رأيت أن أرسم اسم حَرَسِي في أيديهم، كما تصنع ملوك الروم بحَرَسِها، **فأرسم في يمين الرجل اسمه، وفي يساره حرسي،** ليُعرَفُوا بذلك من بين سائر الناس، فإذا وقفوا على أحد أسرع لما أمرت به".

– رفض البربر الخضوع لهذا التنظيم الغريب : فلما سمعوا ذلك منه (أي حرسه) وقالوا: "جعلنا بمنزلة النصارى"[2]. اتفقوا على قتله، **ولم يمهل البربر يزيد بن أبي مسلم حتى قتلوه في مصلاه بعد شهر واحد من ولايته**[3]، وولوا على أنفسهم **المغيرة بن أبي بردة،** وكان شيخا شجاعا، و لكن ابنه عبد الله تفطن لما يمكن أن يكون من رد فعل للخليفة يزيد بن عبد الملك، فقال لأبيه:" إن يزيد بن أبي مسلم قُتِل بحضرتك،فإن قمت بهذا الأمر ،اتهمت بقتله، ولكن الرأي أن نتراضى محمد بن يزيد "[4]، وكان غازيا **بصقلية** فوافق القوم على ذلك، ولما وصل قلدوه أمر إفريقية، **وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك: "إنا لم نخلع أبدا من طاعة، و لكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضاه الله والمسلمون فقتلناه، و أعدنا عاملك".**

فكتب إليهم يزيد بن عبد الملك:" إني لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم" و أقر محمد بن يزيد على عمله"[5].

وكان يزيد بن أبي مسلم قد **ولى عنبسة بن سحيم على الأندلس.**

وقد قبل يزيد بن عبد الملك عرضهم على مضض، إذ ما لبث أن بعث إليهم بشر بن صفوان الكلبي واليا عليهم سنة 103هـ[6]، وإن كان عمله هذا ينم عن تهاون كبير في أمر الخلافة التي صارت إليه، ولم يكن في مستوى عمر بن عبد العزيز.

4– ولاية بشر بن صفوان (103–109)هـ:

كان بشر بن صفوان واليا على مصر حين قُتل يزيد بن أبي مسلم، ثم أمره يزيد بن عبد الملك بولاية إفريقية، فقدم القيروان:

– أحسن سيرته في معاملة البربر، و رفع عنهم ما آذاهم به يزيد بن أبي مسلم، و نجح

---

[1] الفيق ص 99، ابن عبد الحكم ص 242.

[2] البيان ج1 ص 48، الرفيق ص99، ابن عبد الحكم ص 242.

[3] عبد العزيز سالم المغرب الكبير ج2ص 295.

[4] ابن عذاري: البيان ج1 ص 49.

[5] الكامل،ج5 ص 105.

[6] النويري: ج24 ص 56.

بذلك في رأب الصدع بينهم و بين الخلافة.

– وربما كان هناك بقايا من آل موسى بن نصير تنفسوا الصعداء بعد مجيء عمر بن عبد العزيز، فزهت نفوسهم، وتسنموا لما فقدوه في عهد سليمان بن عبد الملك، فكان من يزيد بن عبد الملك، إلا أن أعطى إشارات واضحة لبشر بن صفوان من أجل أن يستصفي بقايا آل موسى بن نصير, وربما كان يعتقد أن لهم يدا في الثورة على يزيد بن أبي مسلم و قتله، إذ كان معظم الثائرين عليه من موالي موسى بن نصير[1].

بعد حوالي عامين رجع بعد ذلك بشر بن صفوان إلى دمشق محملا بالهدايا إلى الخليفة يزيد، فجاءه نبأ وفاته في الطريق إليه من سنة105هـ[2]، **وبعد البيعة لهشام بن عبد الملك سنة 105هـ**[3]، قام بشر بتقديم تلك الهدايا لهشام بن عبد الملك، فأقره **على إفريقية**، و رده إليها، و ولى بشرُ على الأندلس **عنبسة بن سحيم الكلبي.**

وفي سنة 107هـ غزا عنبسة بن سحيم الكلبي مدينة قرقسونة، و حصر أهلها، فصالحوه عن نصف غلاتها، و إطلاق جميع أسرى المسلمين، ولما عاد توفي في شعبان سنة 107هـ، ثم استعمل عليهم بشرُ بن صفوان **يحي بن سلمة الكلبي** في سنة 107هـ[4].

من أعماله في سنة **109هـ**، توجه **بشر بن صفوان**_غازيا إلى صقلية ففتحها، وغنم منها و سبا سبيا كثيرا[5]، وقفل راجعا إلى القيروان بعد أن هلك كثير من جيشه في البحر إثر عواصف عاتية[6]، **ولم يلبث بشرُ حتى أصيب بمرض الدبيلة، مات على إثره بمدينة القيروان**، وذلك في شوال من سنة 109هـ[7]، وترك على القيروان خليفة له هو **العباس بن باضعة الكلبي**، الذي قام بالأمر من بعده حتى **وصول عبيدة بن عبد الرحمن إلى القيروان.**

5– ولاية عبيدة بن عبد الرحمن السلمي (110–114)هـ:

كان عبيدة هذا قيسيا متعصبا فما إن حل بالقيروان حتى بدأ بمطاردة عمال بشر وأنصاره،

---

[1] أنظر : ابن عبد الحكم ص244، عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ج2 ص196.

[2] البيان: ج1 ص 49.

[3] قال الواقدي:" حدثني سحبل بن محمد قال: ما رأيت أحدا من الخلفاء أكره إليه الدماء و لاأشد عليه من هشام"، سير أعلم النبلاء ج4 ص539–540، وقيل عنه:" كان حريصا جماعا للمال–عاقلا– حازمنا سائسا فيه ظلم مع عدل"نفسه.

[4] ابن الأثير: ججج5 ص 136.

[5] البيان: ج1 ص 49، ابن الأثير ج5ص 146.

[6] ابن عبد الحكم ص 244.

[7] نفسه ص 246..

فعذبهم وأغرمهم ونكل بهم[1].

يبدو أن ذلك كان على جهل من الخليفة **هشام بن عبد الملك**، ثم ولى على الأندلس من قبله أربعة ولاة و هم على التوالي: عثمان بن أبي تسعة سنة 110هـ، وحذيفة بن الأحوص القيسي سنة111هـ، و الهيثم بن عبيد الكناني في 112هـ، **وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي في سنة 113هـ، الذي استشهد في معركة بلاط الشهداء في سنة 114هـ**[2] **أو** 115هـ .

و كان من المتضررين من موالي **بشر بن صفوان** وعماله من طرف عبيدة بن عبد الرحمن، **أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي**، وكان شريفا في قومه فصيح اللسان قوي النفس، وكان قد تولى لبشر بن صفوان ولايات كثيرة، فنكل به،فكتب أبياتا، وبعث بها إلى هشام بن عبد الملك وهي:

آفأتم بني مروان قيسا دماءنا *** وفي الله إن لم تنصفوا حكم عدل

كأنكم لم تشهدوا مرج راهط *** ولم تعلموا من كان تمَّ له الفضل

تعاميتم عنا بعين جلية *** وأنتم كذا ما قد علمنا لنا فعل

فلما قرأها هشام بن عبد الملك أمر بعزل عبيدة من إفريقية والمغرب، وذلك سنة 114هـ[3]، ورجع هذا الأخير محملا بالهدايا و التحف العظيمة.

ولا شك أن **عبيدة بن عبد الرحمن** لم تطل صولته على الكلبية فحسب، بل سام البربر كذلك شيء من حيفه، فأسرف في غزوهم و سبي نسائهم، و بالغ في التعسف معهم. و كان لهذه السياسية أثرها الكبير في تقبل البربر لمبادئ الخوارج، التي انتهت بتلك الثورة العارمة التي تفشت في المغرب والأندلس[4].

6- ولاية عبيد الله بن الحبحاب (114-123)هـ:

كان هذا الأمير من جلة الرؤساء، فصيح اللسان خطيب الكلام، كما كان حافظا للأنساب وأيام العرب وأشعارها، وكان واليا على مصر، فاختاره هشام بن عبد الملك واليا على المغرب كله، لصرامته و حسن تسييره للأمور، بعد أن أبان عن شخصيته في ولاية مصر.

خرج **عبيد الله بن الحبحاب** من مصر سنة 114هـ بعد أن ترك عليها ابنه القاسم، واتجه نحو القيروان، ثم استعمل على الأندلس عقبة بن الحجاج السلولي.

و استعمل ابنه **إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب** على السوس وما والاها من المغرب

---

[1] البيان: ج1 ص .50

6-البيان ج1 ص114-115هو ابن عبد الحكم ص245.

7- البيان ج2 ص 28، والكامل ج5 ص 174 وهو الصحيح أي سنة 114هـ.

[3] البيان ج1 ص 50-51، النويري ج24ص57.

[4] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ج2 ص 298.

الأقصى.

وعمر بن عبد الله المرادي على طنجة[1].

كان **عبيد الله بن الحبحاب** قيسيا متعصبا لقيسيته، كما كان متعصبا للعرب عامة على حساب البربر[2].

و نظرا لوجود بعض التمرد في نواحي السوس الأقصى، عمد **عبيد الله بن الحبحاب** إلى **حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع** بجيش، واتجه إليهم، و بلغ أرض السودان، وظفر بهم، وأصاب ما شاء[3]، وكانت غنائمه فيها كثيرة جدا، ثم عاد و توجه نحو **صقلية** و ظفر بها هي الأخرى وغنم منها غنائم باهرة[4].

ونظرا لتواتر الأخبار عن أعمال مذلة قام به عُمَّال **عبيد الله بن الحبحاب** تجاه البربر، وخاصة **عمر بن عبد الله المرادي** عامله على طنجة، إذ اعتبر البربر كفارا رغم إسلامهم، و أنهم فيء المسلمين، وأراد تخميسهم، وتعدى في الصدقات، والعشر، حتى لج البربر من ظلمه[5].

كما كان عمال (القادة – المسؤولون)المغرب يتعسفون في أموال البربر و مواشيهم، وحتى من نسائهم، فكان هؤلاء العمال إرضاء للخليفة الذي كان مغرما بطرائف المغرب التي تصنع من جلود الخرفان العسلية نظرا لطراوتها و ليونتها و نعومتها، ونظرا لندرة اللون العسلي، فقد كان العمال يتعسفون في بقر بطون الشياه الحاملة، بعد ذبحها، حتى يحصلوا على هذا اللون، فربما ذبحت مائة نعجة و لم يوجد فيها جلدا واحدا[6].

وكذلك كان يؤخذ منهم **البربريات الجميلات**، و يبعثون بهن إلى الخلافة، وقد أوجز ابن خلدون هذه الحوادث وصورها بقوله:" استعمل ابن الحبحاب عمر بن عبد الله المرادي على طنجة والمغرب الاقصى ، وابنه إسماعيل على السوس وما وراءه، واتصل أمر ولايتهم، و ساءت سيرتهم في البربر، ونقموا عليهم أحوالهم، وما كانوا يطالبونهم به من الوصائف البربريات، و الأفرية العسلية الألوان، وأنواع طرف المغرب، فكانوا يبالغون في جمعهم ذلك وانتحاله، حتى كانت الصرمة من الغنم تستهلك بالذبح لاتخاذ الجلود العسلية من سخالها، و لا يوجد فيها مع ذلك إلا الواحد وما قرب منهن **فكثر عبثهم بذلك**

---

[1] ابن الأثير ج5ص 175.

[2] عبد العزيز سالم: المرجع السابق ج2ص 298.

[3] الكامل في التاريخ ص175، البيان ج1ص51.

[4] نفس المصدر و الصفحة.

[5] البيان ج1ص52.

[6] أخبار مجموعة ص 32.

في أموال البربر وجورهم عليهم"[1].

هذه المظالم كانت السبب في تخريب المغرب و اندثار عمرانه، سنة الله في الظالمين حيث يقول تعالى: ﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا﴾، وبدأت نفوس البربر لا تلوي على أحد وهي ترى الظلم جهارا نهارا ولا تستطيع أن ترد عن نفسها.

مقدمات الثورة البربرية:

الخلفية/الاسباب:

1-استهداف المكسب المادي على حساب الدعوة ونشر الاسلام.

2-الطابع العنصري الذي تميز به الولاة: االقيسية ضد اليمنية/ العرب ضد البربر.

3- سياسة الظلم الممنهج أو المفتعل من قبل الولاة والقادة/ الظلم استهدف نهب المال والأرض والعرض.

4- انتشار الفكر الخارجي/الصفري خاصة الذي ساهم في الوعي وكان يدعو إلى الخروج على كل ظالم. واستطاع أن يملأ الفراغ الدعوي.

5-**ملاحظة:** الثورة شملت المغرب كله من طنجة إلى القيروان ثم طرابلس والأندلس.

كما كانت الفئات المشاركة ممثلة في معظم **القبائل البربرية** أساسا (حضور التكتل القبلي الذي يفرض مسايرة الكثرة) والبربر المستعربون وكذلك **العرب.**

- لما تكاثرت مثل هذه المظالم، بدأ التفكير الجدي للخروج من دائرة الظلم، اعتمادا على ما تلقوه **من حملة القرآن الكريم، ومن العشرة الفقهاء، على أن المسلمين سواسية،** وأن لا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى، وأن المسلم يجب عليه مدافعة الظلم قال الله تعالى:"﴿**ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون**﴾.

ويبدو أن هذا الظلم الذي سُلط على البربر لم يكن وليد لحظة أو فترة وجيزة، ولكنه استمر لسنوات، حتى تيقن البربر أن هؤلاء العمال لم يَعُدْ لهم شاغل سوى نهب البربر واستعبادهم وإذلالهم، وبدأ فلول الخوارج الهاربين من الشرق يتنقلون إلى بلاد المغرب، ويتدفقون نحوها، وبعد الذي رأوه من السياسات الرعناء لهؤلاء العمال، أطلوا بفكرهم، وخاصة فيما يتعلق منه بالخلافة، و بينوا أن المسلمين يمكنهم أن يتخذوا خليفة من المسلمين عامة، واستطاعوا أن يثبتوا للبربر أن هؤلاء العمال ظلمة يجب الخروج عليهم، أضف إلى ذلك ما كان بين العرب من شقاق وخصومة بين العصبيتين اليمنية و القيسية.

وكان المذهب **الأباظي** المعتدل قد تمركز في القسم الشمالي من المغرب الأقصى والأوسط، بينما تمركز المذهب **الصفري** في المناطق الجنوبية من المغرب الأقصى،من السوس الأدنى إلى جبال

[1] **ابن خلدون: العبر ج6 ص140.**

درن[1]،

وكان بربر الشمال يدعون إلى الثورة على الظلم كان الجنوبيون (المناطق الجبلية الممتدة من السوس الادنى إلى جبال درن) يدعون إلى إقامة دولة بربرية دينها الاسلام، أو اسلام متبربر وكانت ممثلة خاصة في برغواطة.

ولعل ذلك راجع إلى أن الشمال أكثر تحضرا وأقرب إلى نفوذ السلطة المركزية في المسالك المعروفة ، بينما الجنوب على العكس من ذلك فبربره هناك اقل تحضرا وابعد عن أن تناله ايدي الخلافة.

ورغم ذلك فإن حكماء البربر كانوا على جانب كبير من التحضر ، و إدراك الفارق بين دفع الظلم المسلط عليهم و بين التهور للخروج على النظام العام ، فلقد أدركوا بحسهم الحضاري ان يوفوا الأمر حقه ويتأكدوا أن هذا الظلم نابع من مؤسسة الخلافة و ليس من آحاد من القادة و ارادوا أن يتأكدوا من ذلك بأنفسهم، ولم يتصوروا أبدا أن الخليفة على علم بما يحدث في أقاصي الدولة، لذلك عزموا على المثول بين يديه لتوضيح الصورة، و التشكي له من عماله، قال الطبري:" ...فما زال أهل المغرب من أسمح أهل البلدان وأطوعهم، إلى زمان هشام بن عبد الملك، فلما دب إليهم أهل العراق، واستثاروهم، قالوا: إنا لا نخالف الأئمة بما تجني العمال، و لا نحمل ذلك عليهم، فقالوا:"إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك"، فقالوا لهم: "لا نقبل ذلك حتى نخبرهم"، فخرج **ميسرة المطغري** في بضعة عشر إنسانا حتى قدم على هشام، فطلبوا الإذن، فصعب عليهم، فأتوا **الأبرش**(كان رئيسا لوزراء هشام بن عبد الملك)، فقالوا: أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا، وبجنده، فإذا أصاب نَفَلَهُم دوننا، و قال:"هم أحق به"، فقلنا:"هو اخلص لجهادنا". وإذا حصرنا مدينة قال:" تقدموا"و أخر جنده، فقلنا:" تقدموا، فإنه ازدياد في الجهاد، ومثلكم كفى إخوانه، فوقيناهم بأنفسنا، وكفيناهم. ثم إنهم عمدوا إلى ماشيتنا، فجعلوا يبقرونها عن السخال، يطلبون الفراء الأبيض لأمير المؤمنين، فيقتلون ألف شاة في جلد، فقلنا: ما أيسر هذا لأمير المؤمنين، فاحتملنا ذلك، وخليناهم وذلك. ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا، فقلنا:" لم نجد هذا في كتاب ولا سنة، ونحن مسلمون، فأحببنا أن نعلم، أعن رأي أمير المؤمنين ذلك أم لا ؟، قال الأبرش:" نفعل".

فلما طال عليهم، ونفذت نفقاتهم، كتبوا أسماءهم في رقاع، ورفعوها إلى الوزراء، وقالوا:"هذه أسماؤنا وأنسابنا، فإن سألكم أمير المؤمنين عنا فأخبروه"، ثم كان وجههم إلى إفريقية، فخرجوا على عامل هشام فقتلوه، واستولوا على إفريقية، وبلغ هشاما الخبرُ فسأل عن النفر، فدفعت إليه أسماؤهم، فإذا هم الذين صنعوا ما صنعوا"[2].

---

[1] عبد العزيز سالم: المرجع السابق ج2 ص301.

[2] الطبري:تاريخ الأمم و الملوك ج 2ص 598.ابن الأثير:الكامل ج3 ص 92.وانظر في نفس المعنى، ابن خلدون:العبرج 6 ص 140.

الثورة البربرية(122هـ/739م):

إذن رجع هؤلاء النفر من دمشق وكلهم تأكد أن الأمر بات واضحا أنه من الخلافة، وأن الخليفة لم يعبأ بهم ولا بشكواهم، فلا مناص من إعلان الحرب على الظلمة والمعتدين، وخاصة وأن نصوص القرآن الكريم، والدعاة الخوارج يوضحون لهم عدم الاستكانة للظلمة، فجاءوا وكلهم حزم وعزم على الإطاحة بهذا الحكم الجائر.

وكان متولي هذه العملية **ميسرة المدغري** أو السقاء (أوالمطغري= وهي قبيلة بربرية بترية)الحقير أوالخفير الذي تمذهب بالدعوة الخارجية على مذهب الصفرية في المغرب الأقصى بين قومه **مطغرة**، وانظم إليه جموع من بربر مكناسة و برغواطة بزعامة **صالح بن طريف، والأفارقة بزعامة عبد الأعلى بن جريح الإفريقي الرومي**، وبايعوه إماما، وخاطبوه بأمير المؤمنين، وفشت مقالته في سائر القبائل بإفريقية[1]، وقاموا بحلق رؤوسهم، ونادوا " شعار الخارجية"[2].

واستغل فرصة خروج **حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع** الفهري بالجيش في حملة إلى صقلية، فجمع أنصاره، و **وثب على عمر بن عبد الله المرادي بطنجة فقتله**، و ولى مكانه مولى من موالي موسى بن نصير هو **عبد الأعلى بن جريج الإفريقي الرومي**، وهاجم السوس حيث جيش **إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب** فهزمه وقتله، ثم انتشرت نيران الفتنة والثورة و الحروب في بلاد المغرب[3].

لما وصلت الأخبار إلى **عبيد الله بن الحبحاب** فل في عضده، و أدرك أن هيبة الخلافة باتت في امتحان عسير، وجب الإسراع في تصحيحه بما يلزم، و كانت الفكرة التي ما انفك القادة عموما يهرولون إليها هي استعمال القوة أو الإفراط في استعمالها، خاصة بعد أن انتصر البربر في هذه المنطقة، **و أعناقهم مشرئبة إلى الوصول إلى القيروان، حيث الوالي عبيد الله بن الحبحاب**، لكن هذا الأخير بعث إلى **حبيب بن أبي عبدة** الفهري يأمره بالإسراع في رجوعه من صقلية حتى يعيد الوضع إلى نصابه.

موقعة الاشراف 123هـ(انهزام جيش الخلافة):

أعد **عبيد الله بن الحبحاب** بالقيروان جيشا كبيرا معظمه من العرب تحت قيادة **خالد بن حبيب بن أبي عبيدة الفهري** وتوجه نحو طنجة لمقابلة حشود ميسرة، وفي طريقه بوادي شلف قرب تيهرت حيث التقى بجيش ابيه حبيب بن أبي عبيدة الفهري الذي عاد من صقلية(كان معه ابنه عبد الرحمن بن حبيب حدث السن)، بقي الوالد هناك بينما استمر الابن بجيشه حيث لقي ميسرة بالقرب من طنجة واقتتل الجيشان **فتراجع ميسرة فثار عليه البربر وقتلوه، وولوا على أنفسهم زعيما من غلاتهم هو خالد بن**

---

[1] **إبن خلدون العبر ج6 ص .**

2 نفسه ج6 ص 141..

[3] **نفسه: ج 6 ص 130.**

حميد الزناتي،الذي استطاع ان يقضي بشكل شبه كامل على خالد بن حبيب وجيشه، وسميت هذه الغزوة "**غزوة الأشراف**"[1].

7- ولاية كلثوم بن عياض القشيري(123-124)هـ:

تناهت الاخبار إلى الخليفة هشام بن عبد الملك فاستدعى عبيد الله بن الحبحاب من افريقية وجعل بدله كلثوم بن عياض القشيري من غلاة القيسية سنة 123هـ وعزم هشام على الانتقام من البربر بقوله:" **والله لاغضبن لهم غضبة عربية ولأبعثن لهم جيشا اوله عندهم وآخره عندي**".

بعث هشام مع كلثوم جيشا مكونا من 12 الفا من الشاميين، انضم إليهم ثلاثة آلاف من مصر مع ثلاثة آلاف من جند قنسرين وآلاف من جند طرابلس. وكان **قائد الجيش بلج بن بشر القشيري ابن أخ كلثوم**. وعندما وصل إلى افريقية توجه مباشرة نحو **حبيب بن أبي عبدة الفهري** الذي كان معسكرا بتلمسان وقد حدثت بين الفريقين **مناوشات**(وصلت إلى حد التنادي بالسلاح وربما كانت مؤشرا من مؤشرات الهزيمة) ثم تم الصلح بينهم.

موقعة بقدورة على وادي سبو سنة 124هـ :

بدأت المعركة بين الطرفين واستخدم البربر فيها الجلود اليابسة المحشوة بالحجارة التي نفرت منها خيل كلثوم، وكانت الدبرة والهزيمة الشنيعة على جيش كلثوم **فقتل كلثوم** ، و**حبيب بن أبي عبيدة الفهري وإبادة عدد كبير** من الجيش. وانهزم من بقي إلى افريقية يتبعهم البربر. "**فثلث الجيش مقتول وثلث منهزم، وثلث مأسور**"[2].

أما **بَلْج** فإنه فرَّ مع عشرة آلاف من الجند إلى مدينة **سبتة** حيث حوصرا من قبل البربر الذين تبعوهم إليها. ثم ساروا بعد ذلك نحو الاندلس بمساعدة أميرها عبد الملك بن قطن. بعد ثورة لبربر في الاندلس تجاوبا مع ثورة المغرب/ رياح الثورة وامتدادها.

8- ولاية حنظلة بن صفوان الكلبي/ أخ بشر بن صفوان (124-127)هـ:

رأى الخليفة هشام ضرورة ارسال وال جديد وهو حنظلة بن صفوان والي مصر وأمده بجيش ضخم مخافة ان ينفصل المغرب والأندلس عن الخلافة فقد اصبحت سياسة الامويين على المحك فعلا.

حققت هذه الانتصارات في هذه الاثناء روحا معنوية عالية للبربر وبدا التفكير الجدي في التمدد

---

[1] **ابن عذاري: البيانن ج1، ص 54.**

[2] **أخبارمجموعة ص 34.**

أكثر واشعالها في كامل أرجاء المغرب والوصول إلى القيروان عاصمة الولاية، فبسقوطها لن يكون هناك منازع لهم أو من يهددهم بعد ذلك.

ظهر في هذه الاثناء قائدان وزعيمان بربريان هما : **عبد الواحد بن يزيد الهواري، وعكاشة بن أيوب الصفريان** يريدان الوثوب والهجوم على القيروان أواخر 124 هـ وأوائل 125هـ .

بدأت المعركة (موقعةالقرن)على مقربة من القيروان **بقيادة عكاشة البربري** الذي دارت عليه الدائرة واسر عكاشة وقتل وانتصر حنظلة.

ثم انتظر وصول **عبد الواحد بن يزيد الهواري** بمن معه من الثوار، واستبسل حنظلة وجنوده وهزموا جيش **عبد الواحد** الذي قتل في المعركة(موقعة الاصنام).

ولقد علق فقيه مصر وراويتها الشهير الليث بن سعد على هذا النصر فاعتبره من انتصارات الاسلام الفاصلة حتى قارنها بغزوة بدر، إذ قال :" ما غزوة كنت أحب أن أشهدها بعد غزوة بدر أحب إلي من غزوة القرن والأصنام"[1] .

كان هشام في هذه الاثناء يجود بنفسه عندما جاءته الاخبار بانتصار جيش الخلافة على البربر الثائرين.

استطاعت الخلافة إيقاف الثورة مؤقتا، ولكن في الوقت الذي كانت فيه في آخر عهد الاضمحلال إذ جاء بعد هشام عدد من الامراء الضعاف(**الوليد بن يزيد الذي قتل سنة 126 - يزيد بن الوليد/الناقص 6أشهر وتوفي – أخوه ابراهيم بن الوليد/خلع نفسه بعد 6 أشهر- إلى مروان بن محمد/127هـ) الذين كان على أيديهم سقوط الامويين وبروز نجم العباسيين.**

نتائج الثورة البربرية:

1- وضع حد للسيطرة المتعجرفة والظلم الذي مارسه الولاة وقادتهم.

2- تكبد الأمويين خسائر كبيرة بشرية ومالية.

3- كانت هذه الثوررة مسمارا من المسامير التي دقت في نعش الدولة الاموية.

4- استقلال كامل المغرب الاسلامي وإلى عصرنا هذا.

5- عاقبة الظلم هو خراب العمران وزوال الدول قال تعالى﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا﴾

6- **تأثر الشيعة بنجاح الثورة البربرية.**

العوامل التي أدت ادت إلى استقلال الدول عن الخلافة العباسية وريثة الخلافة الاموية:

يمكن إجمالها فيما يلي:

---

[1] **ابن عذاري : البيان ج1 ص 59.**

1- العامل الاجتماعي: الظلم الاجتماعي الذي تراكم على المجتمع المغاربي منذ بداية عصر الولاة ووصول المجتمع إلى نوع من الوعي بمظاهره المختلفة، وإخفاق أي بادرة لاحتواء الشعب واستيعابه ومعالجة تقرحاته الناتجة عن الظلم المتراكم.

2 - العامل الاداري: عدم قدرة مؤسسة الخلافة على تجاوز تعيين القيادات القادمة من المشرق، ولم تستخلص فكرة أساسية في تفعيل قيادات محلية، وما يثيره ذلك من الشعور المستمر بالغبن، وترسخ العرف الذي سارت عليه الخلافة منذ أيام الفتح في تعيين الولاة والقادة من بلاد المشرق.

3- العامل المذهبي: وصول وتسرب الافكار الخارجية الاباضية والصفرية، وما تحمله من معاناتها في إطار صراعها المرير مع الخلافة الاموية . وبأفكارها الثورية التي حاولت ان تقترب من الاجواء المتراكمة في بلاد المغرب، ودعوتها إلى الانتفاضة على الاوضاع القائمة باعتبار ما يقوم به الولاة يتنافى مع مبادئ الإسلام.

4- العامل الداخلي: الاضطرابات الداخلية في ظل ضعف السلطة عن السيطرة على الاوضاع يشكل مناخا مواتيا لبروز الروح الكامنة والتواقة للاستقلال. ومحضنا لتفريخ مشاعر الاستقلال.

الاضطرابات في مركز الخلافة وما تبعها من ظهور دولة بني العباس وزوال دولة الأمويين، ومرافقة ذلك كثرة التجاوزات وانفراط عقد السيطرة على الأوضاع- كانت ملهمة لشعوب المغرب لاستغلال هذه الفرصة نحو الاستقلال.

5- العامل الجغرافي: البعد عن مركز الخلافة وأثره في نمو الشعور بالقدرة على الاستقلال، والإطمئنان على ان أية محاولة في ذلك تكون بعيدة هي الأخرى عن أي متابعة أو ملاحقة، وفي أسوإ الأحوال تكون تكلفة مؤسسة الخلافة باهضة ماديا وبشريا مما يجعلها تتوقف عن اي خيار عسكري، خاصة في ظروف الدولة العباسية التي كانت تعمل على تثبيت اسسها في المشرق..

6- العامل الخارجي: احتضان ومساندة وتدعيم الحركات الداعية للاستقلال من قبل دول خارجية، وما يوفر ذلك من تشجيع ونمو للروح المعنوية التي تشعر بانها تستند إلى ركن يحميها من المتابعة او الملاحقة. وقد ظهر ذلك من خلال الدولة الاموية في بلاد الأندلس المستقلة تماما عن العباسيين وفي فترة كانت الدولة العباسية منشغلة بتوطيد اركانها بحيث لم تستطع ملاحقة أو عرقلة تأسيس الدولة الاموية في بلاد الأندلس، وكان لظهور هذه الدولة أثران حاسمان:

الأول: تسريع تنمية الشعور بالقدرة وضرورة الاستقلال والانفصال وهو شعور أعطى لشعوب المغرب الاسلامي طاقة غير مسبوقة نحو تجاوز مركز الخلافة.

الثاني: الدعم والمساندة الذي مارسته الدولة الأموية في الأندلس لكل جهد مناوئ للدولة العباسية العدوة. ووقوفها كظهير وملجإ ومشجع عملي أساسي لشعوب المغرب.

العامل الأساس: وكل هذه العوامل يمكننا إجمالها في عامل اساس يتعلق بمؤسسة الخلافة وعدم قدرتها على **الاستيعاب الايجابي لجماهير المغرب الاسلامي، وذلك في اتجاهين متوازيين:**

– **استيعاب** القدرات، والكفاءات، والقيادات المحلية والمساهمة فعليا وعمليا في إدارة شؤونهم، بحيث ينفعلون ويشاركون كمستقلين في ظل الدولة المركزية.

– **استيعاب الأحاسيس والطموحات والتطلعات** التي تريدها الشعوب في العدالة والثقافة والتطور والنمو. وتجاوز النظرة الضيقة حزبية كانت أو عرقية أوطائفية أوجهوية.

ومن جهة أخرى لم تكن لمؤسسة الخلافة القدرة على إصلاح ومعالجة الجراحات المختلفة، في العدالة، والثقافة، والامتيازات المادية، وتجاوز النظرة الضيقة، الحزبية الإقليمية، والجهوية مما كان سببا في تمكن النزعات الانفصالية التي أدت إلى الدول المستقلة.

معالم حضارية : كان الفتح الاسلامي لبلاد المغرب في حقيقته فتحا حضاريا إذ كان الهدف الاسمى من ذلك هو نشر الاسلام، وبسط مبادئه في الاقليم، وكان الجانب العسكري من الادوات اللازمة لذلك في وجود قوى بيزنطية جاثمة على المنطقة لقرون، إلى جانب الفراغ الثقافي الذي كان ينتاب المنطقة وتجذر بعض مظاهر الوثنية بها مع بقايا مسيحية ويهودية.

لقد كان الهاجس الكبير لقادة الحملات هو القيام بواجب نشر الاسلام، حيث كان عقبة بن نافع من القادة الذين كان همهم الكبير ترسيخ الإسلام في بلاد المغرب، خاصة وقد خبر المنطقة منذ فتوح عمرو بن العص، وكان بناؤه لمدينة القيروان يأتي كإجراء عملي ضروري لتحقيق هذا الهدف الأسمى لذا نراه يلخص هذا الهدف في قوله :"**إن إفريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر**"[1].

كما أننا نرى حرصه الكبير على الدعوة إلى الله والتمكين لدينه واستشرافه لما سيكون لهذه المدينة من دور كبير في ترسيخ الاسلام ونشر العلم في ربوع المغرب الاسمي كله، فعندما أقبل في حملته الثانية دار بمدينته "**القيروان**"، و معه جنده وبعض من صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو يدعو لها

---

(1) ابن عذاري: المصدر السابق ج1 ص19، النويري:نهاية الأرب ج24 ص22،مجهول: المصدر السابق رص113، ابن الأثير : الكامل ج3 ص 465،أبو الفداء:المختصر في أخبار البشر المشهور بتاريخ أبي الفداء ، دارالكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1417هـ/1997م ج1 ص 260. و جاء في معالم الإيمان للدباغ ص 7 قول عقبة:"إن افريقية إذا دخلها أمير تحرَّم أهلها بالإسلام، فإذا خرج منها رجعوا إلى الكفر،وإني أرى أن أتخذ بها مدينة نجعلها معسكرا و قيروانا تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر". قيل القيروان=هي موضع اجتماع الناس و الجيش ، وقيل محط أثقال الجيش.

ويقول:" **يا رب املأها علما وفقها، واملأها بالمطيعين لك، واجعلها عزا لدينك وذلا لمن كفر بك**"[1]،" **وأعز بها الإسلام [...] و امنعها من جبابرة الأرض**"[2].

وجاء القادة من بعده على شاكلته وساهموا في توافد كثير من العلماء إلى المنطقة لنشر مبادئ الاسلام ومراقبة الولاة ففي عهد موسى بن نصير بعد أن تم فتح المغرب الاقصى **أوفد إليه سبعة عشر رجلا من الفقهاء، يعلمونهم القرآن الكريم وشرائع الإسلام**[3]**، فتم إسلام أهل المغرب الأقصى على يد هؤلاء**[4].

وفي عهد عمر بن عبد العزيز نشطت حركة **دعاء البربر للإسلام، حتى أسلم بقيتهم على يديه**[5]**، إذ قد أوفد إليهم عمر بن عبد العزيز عشرة من التابعين**، أهل علم وفضل وفقه، ليعلموا البربر القرآن الكريم، و أحكام الدين و علومه، حتى يكون إسلامهم على تقوى من الله و رضوان، و يستبينوا حقائق الدين على أساس سليم، فحتى ذالك الوقت بقي في اهل افريقية من لا يعرف الحلال والحرام وكانت الخمر حلالا حتى وصل التابعون فبينوا تحريمه"[6]، ومن هؤلاء **عبد الرحمن بن نافع، و سعيد بن مسعود التجيبي**، و**إسماعيل بن عبيد الأنصاري** المعروف بتاجر الله**، وعبد الرحمن بن رافع التنوخي، وجعيل بن عاهان بن عمير الرعيني**، و **حبان بن أبي جبلة القرشي**، و **موهب بن جنى المعافري، و طلق بن حابان الفارسي**، و **بكر بن سوادة الجذامي**، و **إسماعيل بن عبيد الله الأعور**[7].

وقد أدى هؤلاء التابعون مع غيرهم من المسلمين واجب الدعوة و نشر الإسلام في مناطق المغرب المختلفة، و كان جهادهم و مثابرتهم وراء إسلام بقية البربر، وكان فضلهم كبير على المغرب كله، فجامع الزيتونة بناه أحد هؤلاء العشرة هو إسماعيل بن عبيد الأنصاري[8].

و**هنا تبرز ظاهرة استمرار البعوث العلمية لبلاد المغرب فربما كان اسلام البربر يشوبه كثير**

---

(1) ابن عذارى:المصدر السابق ج1 ص23، أما نص النويري فهو" اللهم املأها علما و فقها، و اعمرها بالمطيعين و العابدين،وامنعها من جبابرة الأرض"ج24 ص23، و يجعل هذا الدعاء أثناء بناء القيروان في الحملة الأولى لعقبة.الرقيق: المصدر السابق ص40.

(2) الزيادة من الرقيق:ص40.

[3] البيان :ج1 ص 42 ،43، ابن الأثير: الكامل ج 4 ص 540 ، النويري :ج24 ص 40.

[4] عبد العزيز سالم: المغر ب الكبير ج 2 ص 257 نقلا عن نص عبد الله بن صالح ص 224.

[5] الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية و المغرب ص97، ابن عبد الحكم ص 241، النويري ج24 ص56، الدباغ: معالم ج1 ص154.

[6] ابن عذاري: البيان، ج1، ص 48.

[7] المالكي: رياض النفوس ج1 ص64-76، و انظر كذلك الدباغ: معالم الإيمان ج1 ص141 وما بعدها .

[8] الدباغ: معالم الإيمان ج1 ص 147.

من الجهل بالاسلام لعامل اللغة والحضارة من جهة، ومن جهة اخرى لعدم الاهتمام بالجانب الدعوي الموازي للفتح العسكري، ولذلك كانت المرة تلو الاخرى تكتشف الثغرات الكبيرة في العلاقة بن البربر المسلمين وبين التصورات الاسلامية السليمة.

وكانت مهمة هؤلاء التابعين العشرة ليست مقتصرة على التعليم فحسب، **بل كان وجودهم إضافة إلى ذلك يشكل صمام أمان للأمة من أن يجور عليها ولاتها**، فقد روي المالكي أن **أبا مسعود سعيد بن مسعود التجيبي** كانت همته عالية في استرجاع حقوق الناس، و الطلب بقوة بإيفائها لأصحابها، منها أنه كانت له مظلمة عند أمير إفريقية، فصاح عليه يوم الجمعة بعد خروجه من الجامع، و قال له:" أنا بالله لا بك"، فقضى الأمير حاجته[1].

[1] **نفسه: ج1 ص 142-143.**

المحور الثاني:
الدول المستقلة والمؤسسة

1-دولة بني واسول المدرارية.

2-الدولة الرستمية.

3- الدولة الادريسية .

4- الدولة الأغلبية.

5- الدولة الفاطمية.

6- دولة بني زيري بالمغرب الادنى.

7- دولة بني حماد بالمغرب الاوسط.

8- دولة المرابطين.

9- دولة الموحدين.

1- دولة بني واسول المدرارية بسجلماسة:

كان ولاة الدولة الأموية في معظمهم ميالين إلى ظلم الرعية المسلمة من شعوب المغرب الاسلامي، وكانت إجراءاتهم التسلطية التعسفية والمستمرة قد أكدت للمغاربة البربر أنهم أمام ولاة لا يمتون إلى الاسلام إلا باسم الخلافة الاموية التي يأتمرون بأمرها، ولما وصلت المظالم إلى الحد الذي لا يجوز معه السكوت قامت الثورة البربرية سنة 122هـ ضد هؤلاء الامراء وضد من نصبوهم ولم يحاسبوهم.

وفي هذه الأجواء تسربت إلى بلاد المغرب مجموعات من الخوارج الذين شردتهم جيوش الدولة الأموية، وانساحوا في الأقاليم الإسلامية البعيدة عن قبضتها، حاملين معهم المذهب الخارجي، وما إن حلوا حتى بدأوا في نشر مذهبهم الذي وجد آذانا صاغية من لدن البربر الذي ذاقوا ويلات الظلم، فاشتركوا معهم في الثورة ضد هدف واحد وهو الخروج على الدولة الاموية، وكانت الثورات تترى في بلاد المغرب والأندلس.

ولما قامت الدولة العباسية وريثة الأموية سارت على نفس النسق، وحاولت أن ترث أقاليم الاموية وفقا لمبدأ القوة والقهر، وفي أجواء الفراغ السياسي والانتقالي بين الدولتين الاموية والعباسية استغل الخوارج هذه الظروف وكثفت من جهودها، وكان من ثمراتها اعتناق أهل مواطن سجلماسة[1] من مكناسة الإسلام على المذهب الصفري[2]. وكان من زعماء الصفرية في هذه المنطقة عيسى بن يزيد الأسود المكناسي الصفري، وكان صاحب ماشية بجنوب بلاد المغرب بنواحي وأقام بها وبدأو في بناء سجلماسة سنة 140هـ[3]، فاجتمع إليه كثيرون من زناتة الصفرية، وكان عددهم يقارب أربعة آلاف شخص، فبايعه كبيرهم أبو القاسم بن سمغون بن واسول المكناسي الزناتي، وولوه عليهم.

وأمراؤهم كما يلي:

أ- عيسى بن يزيد المكناسي الصفري(140-155)هـ:

أكمل بناء سجلماسة، وأتقن أسوارها، وقسم مياههما في خلجان بقدر موزون، وصرف إلى كل

---

[1] سجلماسة مدينة تقع جنوب المغرب الاقصى، انظر عنها ، البكري: المسالك والممالك، دار الغرب الاسلامي، 1413هـ/ 1992م، ص837. مجهول : الاستبصار في عجائب الامصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، دار آفاق عربية ، بغداد، 1405هـ/1985م، ص 200.

[2] الصفرية ينتسبون إلى زياد بن الاصفر ، وهم مع الاباضية أقرب الخوارج إلى أهل السنة حيث انهم لم يكفروا القعدة عن القتال، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم، ولا ترى أن دار المخالفين دار حرب، ولا ترى سبي الذرية والنساء ، بل لاترى قتال أحد سوى معسكر السلطان. انظر ، الشهرستاني: اللل والنحل ج1، ص 134.

[3] ابن الخطيب: القسم الثالث من أعمال الاعلام، ص 138- 139. ابن خلدون: العبر، ج6، ص 172.

ناحية قدرها من مائه، وأمر بغرس النخل والاستكثار منه[1].

وبقي عليهم مدة خمس عشرة سنة، ثم نقموا عليه بعض الاشياء واتهموه بالسرقة[2]، فغدروه كما يقول ابن الخطيب، واوثقوه إلى شجرة وطلوه بالعسل وتركوا البعوض حتى قتلته الزنابير والنحل، وذلك سنة 155هـ[3]. وولول بعده أبا القاسم سمكو بن واسول[4].

ب- أبو القاسم سمكو بن واسول بن بن مصلان(155-167)هـ:

هذا هو الملقب بمدرار، وكان حدادا في احد ارباض قرطبة وانتقل إلى سجلماسة وقوي أمره[5]، وكان أبوه سمقو من حملة العلم ارتحل إلى المدينة والتقى بالتابعين وأخذ عن عكرمة البربري مولى ابن عباس، وكان إباضيا صفريا ، وخطب في عمله لخلفاء بني العباس المنصور والمهدي، ولما توفي ولوا عليهم ابنه إلياس[6].

ج- إلياس بن أبي القاسم سمكو بن واسول(167-174) هـ:

الملقب بالوزير، وثار عليه أخوه اليسع بن أبي القاسم الملقب بأبي منصور فخلعه سنة 174هـ[7].

د- اليسع بن ابي القاسم أبو منصور(174-208هـ):

كان إباضيا صفريا، وفي عهده قوية شوكة الجولة وبنى سورا لسجلماسة، وأتم بنيانها وتشييدها، وبنى بها المصانع والقصور ، وكان شديدا في حكمه، واستطاع أن يضم إليه بلاد الصحراء وأخذ الخمس من معادن درعة [8]، وربط علاقات متميزة مع الرستميين حيث أصهر لعبد الرحمن بن رستم صاحب تيهرت في ابنه مدرار لابنته أروى[9]، وتوفي سنة 208هـ، وجاء من بعده ابنه مدرار.

هـ- مدرار بن اليسع بن ابي القاسم(208-253)هـ:

لقبه المنتصر، وكان له ولدان لكل منهما اسم ميمون أحدهما من اروى ابنة عبد الرحمن بن

---

[1] ابن الخطيب: اعمال، ص 139.

[2] البكري: المسالك، ص 838.

[3] ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 140.

[4] ابن الخطيب يضع ثاني امرائهم ابو الخطاب الصفري الزناسي المكناسي، انظر أعمال ، ص 140، ولكن الواقع ان ابا الخطاب الصفري كان في طرابلس الغرب وقتل هناك سنة 140هـ على أيدي الجيش العباسي.

[5] نفسه، ص141.

[6] ابن خلدون، العبر، ج6، ص 172.

[7] البكري: المسالك، ص 838.

[8] ابن الخطيب: اعمال، ص142.

[9] ابن خلدون : مصدر سابق، ص 172.

رستم والثاني من بغي تدعى ثقية، وتنازعا في حياة ابيهما وكانت بينهما حرب دامت ثلاث سنين، وكان مدرار يميل إلى ابنه من اروى فساعده لاخراج أخيه من سجلماسة وما لبث ابن اروى أن أزاح أباه عن الحكم ، وساءت سيرته في حكمه فعزلوه وأرجعوا والده مدرارا الذي حاول أن يعيد للمرة الثانية توليه ابنه ميمون بن الرستمية فخلعوه وقاموا بتولية ابنه من ثقية، وتوفي مخلوعا سنة 253هـ[1].

و- ميمون بن بن مدرار (-263): كان يلقب بالأمير واستمر ميمون بن ثقية في الحكم حتى أن هلك سنة 263هـ، وخلفه ابنه محمد بن ميمون[2].

ز-محمد بن ميمون بن مدرار(263-270)هـ: كان إباضيا، قام ببعض الغزوات، ولم تطل مدته وتوفي سنة 270هـ وتولى بعده عمه االيسع بن المنتصر[3].

ح- اليسع بن مدرار المنتصر (270- 297)هـ[4]:

في عهده وصل عبيد الله المهدي وابنه ابو القاسم إلى سجلماسة فحبسهما إلى أن زحف إليه أبو عبد الله الشيعي وتغلب عليه وقتله سنة 297هـ ودخل سجلماسة وخلص المهدي وابنه، واقام على سجلماسة إبراهيم بن غالب المزابي من رجال كتامة. وبعد خمسين يوما من عودة أبي عبد الله الشيعي إلى إفريقية ثار أهل سجلماسة على عامله وقتلوه، ونصبوا على أنفسهم الفتح بن ميمون بن مدرار.

وبمقتل اليسع تنتهي فعليا دولة بني مدرار كدولة قائمة بشكل أساسي لتترك الفرصة لبقايا أمراء سيظهرون، ولكن الدولة العبيدية كانت لهم بالمرصاد ، كما يلي:

ط- الفتح بن ميمون بن مدرار(298- 300)هـ: لقب بواسول، واستطاع أن يحافظ على سجلماسة إلى وفاته سنة 300هـ، ثم جاء بعده أخوه أبو العباس احمد[5].

ي- أحمد بن ميمون أبو العباس(300-309)هـ:

حاول المحافظة على سجلماسة إلا أن المهدي الفاطمي وجه إليه قائده مصالة بن حبوس الصنهاجي على رأس جيش كثيف من بربر كتامة ومكناسة فحاصر سجلماسة وافتتحها عنوة وقتل أبا العباس أحمد بن ميمون، وأرسل رأسه إلى عبيد الله المهدي في محرم سنة 309هـ[6]. ثم ولى المهدي

---

[1] البكري: المسالك، ص 839. ابن خلدون : العبر، ج6، ص 173. ابن الخطيب: اعمال، ص 144. ابن عذاري: البيان، ج1، ص 157.

[2] نفس المصادر والمكان.

[3] ابن الخطيب، مصدر سابق ، ص 144.

[4] ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص 173. ابن الخطيب: مصدر سابق، ص 145. ابن عذاري : البيان، ج1، ص 157.السلاوي: الاستقصا، ج1، ص181.

[5] نفسه. السلاوي: الاستقصا، ج1، ص 182.

[6] ابن خلدون: م.س 173.

عليها ابن عمه المعتز بن محمد بن ابن ساور بن مدرار.

ك- المعتز بن محمد بن ابن ساور بن مدرار(309-321)هـ: كان تابعا للفاطميين ويدعو لهم ، وتوفي سنة 321هـ. وخلفه من بعده ابنه محمد الملقب بالمنتصر.

ل- محمد بن المعتز الملقب بأبي المنتصر (321-331)هـ: حكم عشر سنين، وتوفي في سنة 331هـ. وخلفه من بعده ابنه المنتصر[1].

م- المنتصر بن محمد بن المعتز(331- 332)هـ: كان صغيرا لم يتجاوز من العمر ثلاث عشرة سنة وكانت تدير أموره جدته، فتغلب عليه ابن عمه محمد بن الفتح بن ميمون بن مدرار سنة 332هـ.

ن- محمد بن الفتح بن ميمون(332-347)هـ: بعد تغلبه على المنتصر السابق أخرجه من سجلماسة وقطع الدعوة عن الفاطميين ، واستق بالبلاد، وتسمى بأمير المؤمنين، وتلقب بالشاكر لله[2]. ونظرا للاوضاع التي كانت ببلاد المغرب وثورة صاحب الحمار فإنه حاول ان يكون متدثرا ببني العباس ، وأخذ بمذهب أهل السنة، ورفض الخارجية، واتخذ السكة باسمه ولقبه وكانت تسمى الدراهم الشاكرية[3]. وتمكن من دولته وكان عادلا، إلى أن كانت سنة 347 هـ في زمن المعز لدين الله الفاطمي الذي بعث جيشا بقيادة جوهر الصقلي فغلب على سجلماسة وهرب محمد بن الفتح عنها إلى حصن تاسكرات ، ثم رجع متخفيا متنكرا إلى سجلماسة فاكتشف أمره وقبض عليه جوهر الصقلي وبعث به أسيرا في قفص من خشب إلى القيروان الفاطمية[4]، وبقي بسجن رقادة إلى أن توفي سنة 354هـ[5].

س- الباهي وتلقب بالمنتصر بالله(- 352): لما أصبح للدولة الاموية بالاندلس نفوذ كبير في بلاد المغرب في مقابلة الفاطميين، نهض أحد ابناء شاكر ويدعى الباهي وتلقب بالمنتصر بالله، وما لبث أن سطا عليه أخوه أبو محمد فقتله سنة 352هـ، وتلقب بالمعتز بالله.

ع- أبو محمد المعتز بالله(352- 366هـ): في هذه السنين كان أمر مكناسة إلى إدبار وتردي بينما أمر زناتة إلى إقبال حيث بقي المعتز في سجلماسة إلى أن زحف عليه خزرون بن فلفول من مغراوة، واستطاع أن يقضي عليه ويقتله سنة 366هـ وبوفاته انقرضت دولة بني مدرار أمراء سجلماسة[6].

---

[1] نفسه ص 173.

[2] ابن خلدون: العبر، ج6، ص 173-174.

[3] نفسه، ص 174.

[4] انظر تفاصيل ذلك في ابن خلدون: مصدر سابق ج6، ص 174.

[5] ابن الخطيب: أعمال ، ص 148. ابن خلدون: العبر، ج6، ص 174.

[6] ابن خلدون، ص 174. ابن الخطيب، اعمال ص 150.

2-الدولة الرستمية (160-296)هـ:

تنسب الدولة الرستمية إلى الامام عبد الرحمن بن رستم حيث تتفق المصادر بأن نسبه ينتهي إلى الأسرة المالكة الفارسية[1].

كان عبد الرحمن بن رستم أميرا على مدينة القيروان من قبل أبي الخطاب الذي استطاع أن يوحد طرابلس والقيروان تحت إمارته. ولما رأت الخلافة العباسية خطره بعثت إليه جيشا بقيادة محمد بن الأشعث والتقى الجيشان فهزم جيش أبي الخطاب وقتل في المعركة سنة 140هـ.

وكان أبو الخطاب قد أرسل إلى عبد الرحمن بن رستم ليمده بجيش القيروان فتجهز هذا الأخير وتوجه لمساعدة أبي الخطاب وفي الطريق وصلته الأخبار بمقتل أبي الخطاب وهزيمة جيشه، فولى راجعا إلى القيروان، ونكن ساكنة القيروان علموا بهزيمة جيش أبي الخطاب فمنعوا عبد الرحمن بن رستم م نالدخول إليها مخافة أن ينتقم الجيش العباسي منها.

كان لزاما على عبد الرحمن بن رستم أن يجد ملاذا آمنا بعيدا عن ملاحقة جيش العباسيين فكانت وجهته إلى منطقة المغرب الأوسط في حدود منطقة تيهرت التي تعتبر منطقة داخلية بعيدة عن تهديد العباسيين.

وفي هذه الأثناء وبعد أن تأكد من عدم الملاحقة بدأ يفكر في تأسيس مدينة بتيهرت التي تتجه المصادر إلى أنها بنيت على القديمة منها وعلى نفس مثال وقصة القيروان، حتى عدت قيروانا جديدا في المغرب الأوسط، في هذه المدينة بدأ نشاط عبد الرحمن بن رستم في نشر المذهب الاباضي في قبيلة لمّاية البترية، وهوارة، ولواتة، وما لبث أن انضمت إليه قبائل المغرب الآوسط كما انضم إليهم كثير من الخوارج الصوفية حيث كان توجسهم واحد من الجيش العباسي.

-الأئمة الرستميون:

أ- عبد الرحمن بن رستم(160-167)هـ:

نظرت القبائل فيمن يصلح للولاية فاتفق رأيهم على إمامة عبد الرحمن بن رستم لفضله وكونه من حملة العلم، ولأنه كان عامل أبي الخطاب على القيروان، ولأنه لا قبيلة له تمنعه إذا حاد عن طريق العدل، وتمت مبايعته سنة 160هـ، على أساس العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وآثار الخلفاء الراشدين، وعلى هذا الشرط قبل عبد الرحمن أماناتهم واشترط عليهم هو الآخر الطاعة في الحق.

وهذه الفترة التي دامت عشرين سنة منذ وصول عبد الرحمن بن رستم إلى منطقة تيهرت وبنائه

---

[1] **ابن عذاري: البيان، ج1، ص 196.**

هذه المدينة ومبايعته بالامامة تؤكد أن الظروف الامنية لم تكن مستتبة ففي عام 155هـ انهزم إباضية طرابلس على يدي قوات يزيد بن حاتم وقتل زعيم الاباضية، رغم تجمع كبير للإباضية ومعهم عبد الرحمن بن رستم الذي رجع إلى تيهرت. كما كان عبد الرحمن يتميز بنشاط دائب وجاهزية للجهاد وزهد في الدنيا وعلم واسع وتأكدت القبائل التي انضوت تحته على قدره وعلمه وعدله وزهده ومن ثم كانت عملية اختياره إماما للإباضيين سهلة ميسورة.

تميزت مدينة تيهرت في إمارة عبد الرحمن بن رستم بنشاط دائب في النواحي الثقافية والاقتصادية حيث أضحت تسمى عراق المغرب[1]، وقد وصفها المقدسي في القرن الرابع الهجري وصفا معبرا عما وصلت إليه بقوله:" تاهرت هي اسم القصبة أيضا هي بلخ المغرب، قد أحدق بها النهار والتفت بها الأسجار وغابت في البساتين ونبعت حولها الأعين وجل بها الاقليم وانتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب، ويفضلونها على دمشق وأخطأوا وعلى قرطبة وما أظنهم أصابوا، هو بلد كبير كثير الخير رحب رفق طيب رشيق الأسواق، غزير الماء، جيد الأهل، قديم الوضع ،محكم الرصف، عجيب الوصف...بها جامعان على ثلثي البلد قد بنيا بالحجارة والجير قريبان من الأسواق، ومن دروبها المعروفة أربعة: باب مجانة، درب المعصومة، درب حارة القفير، ودرب البساتين"[2]

ولما تسامع إباضية المشرق بهذه الدولة الجديدة، وصلاح إمامها بدأت الوفود تصل إليها من العراق والشام، وخراسان ومصر، واعتز إباضية البصرة بهذه الدولة التي حققت أمنياتهم وراحوا يجمعون الاموال العظيمة ليقوموا بواجب الاعانة اللازمة والتشجيع لها، فكانت مساعدة في وقتها ساهمت في توسيع نطاق العمران وشق الانهار و اتخاذ الارحاء والمستغلات ، وشراء السلاح والكراع[3]. وعاود أهل البصرة وفادة مالية لتيهرت للمرة الثانية، ولكن تيهرت صارت ثرية فرفضها عبد الرحمن بن رستم ، وطلب منهم صرفها في جهاد العباسيين[4].

وأصبحت مدينة تيهرت ذات سمعة حسنة بفضل أميرها وإدارته الحكيمة العادلة فرحلت إليها وفود الطلبة ، والكتاب ، والعلماء ورجال الصناعة والحرف وقصدها التجار من المشرق والمغرب والاندلس، وكان لذلك أبلغ الاثر في رواج مذهبها وعلومها، تطور عمرانها ونمو تجارتها.

ولما أحس عبد الرحمن بدنو أجله اقتدى بعمر بن الخطاب رضي الله[5] عنه فاختار سبعة من خيرة رجال الدولة الرستمية للتشاور فيمن يخلفه بعد رحيله منهم ابنه عبد الوهاب بن عبد الرحمن ابن

---

[1] اليعقوبي: البلدان، طبع بريل بليدن، سنة 1860م، ص143.

[22] المقدسي: أحسن التقاسيم لمعرفة الأقاليم ، ص .

[3] ابن الصغير: أخبار الائمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر، وابراهيم بحاز ، دار الغرب الاسلامي، 1985 ص 31.

[4] نفسه، ص 34.

[5] محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، عالم المعرفة ، الجزائر، ط1، 2013، ج3، ص 451.

رستم ، ومسعود الاندلسي، ويزيد بن فندين وأبو الموفق سعدوس بن عطية ، وشكر بن صالح الكتامي، وعمران بن مروان الاندلسي، ومصعب بن سدمان، وتوفي عبد الرحمن بن رستم سنة 167هـ.

ب- إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم(167-211هـ):

بعد وفاة عبد الرحمن بن رستم اجتمع السبعة للتشاور وبعد أخذ ورد اتفقت الجماعة على تولية مسعود الاندلسي ولكن الاخير كان زاهدا في الامارة؟ فآثر أن يتخلى عنها لعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم بعد اسناد تم له من قبل قبيلة زناتة التي تنتمي إليها أمه، رغم أن من مبادئ المذهب عدم التوارث في الامامة، وقد جر عن انتخابه أن اعترض عنه يزيد بن فندين أحد السبعة المرشحين حيث طلب منه ان يعقد لجماعة منهم لايقطع أمرا دونهم ، ولكنه وجد معارضة من قبل مسعود الاندلسي[1]، وعلى إثر ذلك تمت مباعة عبد الوهاب من قبل جمهور العلماء ، ثم المبايعة العامة . ولم يتوقف ابن فندين بل أثار فتنا حول انتخاب عبد الوهاب حتى وصل الامر إلى التقاتل بينهم، وقتل جمع كبير من الاباضيين من الموالين والمعارضين لعبد الوهاب ، وتمت تصفية المعارضين الذين أنكروا إمامة عبد الوهاب واعتبروها خروجا عن مبادئ الإباضية وانقسمت الإباضية إلى فرقتين وهابية(وهبية) مع عبد الوهاب وهم جمهور الاباضية، ونكارية ضده[2].

كما تعرض الامام عبد الوهاب إلى محاولة هوارة الخروج على طاعته، ولكنه استطاع أن يحجم من أمرها عن طريق مصاهرته لقبيلة لواتة[3].

ولما استقرت له الامور قرر الذهاب إلى حج بيت الله الحرام سنة 190هـ[4]، ولما كان في طريقه مر بجبل نفوسة، واستقبل استقبالا حارا ودعاهم للإنضمام إلى دولته فانضموا وبقي في جبل نفوسة سبع سنين لتتوسع إمارته من تيهرت إلى جبل نفوسة، وبعدها عاد إلى تيهرت وتوفي سنة 211هـ[5] عن عمر ناهز القرن.

بقية أئمة الدولة الرستيمة:

ج- افلح بن عبد الوهاب(211-240)هـ: وكانت في عهده بعض القلاقل التي استطاع ان يتجاوزها[6].

---

[1] **دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص 456-457.**

[2] **ابن الصغير: مصدر سابق، ص 36.**

[3] **دبوز: مصدر سابق، ج3، ص 491.**

[4] **دبوز، ص 500.**

[5] **دبوز، ص 524.**

[6] **ابن الصغير: ص 47.**

د-ابو بكر بن أفلح (240-241): كان يبدو عليه الترف والميل إلى الشهوات[1] وضعف الشخصية. وكانت في زمنه فتنة قسمت الاباضيين إلى فرقتين تمت على إثرها تسليم الامامة إلى أخيه وقيل بعد موته غما في احداث الفتنة[2]، ودخلت الدولة الرستيمة في شيخوختها[3].

هـ-أبو اليقضان محمد بن أفلح (241-281)هـ: حاول إقامة العدل وإنقاذ ما يمكن إنقاذه ولكن افتن كانت حوله، وربما كان منساقا إلى زوجه غزال اليت كانت مالكة لاموره، وتوفي سنة 281هـ.

و-إمامة أبي حاتم يوسف بن محمد بن افلح(281-294)هـ: عينته الجماهير المستبدة على الامارة وكانت نهايته غيلة منة قبل أخيه اليقضان سنة 294، واستولى على الغمامة بالقوة والقهر[4].

هـ- إمامة اليقضان بن أبي اليقضان(294-296هـ) ونهاية الدولة الرستمية: بويع تحت سخط شيوخ الاباضية عليه ، وخطر الاسماعيلية يحدق بهم حتى تم إسقاطها وقتل اليقضان بن ابي اليقضان ومن ظفر بهم أبو عبد الله الشيعي من بني رستم[5].

من معالم حضارة الرستميين:

لاجدال أن الدولة الرستمية كانت **الدولة المذهب**(ال التعريف للمفردتين) بحيث لايمكننا أن نفصل في الواقع بين الدولة ككيان سياسي وبين المذهب الاباضي الذي بنيت عليه، ومن ثم فإن كل الاجواء الحضارية في الدولة الرستمية كانت تابعة لمبادئ المذهب، وخاصة في بداية تأسيسها، ورأينا كيف تحولت السياسة الرستمية إلى إدارة المجتمع وفق الرؤية الاباضية التي نشعر بأنها تطورت أو تبيأت مضطرة على حسب التحولات السياسية والمصالح المتغلغلة في جوانح القيادات من الدائرة الاولى او الثانية، ورأينا كيف تجاوز السياسيون في أول تجربة لهم بعد وفاة المؤسس عبد الرحمن بن رستم أهم مبدإ من مبادئ المذهب وهو عدم الاخذ بالوراثة في الحكم.

ولكن تبريرات الاباضيين بتولية الامام عبد الوهاب بأنه كان من العلماء كان لها في الواقع السياسي والحضاري وجود حقيقي ذلك أن عصر عبد الوهاب كان من العصور المميزة فقد كان يشارك في الحركة العلمية كأبيه عبد الرحمن بن رستم ، بالتدريس في جامع تاهرت وجامع نفوسة ، وكن عبد الوهاب يبعث الاموال إلى العراق لشراء الكتب ولا يمل قراءتها صيفا او شتاء[6]، وقد صنف كتاب سماه

---

[1] ابن الصغير، ص 61.

[2] دبوز: مرجع سابق، ج3، ص 585.

[3] دبوز: ص 575.

[4] ابن عذاري: البيان، ج1، ص 197.

[5] نفسه.

[6] دبوز: ص ج3 ص 373.

"نوازل نفوسة" وهو مجموعة من الفتاوى الشرعية كان علماء نفوسة يستفتونه فيها، وكان الامام افلح عالما بالحساب والفلك أديبا شاعرا .

وكانت مساجد تيهرت ونفوسة عامرة بالعلوم على أيدي كبار العلما في اصول الدين والشريعة والرياضيات والطب والكيمياء[1] ، ومن مآثر الدولة الرستمية مكتبتها المعصومة التي كانت تضم نحوا من 300 الف مجلد في مختلف العلوم والفنون، وقد خربت أثناء اجتياح الفاطميين لتيهرت.

وفي جانب العمارة فنظرا للازدهار الاقتصادي الذي اصبحت عليه الدولة الرستمية فقد شيدت بها القصور العظيمة والمباني الفخمة خاصة في عصر الامام افلح الذي بلغت فيه الدولة ذروتها، وقال عنه ابن الصغير:" وشمخ في ملكه، وابتنى القصور واتخذ بابا من حديد، وبنى الجفان واطعم فيها ايام الجفان...وعمرت معه الدنيا ، وكثرت الاموال والمستغلات، وأتته الرفاق والوفود من كل الامصار والافاق بأنواع التجارات، وتنافس الناس في البنيان حتى ابتنى الناس القصور والصياع خارج المدينة، وأجروا الانهار إليها فابتنى أبان وحمويه القصرين المعروفين بهما بأملاق، وابتنى عبد الواحد قصره الذي يعرف به اليوم"[2].

3- الدولة الادريسية(172-311)هـ:

كانت الدولة العباسية في المشرق تعمل على تثبيت اقدامها وترسيخ سياستهان ومما ساهم في تقوية عودها تعرضها لمنافسة حادة من قبل الطالبيين الذين كانوا رفقاءهم في الدعوة للإطاحة بالدولة الاموية، وقد تطورت هذه المنافسة إلى صراع مسلح بين الطرفين كان الطالبيون يمثلون فيه أعظم معارضة مسلحة ضد العباسيين كانت تستهدف إقتلاعهم من سلطانهم الذي بنوه بدعوة أن الطالبيين أحق بالخلافة منهم تبريرا لنزعة الانسان إلى السلطة والتسلط، وكان من من بين هذه الثورات ما قام به محمد بن عبد الله بن الحسن بن حسن السبط بن علي بن أبي طالب المعروف بالنفس الزكية في الحجاز حيث خرج على أبي جعفر المنصور مطالبا في حقه بالخلافة[3]، واتبعه الحجاز واستولى على المدينة ثم على مكة، وجرت بينه وبين المنصور رسائل في احقية كل منهما بالخلافة، ثم بعث النفس الزكية اخاه ابراهيم إلى البصرة لنشر دعوته فتغلب عليها، فجهز المنصور سنة 145هـ جيشا بقيادة اخيه عيسى بن موسى نحو المدينة لمقاتلة محمد النفس الزكية والقضاء على ثورته، واستطاع عيسى بن موسى ان يقضي على هذه الثورة وقتل النفس الزكية.

ولما توفي المنصور وصار الحكم بعد إلى الهادي بن المهدي عاود الطالبيون الكرة للاطاحة

---

[1] السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت ،لبنان 1401هـ/ 1981م ، ج2، ص 575.

[2] ابن الصغير: أخبار الائمة، ص 51.

[3] انظر، ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص 109.

بالدولة العباسية ، ففي سنة 169هـ خرج في مكة والمدينة زعيم هو الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن بن علي وبويع بالخلافة في المدينة المنورة [1] ثم توجه إلى المدينة ليلتقي بجيش العباسيين بقيادة سليمان بن المنصور بموقع يسمى فخ وهو واد بطريق مكة، وانهزم العلويون هزيمة منكرة ، وقتل معظم اصحابه ، وكان من المشتركين مع الحسين عماه إدريس بن عبد الله بن الحسن ويحيى، واستطاع ادريس أن يفلت من هذه المجزرة وبعد أن تأكد أن لا أمل له في الحياة إذا بقي في المشرق وأن العباسيين يبحثون عنه وعن غيره من العلويين، فقد قرر أن يهرب إلى المغرب حيث لا يمكن أن تلتحق به قوة العباسيين، فخرج مع مولاه راشد البربري [2]حتى أوصله إلى مدينة وليلي بالمغرب الاقصى بعد ان تعرضا لمطاردة مضنية[3].، ونزل على على صاحبها أسحاق بن محمد بن عبد الحميد الاوربي فأكرم مثواهما، وبالغ في إكرامه وخدمته[4] بعد أن تعرف عليه وكان ذلك سنة 172هـ[5].

كاشف ادريس أبا اسحاق بأنه يريد أن يؤسس دولة بالمغرب تحقيقا لما عجز عنه في المشرق ، فكان له ما أراد وحقق له هدفه وعرض على قومه وبايعوه على السمع والطاعة .

ولما بايعت اوربة تابعتها مغيلة وصدينة وزناتة واسس بهم جيشا قويا وبدأ في تأيسس الدولة بكل بساطة اعتمادا على نسبه النبوي الشريف فقصد تامسنا وغيرها وكانوا على دين النصرانية واليهودية والمجوسية فأسلموا على يديه طوعا وكرها[6]، واستطاع ان يفتح مناطق كثيرة مثل تلمسان وبايعته قبائل البربرودخل تلمسان وبنى بها مسجدا ثم عاد إلى وليلي ، وبقيت وليلي قاعدة ملكه إلى وفاته اوتسميمه من قبل الشماخ الذي ارسله الرشيد للاطاحة به غيلة وحيلة بعد ان اعياه الوصول إليه بجيشه[7].

ويبدو أن الدولة العباسية كانت تدرك خطورة مثل هؤلاء الاشخاص والنفوس التي تربت على الطموح نحو الامارة ، كما كانت درجة حذرها مرتفعة لدرجة كبيرة ولم تستخف بتلك الشخصيات الفريدة التي اثبت الزمن صحة القلق الذي كان ينتاب الدولة العباسية منهم وكيف كانت تعمل المستحيل على إبادتهم لخطورتهم كما تتصور، فعبد الرحمن الاموي الداخل الذي فر من المشرق ما إن وطئت أقدامه أرض الاندلس حتى قام بتاسيس دولة منفصلة عن العباسيين بل وربما تكون في المستقبل مهددة لهم، وإدريس بعد أن أفلت بأعجوبة من العباسيين ها هو يؤسس دولة كبرى في المغرب الاقصى، ويشكل بذك

---

[1] نفسه، ص 260.

[2] مجهول: الاستبصار ص 194.

[3] ابن عذاري: البيان، ج1، ص 210.

[44] مجهول : الاستبصار، ص 194.

[5] انظر تفاصيل هامة عن ذلك في ، البكري: المسالك، ص 799. ابن خلدون: العبر، ج4،ص 16 وما بعدها .

[6] ابن خلدون، ج4، ص 17.

[7] ابن عذاري: ج1، ص 211.

خطرا كان العباسيون يتصورون أنهم مهددون به.

وفي خضم تأسيس الدولة وتثبيتها توفي إدريس سنة 176هـ، ودفن خارج باب وليلي .

وجاء بعده:

ب- إمامة إدريس الثاني(186-213هـ):

توفي إدريس وترك جارية في حملها السابع ، فكان راشد هو المشرف عليها وعلى ابنها حتى ولادته سنة 175هـ وسماه إدريس لشبهه بوالده، وكفله إلى أن شب فأحسن تأديبه وأقرأه القرآن الكريم ، ودربه على الرجولة ، ولما صار عمره عشر سنوات جدد له راشد البيعة سنة 186هـ، وهي ذات السنة التي سم فيها راشد من قبل الاغالبة[1]، ثم تكفل به خادمه أبو خالد بن يزيد بن إلياس العبدي[2] الذي جدد له البيعة سنة 187هـ.

ولما كثر دولته وضاقت عليهم وليلي أسس إدريس مدينة فاس واختط بها عدوة الاندلسيين سنة 192هـ وفي سنة 193 اختط عدوة القرويين[3]. وبقي بفاس إلى سنة 199هـ ثم غزا تلمسان وبقي بها ثلاث سنين واستطاع أن يخضع خوارج المغرب الاوسط، ثم أقام بفاس إلى أن وافاه أجله سنة 213هـ.

خلفاء إدريس الثاني :

انقسام الامارة الادريسية في عصر محمد بن إدريس الثاني(213-221)هـ: لما توفي إدريس الثاني خلفه من بعده أبنه محمد بعهد من أبيه غليه وأوصته جدته كنزة أن يشارك إخوته ملكه فوافقها الرأي ووزع المدن على إخوته الثمانية على مختلف المدن وأبقى لنفسه مدينة فاس[4]. ولكن ما لبث الحال حتى ثار عليه احد إخوته وشق عصا الطاعة، فاستنجد ببعض إخوته فرفضوا واستجاب له أحدهم وكانت بينهم حروب قاسة كانت في الاخير أن أرجعت الامور إلى محمد ولكن أخاه عمر الذي أنجده كان له نفوذ كبير ، وتوفي عمر سنة 220هـ بينما توفي محمد بن إدريس بعده بسنة سنة 221هـ.

خلفاء محمد بن إدريس:

جاء بعده ابنه **عليا الملقب بحيدرة** (221-234هـ) وهو غلام فسار سيرة اهل العدل والفضل والدين وكانت أيامه أيام خير[5]، وبقي كذلكإلى أن توفي سنة 234هـ بعد 13 سنة من ولايته[6].

---

[1] ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ج3،ص 196.

[2] البكري: المسالك ص 805. ابن خلدون: الغبر، ج4ن ص 18.

[3] ابن خلدون: مصدر سابق ج4، ص 18.

[4] ابن خلدون، ج4، ص 19. ابن الخطيب: أعمال الاعمال، ج3، ص 202.

[5] ابن خلدون، ج4، ص 20.

[6] نفسه ص 20.

خلف حيدرة أخاه **يحيى بن محمد** الذي نشطت في أيامه فاس وصارت من المدن الكبيرة وتطور عمرانها ورحل الناس إليها من الافاق وبنيت فيها الحمامات والفنادق، وفي عهد بنت فاطمة الفهرية مسجد القرويين[1]، وتوفي في تاريخ غير معروف.

وجاء بعده ابنه يحيى بن يحيى الذي وكان يميل على أحوال غير مرضية كانت سببا في شغب الناس عليه ، وتحولت الدولة الادريسية من بني محمد بن إدريس إلى بني عمهم عمر بن إدريس، واصبح علي بن عمر أميرا على فاس وبايعه أهلها[2] ، وبعد ذلك تعرض البيت الادريسي إلى هجمات الخوارج، وهرب علي بن عمر وجاء يحيى بن القاسم المعروف بالعدام فكان عليها حتى قتل سنة 292هـ ، وخلفه يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس وكان " أعلى بني إدريس ملكا وأعظمهم سلطانا، وكان فقيها عارفا بالحديث، ولم يبلغ أحد من الادارسة مبلغه في السلطان والدولة" [3].

ولآن عبيد الله المهدي الشيعي كان يود التهام المغارب كلها فإنه بعث بجيش بقيادة حبوس بن مصالة واستطاع أن يقهر يحيى بن إدريس وأن يجعله تابعا للدولة الفاطمية سنة 305هـ[4]. ومن ثم تحولت فاس إلى تابع للفاطميين، ورغم محاولة حسن بن محمد بن القاسم بن ادريس المعروف بالحجام في سنة 309 استعادة فاس لكنه في الاخير هزم من قبل موسى بن ابي العافية وانتهت دولة الادارسة سنة 311هـ.

4- الدولة الأغلبية(184-296)هـ:

لما أدركت الخلافة العباسية أن إقليم المغرب ينفرط عقده قطعة قطعة بدءا من الدولة المدرارية، والدولة الرستمية ثم الدولة الادريسية، بدأت مؤسسة الخلافة في التفكير الجدي لإعطاء إستقلال للمغرب الادنى ولكنه استقلال مشروط بالتبعية إليها سياسيا ومذهبيا وولاء، حتى تجعل هذه الدولة الجديدة حاجزا طبيعيا وبشريا لسلسة الاستقلالات التي قد تأتي على البقية الباقية من دول المغرب(الدولة الحاجزة) وربما يصل الامر إلى مصر، ومن ثم كان الاتصال للدولة العباسية بإبراهيم بن الأغلب احد قادتها الكبار ، ونصبته أميرا على المغرب الادنى على شروط منها وكان ذلك سنة 184هـ، بيحيث كانة الدولة الاغلبية تابعة غسميا للدولة العباسية، ومستقلة فعليا عنها.

أمراء الدولة الاغلبية:

---

[1] **ابن خلدون، ج4، ص 20.**

[2] **ابن خلدون، ج4، ص 21.**

[3] **ابن خلدون، ج4، ص 21.**

[4] **نفسه ص 21.**

- **إبراهيم بن الاغلب(184- 196هـ)**[1]: عينه الخليفة هارون الرشيد، وكان من أفضل ولاة المغرب فقد كان يجمع إلى علمه وتفقهه في الدين ، شخصية عسكرية قوية[2]، واتخذ مدين القيروان عاصمة له، وبنى العباسية التي تعرف كذلك بالقصر القديم بالقرب من القيروان وعلى بعد ثلاثة أميال منها.

- **عبد الله الأول بن إبراهيم الأغلبي أبو العباس(196- 201هـ)**: كان ابو العباس من الامراء الظلمة مع رعيته قال عنه ابن عذاري:"كان من أجمل الناس وجها وأقبحهم فعلا، وأعظمهم ظلما"[3].

- **أخوه زيادة الله الأول (201- 223هـ)**: كان من الامراء الميسئين للجند وسفك دمائهم كما يروي ابن عذاري[4]، ولذلك كثرت عليه الثورات، منها ثورة منصور بن نصير الطنبذي في تونس سنة (207-211هـ)، كما بعمل احتفل بالخروج إليه احتفاءا كبيرا وهو فتح جزيرة صقلية سنة 212هـ.

- **أخوه أبو عقال الأغلب بن إبراهيم (223- 226)**: الملقب بخزر فقام بتأمين الناس على أنفسهم والاحسان إليهم، وكانت أيامه في عمومها هادئة، وتوفي سنة 226هـ.

- **ابنه أبو العباس محمد بن الاغلب بن إبراهيم ،الأول(226- 242هـ)**: ما يسجل في عهده ثورة أخيه أحمد بن الاغلب، واستطاع بالحيلة أن يتفاهم معه ، وفي عهده استقضى على القيروان القاضي أبا سعيد عبد السلام سحنون الملقب بسراج القيروان.

- **ابن أخيه أبو إبراهيم أحمد (242-249هـ)**: كان في عهد ازدهار وعدل واعتبر موته شهيدا. توفي سنة 249هـ وعمره 28 عاما.

- **أخوه زيادة الله الثاني (249-250هـ)**: لم تطل مدته.

- **ابن أخيه محمد الثاني أبو الغرانيق (250-261هـ)**: كان في عهد رخاء ،ولكن ثمة مجاعة ووباء سنة 260 هـ في المغارب[5] .

- **أخوه إبراهيم الثاني إبراهيم** بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب (261-289هـ)[6]:

يعتبر عصرا في حد ذاته امتد 28 سنة ، فقد كان كان واليا على القيروان من قبل أخيه الذي قرر أن تكون ولاية العهد لابنه رغم صغره، ونظرا لتوجسه منه(من إبراهيم) فإنه أمره بتأدية القسم خمسين

---

[1] **الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب، ص 127.**

[2] **البيان ، ج1، ص 92.**

[3] **ج1، 95.**

[4] **البيان، ج1، ص 96.**

[5] **البيان ج1، ص 116.**

[6] **البيان، ج1، ص 116.**

مرة على الوفاء بتمكين ولي العهد من الإمارة ويكون عليه وصيا إن كان صغيرا ، وبعد وفاة أبي الغرانيق كان ولي عهده صغيرا فجاء الفقهاء إبراهيم وعرضوا عليه الإمارة وبرروا له نقض يمينه ببعض الحيل الفقهية كأن لا يدخل القصر والفقهاء لم يبايعوا لولي العهد:

مر عهد بثلاثة اطوار:

- الطور الاول (261-267هـ)اتسم بالعدل والنزاهة والصرامة، وبنى مدينة رقادة سنة 263هـ..
- ثم تحول بعد ذلك إلى سفك الدماء(267-289هـ).
- فتك بأهل الزاب سنة 268هـ ، ورماهم في الحفر.
- وتم فيه تطهير الوضع المالي أو الإصلاح النقدي أو ثورة الدراهم سنة 275هـ[1].
- قتل كاتبه ابن حيون البريدي سنة 276هـ.
- قتل حاجبه نصر بن الصمصامة سنة 277هـ.
- سنة 279هـ قتل بعض وجهاء افريقية بطرا ، منهم طبيبه اسحاق بن عمران المتطبب، وحاجبه فتح، وجميع غلمانه وخدمه، وخاصة بعد أن أصغى إلى المنجمين من أن موته سيكون على أحد الغلمان. واستخدم بدلا منهم السودان. ثم عرض له فيهم من أخبار المنجمين قتلهم جميعا.

وفي سنة 280 أوقع برجال **بَلَزْمَة** حيث كان منهم نحو ألف رجل حاربهم وأخذ منهم سبعمائة رجل وأسكنهم مدينة رقادة في حي يحوي بيوتا وله باب واحد، وأمنهم واطلق ايديهم في التكسب وجمع الثروة وأحسن إليهم، ثم اجتمع بثقاته وقرر إبادتهم عن آخرهم بعد أن دافعوا عن أنفسهم، وكانت هذه الحادثة كما يقول ابن عذاري من أسباب انقطاع دولة بني الاغلب لان رجال بلزمة كانوا من العرب من قيس يذلون كتامة فلما ابيدوا تطلعت كتامة وكانت مع الشيعي[2].

وفي هذه السنة تمردت مدن عن الامير ومنها تونس لما لاقوه من عسف وجور وتعد على أموالهم وأملاكهم وصارت افريقية نارا تضطرم. ولم يبق له سوى الساحل والجانب الشرقي. ولما اقتحم تونس فعل بها الافاعيل من سبي النساء واستحلال الفروج.....

- مقتلة كبيرة قام بها ضد نفوسة سنة 284هـ.
- وقتل ابنه المكنى بالأغلب،
- وقتل 16 من بناته كانت أمه قد أخفتهم عليه لئلا يقتلهن.
- وقتل ثمانية من إخوانه.
- وقتل غلمانه في الحمام بأن أغلقه عليهم.

---

[1] **البيان ج1 ص 120**

[2]

حتى قيل إنه أصيب بخلط في عقله.

– وبلغه أمر الشيعي، فبعث إليه بالوعيد والتهديد، ودبر له بعض عمال ابن الأغلب مصاعب جمة جعلت كتامة تتقاتل بينها وفي الاخير استطاع أن يتغلب على هذه الصعاب.

– وفي آخر سنة 289 من حكمه لما رأى تمكن أبي عبد الله الشيعي من الغرب، وأصبح سيئ الصورة والسمعة، تبتل ورد المظالم، وحاول إصلاحا ما أفسده في السنين الماضية وأعطى الفقهاء اموالا عظيمة يفرقونها على المحتاجين وسماها سنة العدل وسماها الناس سنة الجور، وذهب غازيا إلى صقلية ومات بالجزيرة سنة 290هـ.

–استدعى ابنه **ابا العباس من صقلية واعطاه زمام الامور(290–290)** تسعة أشهر، واستدعى ابنه– **زيادة الله الثالث (290–296هـ)** من صقلية بعد أن نمي له بأنه يتآمر عليه، فسجنه.

ثم دُبِّرت له مكيدة وقُتل أبو العباس من قبل بعض غلمانه واخرج ابنه زيادة الله بن ابي العباس من السجن ليصبح الامير(290هـ)

–زيادة الله الثالث (290–296هـ):

قبل أن ينتشر الخبر استدعى أعمامه وكبار القادة ووجوه الناس من المناطق وجمعهم، وأخذ عليهم البيعة وأعطاهم الأموال، ثم مطل وتريث بأعمامه ودفع بهم لثقاته فقتلوا في جزيرة الكراث على بعد 12 ميلا من تونس.

وقتل عمه المعتكف بسوسة، وقتل أخاه أبا عبد الله الأحول بعد أن استقدمه من طبنة.

كما قتل طبيبه الخاص إسحاق بن عمران بغدادي الأصل الملقب (مسلم النحلة) الملقب بسم ساعة[1] المتوفى سنة 294هـ/906م، أو سنة 295هـ/907م[2]، الذي رحل إلى القيروان في عهده بعد أن استدعاه واستأمنه في الرجوع إلى بغداد في أي وقت ثم لم يف له بذلك، وحدثت بينه وبين زيادة الله بن الأغلب وحشة فقتله[3].

ونقلا عن "كتاب أخبار الدولة" الذي ألفه الطبيب والمؤرخ أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد المعروف

---

[1] انظر،ترجمته في، ابن جلجل: إخبار العلماء، 84– 86. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 478، الذي ينقل عن ابن جلجل. صاعد: طبقات الأمم، ص 81. ابن فضل الله العمري أحمد بن يحيى: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1431،1هـ/ 2010م، ج9، ص 312.

[2] رجَّح ذلك حسن حسني عبد الوهاب: ورقات، ج1، 236. بينما جعل ابن عذاري وفاته سنة 279هـ/ 892م، انظر، البيان المغرب، ج1، ص 122، وهو مخالف لما أجمع عليه كل من ابن جلجل، وابن أبي أصيبعة من أنه حدثت بينه وبين زيادة الله بن الأغلب وحشة كانت سببا في مقتله.

[3] انظر ما جرى بين الطبيب وزيادة الله في ، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص 478–479.

بابن الجزار، والمتعلق بأخبار دولة الامام أبي محمد عبيد الله المهدي[1] يحكي الطبيب الثاني الذي استدعاه زيادة الله بن الاغلب من مصر وهو إسحاق بن سليمان الاسرائيلي(يهودي النحلة) المكنى بأبي يعقوب[(2)]، الذي أقبل إلى القيروان سنة 292هـ/ 904م في زمن زيادة الله بن الأغلب، عما رآه عندما دخل **الأربس** حيث كان الأمير زيادة الله، حيث قال ابن الجزار:" حدثني إسحاق بن سليمان المتطبب قال: لما قدمت من مصر على زيادة الله بن الأغلب وجدته مقيما بالجيوش في الأربس فرحلت إليه ، فلما بلغه قدومي وقد كان بعث في طلبي، وأرسل إلي بخمسمائة دينار وتقويت بها على السفر، فأدخلت إليه ساعة وصولي، فسلمت بالإمرة، ،وفعلت ما يجب أن يفعل للملوك من التعبد، فرأيت مجلسه قليل الوقار، والغالب عليه حب اللهو، وكل ما حرك الضحك، فابتدأني بالكلام ابن خنيس المعروف باليوناني فقال لي: تقول إن الملوحة تجلو؟ قلت: نعم. قال: وتقول إن الحلاوة تجلو؟ قلت: نعم. قال لي: فالحلاوة هي الملوحة والملوحة هي الحلاوة؟ فقلت: إن الحلاوة تجلو بلطف وملاءمة. والملوحة تجلو بعنف. فتمادى على المكابرة..... "[3].

وكان أمر الشيعي يزداد اتساعا فرأى أنه يعقد شبه مؤتمر للتنبيه لخطر وكفر النحلة الباطنية، ولكن تمكن الكره للدولة الأغلبية ووصل حدا لا رجعة فيه، مما مكن الشيعي من التجرؤ عليه، وجمع الناس من مختلف الطوائف والأجناس والمناطق، واستطاع أن يبطيح بالدولة الاغلبية ..

معالم حضارية أغلبية:

نظرا لمركز هذه الدولة من الناحية السياسية مع الدولة العباسية ووقوعها كدولة حاجزة لسلسلة الدول المستقلة عن الخلافة العباسية فقد كانت دولة لها علاقات متميزة مع عاصمة الخلافة بغداد وغيرها من المدن الحواضر المشرقية، فقد كانت وفود العلماء في مختلف التخصصات تترى على المدينة مما مهد لها أن تكون عاصمتها القيروان من أهم العواصم الحضارية في هذا العصر.

إن أهم المعالم الحضارية التي كانت نشطة في الدولة الاغلبية مساجدها التي تعتبر المؤوسات الرسمية لنشر العلوم والمعرفة، فإلى جانب مسجد عقبة بن نافع الذي جدد عدة مرات[4]، بني مسجد الزيتونة في مدينة تونس على يد عبيد الله بن الحبحاب سنة 113هـ، ويذكر النويري أن أبا إبراهيم أحمد

---

[1] انظر نقلا عن هذا الكتاب الذي كان متداولا في القرن السابع الهجري ونقل منه ابن ابي اصيبعة هذا النص الفريد من نوعه في تصوير شخصية زيادة الله الاغلبي، ابن ابي اصيبعة: عيون الانباء ، ص 480.

[(2)] انظر ترجمته في، ابن جلجل: مص.س، 87. ابن ابي اصيبعة، مص.س، ص 479،. صاعد: مص.س، ص 81. ابن فضل الله العمري: مص.س، ج9، ص 313.

[3] نفسه ص 480.

[4] انظر ، ابن عذاري: البيان، ج1، ص 89، 113. السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ج3، ص 423-425.

بن محمد بن الاغلب أمر ببناء المسجد الجامع بتونس وأنه شرع في البناء في سنة 248هـ، وأتمه أخوه زيادة الله الثاني[1].

كما تأسست في سوسة مساجد منها المسجد الجامع الذي تأسس سنة 236هـ في عهد الامير أبي العباس محمد بن الاغلب في الطرف الشمالي من المدينة[2].

مدينة القيروان صرح حضاري أغلبي:

تأسست مدينة القيروان أيام الفتح الإسلامي لبلاد المغرب على يد عقبة بن نافع الفهري سنة 50هـ/ 669م[3]، ومنذ ذلك الوقت والمدينة تنمو عمرانيا، وتتطور اقتصاديا، وتزدهر علميا، باعتبارها عاصمة لولاية المغرب الإسلامي.

ولم تبلغ القيروان مجدا سياسيا، ونموا ثقافيا كالذي بلغته أيام الدولة الأغلبية[4]، نظرا للاصطفاء الكبير والعناية البالغة التي أولاها لها أمراء الدولة الأغلبية بالخصوص، حيث كانوا يتمتعون بحس علمي فريد[5]؛ وساهم ارتباطهم بالخلافة العباسية في توجيههم إلى ركوب موجة العناية بالعلم والعلماء، ويأتي على رأسهم الأمير إبراهيم الثاني، إذ شهد عهده حدثا علميا عظيما لانبعاث العلوم الرياضية لم يسبق له نظير في الاقطار المغربية الاخرى "بتأسيسه بيت الحكمة القيرواني"[6]، مضاهاة لبيت الحكمة الذي أنشأه العباسيون في بغداد، وهو بمثابة"جامعة علمية لدراسة الفلسفة والطب والفلك وتقويم البلدان"[7]. ولا شك أنها كانت نشطة في التدريس والتأليف والنسخ.

ويبدو أن هذه المؤسسة العلمية كانت وراء استقطاب وفود من العلماء العقليين الذين لبوا دعوة الامراء في المجيء إلى القيروان للمساهمة في نشر العلوم والمعارف العقلية المختلفة. وتبوأت القيروان من خلالهم مكانة علمية مميزة في التمكين للمنحى العلمي والعقلي، وإرساء قواعده على أسس صحيحة.

---

[1] السيد عبد العزيز سالم: مرجع سابق ، ص 436.

[2] نفسه ص 443.

[3] ابن خلدون: العبر، ج6، ص 127. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر بيروت، لبنان، 1402هـ/1982م، ج3، ص466. أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ، ج 24، ص12.

[4] حسن حسني عبد الوهاب: ورقات، ج1، ص 70.

[5] كان بيت بعض الأمراء الأغالبة شبيها بمركز علمي لنسخ الكتب وتصحيحها، انظر، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1404هـ/1984م، ص 237.

[6] نفسه، ج1، ص 86.

[7] نفسه، ج1، ص 73، 192.

فمن بين الشخصيات العلمية الفعالة التي وفدت على القيروان مساهمة في إثراء حراكها العلمي أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني البغدادي المعروف **بالرياضي**، حيث قدم القيروان في عهد الأمير إبراهيم بن أحمد الأغلبي(261- 289هـ)، الذي أسس بيت الحكمة، واستمر في عهد ابنه الامير أبي العباس عبد الله(289-290هـ) ونظرا لكفاءته العلمية جعله آخر أمراء الدولة الاغلبية زيادة الله بن عبد الله (290-296هـ) قيما على رأس بيت الحكمة، وتوفي بالقيروان في بداية الدولة الفاطمية سنة 298هم[1].

الغمام أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي رائد الفقه المالكي(160-240)هـ[2]:

من أهم الشخصيات العلمية التي كانت وراء انتشار المذهب المالكي في القيروان وفي المغرب الاسلامي كله، أخذ العلم في تونس على كبار فقهائها من تلامذة الامام مالك رضي الله عنه مثل البهلول بن راشد وأبي خارجة عنبسة الغافقي، وبرع في الفقه مالك حتى قيل عنه أنه أفقه من أصحاب مالك كلهم وأن أبا القسم وهو إمام المالكية في مصر طلب إليه أن يقيم عنده بطلب العلم.

وإلى سحنون يرجع نشر المذهب المالكي بواسطة كتابه المعروف بالمدونة الذي صحح به كتب أسد بن الفرات المعروف بالاسدية[3]، وانتشرت إمامته في المشرق والمغرب[4].

وإلى جانب العلم عرف سحنون بالورع الصادق والزهادة في الدنيا والصرامة في الحق لايخاف في الله لومة لائم[5]، وقيل فيه بأنه راهب هذه الامة. ورغم ذلك وتحت الالحاح تقلد منصل القضاء وقال لابنته " اليوم ذبح أبوك بغير سكين"[6].

5- الدولة الفاطمية:

أ- تهيئة الأرض المغاربية للتشيع:

يبدو أن ما تعرض له الشيعة من قهر وتشريد من قبل الدولة العباسية بعد تأسيسها كان حافزا لهم

---

(1) ابن الأبار محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1415هـ/1995م، ج1، ص 147. ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج . س . كولان و إ .ليفي بروفنصال، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ/ 2009م، ج1، ص 162-163. المقري: نفح الطيب، ج3، ص 392.

[2] انظر ترجمة له ضافية في ، عياض : ترتيب المدارك، تحقيق عبد القادر صحراوي، مطبعة فضالة المحمدية المغرب، ط2، 1403هـ/ 1983مج، 4، ص 45-88.

[3] سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج2، ص 87.

[4] نفسه ص 48.

[5] عياض: المدارك، ج4، ص 48.

[6] نفسه 57.

في التوجه إلى مناطق يفرون إليها بأرواحهم ومذهبهم، ويفيدنا كتاب افتتاح الدعوة للقاضي النعمان بأن **الإمام جعفر الصادق قد بعث أبا سفيان والحلْواني إلى بلاد المغرب سنة 145هـ/762م وأن ينشرا ظاهر علم الأئمة وينشرا فضلهم بين البربر**، في إطار إيجاد مناطق يمكن أن تستثمر عن بعد من أعين الدولة المركزي، (والأرجح أن يكون ذلك بعد النهاية المفجعة للمحاولة التي قام بها محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم سنة 145هـ/ من الفرع الحسني في عهد المنصور العباسي)، وذلك قبل 135 سنة من مجيئ أبي عبد الله الشيعي إذ قال لهما[1] :" إذهبا إلى المغرب فإنكما تأتيان أرضا بورا فاحرثاها وكرباها وذللاها حتى يأتيها صاحب البذر فيجدها مذللة فيبذر حبه فيها".

فاستقر أبو سفيان بضواحي مرماجنة، أما الحلواني الذي عاش دهرا طويلا بعد أبي سفيان فإنه توجه إلى بلد سوجمار وكلاهما من أرض كتامة. ولا شك أنهما قاما بالدعوة إلى المذهب الشيعي هناك.

ونلمس في حديث القاضي النعمان ما يمكن اعتباره محاولة تزوير أو تبرير تاريخية ذلك أن ربط مصير الدولة الفاطمية بجعفر الصادق من قبل القاضي النعمان سيكسبها مشروعية ومصداقية أكبر عند جموع الشيعة الامامية الاسماعيلية وحتى الاثني عشرية باعتبار جعفر الصادق شخصية إجماع شيعي، وحتى سني، ومن ثم ومع علمنا بعدم حدوث صراع بين جعفر والدولة العباسية، فإن هذه النصوص تبدو مقحمة في التأريخ للدولة الفاطمية وتؤسس لشرعية عامة.

استغل الشيعة ما تعرض له العلويون في معركة فخ سنة 169هـ/ وهروب إدريس الاول إلى بلاد المغرب وتأسيس دولة الادارسة من الفرع الحسيني سنة 172هـ/ كما كان بالمغرب الاوسط ما عدا المنطقة التي يمتلكها دولة الرستميين تسع إمارات علوية بين سنتي 263-276هـ/.

ب- اليمن كمركز للدعوة الشيعية[2]:

-دعا آخر الأئمة المستورين محمد بن أحمد إلى إرسال **أبي القاسم الحسن بن فرح بن حوشب الكوفي** إلى اليمن الذي **سمي بمنصور اليمن** وصاحب الدعوة فيها، وكان يتشيع بالإثني عشرية ثم تحول بعد اختفاء محمد بن الحسن العسكري إلى الإسماعلية باعتبار أن الامامة انتهت عند الإثني عشرية.

وتعتبر اليمن الطور الأول في الدعوة الشيعية الاسماعيلية حيث كان بها في الواقع شخصيتين **الأولى ابن حوشب** سالف الذكر **والثانية هي أبو الحسن علي بن الفضل الجيشاني**، وكان لهما بها نشاط واسع(وذلك في حدود سنة 268هـ/[3]) مع العلم أن مصادر الشيعة تؤكد حدوث صدامات بينهما بعد أن ملك الجيشاني صنعاء وانحرف عن ابن حوشب، وقُتِل الجيشاني مسموما من قبل مبعوث

---

[1] القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، 29. وانظر النص نفسه تقريبا عند ابن خلدون: العبر، ج4، ص 41.

[2] الكامل في التاريخ ، ج6، ص 450.

[3] الداعي إدريس: عيون الاخبار ، ص 61.

المهدي.

ج- الدعوة الحركية بالمغرب:

-ولما تأكد الامام المستور (محمد الحبيب)، ظهور دعوة ابن حوشب أرسل إليه أبا عبد الله الشيعي (الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالمحتسب(كان محتسبا بالبصرة وقيل بأن المحتسب إنما كان أخوه أبو العباس)، ويعرف بالمعلم كذلك (لأنه كان يعلم مذهب الامامية) إلى اليمن ليبصره ويعلمه أصول الدعوة وطرقها وأساليبها.

وطلب الامام منه بعد ذلك (حينما يتأكد من حصوله على بغيته) التوجه إلى مصر أو إلى المغرب، وقال له ابن حوشب:" إن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان، وقد ماتا وليس لها غيرك فبادر فإنها موطأة ممهدة لك"[1] .

وعندما سافر إلى الحج التقى بحجاج كتامة ورؤسائهم بمكة المكرمة (وفيهم من تشيع بسبب الحلواني)[2] في طريقه إلى مصر، وتوجه معهم إلى المغرب[3] بعد أن استقى منهم كل الاخبار المتعلقة بالسياسة الأغلبية فيهم، وعلاقتهم بالسلطة الاغلبية التي أكدوا له من خلالها أنهم شبه مستقلين عنها[4]، وكل ذلك دون أن يبين لهم حقيقة نفسه، مع حرصه على أن يظهر بمظهر المتعبد الزاهد والورع، وطلبوا منه الصحبة معهم إلى بلادهم فوافق، وتوجهوا جميعا عبر الصحراء إلى أن وصلوا إلى بلاد كتامة سنة 280هـ/ [5] فنزل على حريث الجيملي وموسى بن الكتامي بإكيجان وسماها بعد ذلك دار الهجرة(مهاجر المهدي)، وعين له مكان منزله بفج الأخيار، ثم بدأ يكشف لهم نفسه بأنه الداعي إلى المهدي المنتظر، وأنه عينهم وأن اسمعهم من الكتمان، واجتمع إليه الكثير من أهل كتامة، وجاهر بدعوته إلى إمامة أهل البيت، وكان يدعو للرضى من آل محمد، واتبعه معظم الكتاميين، وكانوا يسمونه بأبي عبد الله الشيعي والمشرقي[6].

د- رحيل عبيد الله المهدي إلى بلاد المغرب:

في هذه الاثناء تسامع عبيد الله المهدي بأن أبا عبد الله الشيعي قد حقق انتصارات كبيرة وذلك من خلال مجموعة من رجال كتامة بعث بهم أبو عبد الله الشيعي ليخبروه بما فتح الله عليهم، فعزم على

---

[1] الكامل في التاريخ ج8، ص 31. المقريزي: اتعاظ، ج1، ص 55.

[2] افتتاح الدعوة، ص 34.

[3] ابن خلدون: العبر، ج4، ص 41.

[4] افتتاح الدعوة 36.

[5] في افتتاح الدعوة سنة 280ن واخبار الداعي إدريس ص 88، ولكن المصادر الاخرى تقول بسنة 288. هـ مثل ابن خلدون، ج4، ص 42.

[6] ابن خلدون: العبر، ج4، ص 42.

السفر والخروج من **مخبئه سَلَمْيَة بالشام (قرب حمص) حيث كان معاشرا لقوم من أهلها هاشنيين ويظهر لهم أنه عباسي**[1]، وكان ينوي السفر إلى اليمن ولكنه عدل إلى المغرب، وكانت أعين المكتفي العباسي ترصد تحركاته وأخباره، ففر من أرض الشام إلى العراق ثم إلى إلى مصر[2] رفقة ابنه القاسم الذي كان حدثا صغير السن، حيث طلب من جعفر الحاجب الذي كان معه في سفره أن يأتي سلمية ويرافق نساء المهدي إليه في طرابلس الغرب. كما أرسل أبا العباس الشيعي إلى أخيه أبي عبد الله الشيعي إلى المغرب ويعرف بقدوم المهدي.

ورغم تتبع العباسيين للمهدي فإنه في الاخير استطاع أن يصل عبر الاسكندرية في زي التجار، ويمر على كل من طرابلس الغرب وقسطيلية وتوزر وقسنطينة[3]، وإيكجان إلى سجلماسة وأميرها اليسع بن مدرار فأكرمه، إلى أن جاء كتاب زيادة الله الأغلبي أو كتاب المكتفي العباسي بأنه المهدي الذي داعيته في كتامة، حيث كانت الأخبار والعيون ترقب تحركاته، وفي الأخير أودعه صاحب سجلماسة السجن.

في هذا الوقت كان أبو عبد الله الشيعي يسيطر شيئا فشيئا عن مدن كثيرة مثل ميلة وسطيف، وطبنة، وباغاية، وقرطاجنة ثم تيفاش، ثم تبسة[4]، وغيرها وكان يظهر نفسه بمظهر الرؤوف بالناس غير الطامع في أموالهم، وبالمقابل كان للأمير الاغلبي صورة مشوهة مما اقترفه من مجازر القتل في أهله ومناوئيه. وحدث للشيعي انتكاسة رجع من خلالها إلى مقره الأول إيكجان ولكنه عاود الكرة نحو المدن وخاصة باغاية، ثم التقى بجيش كبير مع إبراهيم بن الأغلب (أحد كبار قادة زيادة الله بن الأغلب) وانتصر عليه بالأربس(حسب رواية ابن الجزار في كتابه أخبار الدولة ونقلا عن الطبيب الاسرائيلي فإن زيادة الله بن الاغلب كان مع الجيش في الاربس)[5]، ولما سمع زيادة الله هرب إلى المشرق تاركا ملكه نهبا للشيعي وحاول إبراهيم بن الاغلب في القيروان أن يجمع الناس على مبايعته يكون الناس معه فابوا عليه وتصايحوا عليه فهرب إلى وجهة صاحبه زيادة وكان آخرهم(وذهب زيادة الله إلى المشرق ثم مات سنة) ، ودخل الشيعي رقادة عاصمة الأغالبة في رجب سنة 296هـ ونقش على السكة على أحد الوجهين "بلغت حجة الله"، وعلى الآخر "تفرق أعداء الله" [6] .

ثم ارتحل مباشرة إلى سجلماسة لتخليص المهدي من السجن ، وفي طريقه أسقط كل من دولة الرستميين، وبني مدرار وقتل أمراءهما، واستخلص المهدي وابنه القائم من السجن، وتوجه به إلى إكيجان

---

[1] أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، الدار المثرية اللبنانية، ط1، 1413هـ/1992م،ص47.

[2] ابن خلدون: العبر، ج4، ص 44.

[3] نفسه، ج4، ص45.

[4] ابن خلدون، العبر ج4، ص 43-44.

[5] ابن ابي اصيبعة: عيون الانباء ، ص 480.

[6] افتتاح الدعوة 250.

(دار الهجرة كما سماها المهدي) ودفع إليه الأموال، وكان يقول لهم:"هذا مولاي ومولاكم وولي أمركم وإمام هديكم ومهديكم المنتظر، الذي كنت به أبشر، قد أظهر الله عز وجل أمره، كما وعده وأيد حزبه وجنده[1]".

ثم توجه به منتصرا إلى رقادة في في 21 ربيع الثاني سنة 297هـ/15 جانفي 910م حيث أعلن قيام الخلافة الفاطمية[2].

وحضر أهل القيروان وتمت المبايعة العامة، وتلقب " بالمهدي لدين الله" و"بأمير المؤمنين". واستقام له الامر وأرسل العمال في كل الاقاليم التي كانت تحكم من قبل الاغالبة.

الخلفاء الفاطميون:

5-1- عصر عبيد الله المهدي (297 - 322هـ/910-933م):

دعي له بالخلافة في يوم الجمعة 21 ربيع الثاني 297هـ/ في كل من القيروان ورقادة والقصر القديم (العباسية)، وقام بتشكيل مجلس الحكم والمستشارين والحاشية ورجال القصر كلهم تقريبا من الجماعة التي جاءت معه من الشام. وأوعز إلى أوليائه من الكتاميين في المناصب الكبيرة، واستعمل من كان موظفا في الدولة الأغلبية بعد أن أمنهم، وتوعد خائنهم.

وأقام على المرافق الهامة مشرفين موالين له، مثل بيت المال، وديوان العطاء، وديوان الكتابة، وديوان البريد، وأعاد تنظيم الإدارة فأحيى ديوان الخراج الذي أحرق أثناء هروب زيادة الله، وأمر بجبي الأموال. وقام بالاجراءات التالية:

-إضفاء الصبغة الشيعية على مؤسسات الدولة:

استعمل على مدينة **القيروان** شخصية شيعية من وجوه اهل ميلة وهو الحسن بن ابي خنزير واستعمل اخاه على القصر القديم (العباسية). وأسند خطة القاضي إلى فقيه قيرواني من جند خراسان له تشيع قديم، يدعى محمد بن عمر المرْوَرُّوذي(سيقتل على يد عبيد الله المهدي سنة 303هـ) .

ولما كانت الجمعة عين خطيبا على القيروان وعلى رقادة وأمرهم في الخطبة بالصلاة على محمد وعلى آله وعلى أمير المؤمنين علي وعلى الحسن والحسين وعلى فاطمة الزهراء....".

وأمر أن يزاد في الآذان "حي على خير العمل"، وأسقط "الصلاة خير من النوم" من آذان الفجر- وأمر بإسقاط الشفع التراويح.

- وسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه، حاش علي بن ابي طالب والمقداد بن

---

[1] **نفسه ص 287.**

[2] **نفسه ص 299.**

الاسود، عمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، وأبا ذر الغفاري، وزعم أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ارتدوا غير الذين ذكرناهم.

– وأمر بضرب السكة وجعل عليها أبا بكر الفيلسوف المعروف بابن القمودي وهو موظف اغلبي سابق " ونقش العلامات الشيعية عليها مثل: "الحمد لله رب العالمين"[1]

– "بلغت حجة الله" وفي الوجه الاخر "تفرق اعداء الله"[2].

–ونشعر بأن المهدي صار هو المسير والموجه للحالة العامة للدولة، وأن مذهبه الشيعي الإسماعيلي يتحكم في رقاب المغاربة.

– مؤامرة الداعي وأخيه أبي العباس وأبي زاكي تمام بن مُعَارك ومقتلهم على يدي المهدي في جمادى الثانية 298هـ[3]:

عندما استقر المهدي برقادة بدأ في الاستحواذ على كل السلط خاصة بعد تلك الهالة التي قدمه بها الداعي، ومن ثم فإنه كان لزاما عليه أن يظهر بمظهر الخليفة الذي تسير الامور بيديه، وبيده كامل الصلاحيات، خاصة ما كان يراه من اجتماع الراي والامر والنهي بيد الداعي الذي كان بمثابة الحاكم الفعلي أو وزير الدفاع المتمكن، وفي ذلك بالضرورة تقليص وتحجيم للنفوذ الداعي وأخيه أبي العباس وأبي زاكي الذين كانت لهم اليد الطولى في تسيير دواليب الحكم إبان الاستيلاء على القيروان.

والذي زاد الامر توجسا إقدام المهدي على جمع الاموال التي كانت في إيكجان والاستحواذ عليها ليتصرف فيها كما يشاء.

فصول المؤامرة حسب الروايات التاريخية المقدمة للجمهور:

النص الشيعي يحاول ان يلقي تبعة المؤامرة على أبي عبد الله الشيعي وأخيه ابي العباس وبعض المقربين منهم، حيث كانوا عقدوا النية على الفتك بالمهدي، فكان سباق للإطاحة بهم[4]،

وفي الواقع يمكن رصد ظاهرة كانت ولا زالت تسيطر على كل من شارك في الوصول إلى السلطة السياسية مشاركة فعلية، وما يصدر عنها مما يمكن تسميته "**بنوازع(نزعة) الاستبداد**" **وما يصاحبها من نوازغ(نزغ) الاستبعاد**" [5] من جهة المتحكم فعليا، وما يرافقها من حركات فعل "**رد الاعتبار**"

---

[1] البيان ج1، ص 151.

[2] تاريخ الخلفاء، 139.

[3]الكامل في التاريخ، ج6، ص 451.

[4] القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص306–316.

[5] يمكن أن نضيف إليها "نزعة الاستعباد" التي تسيطر على المستبد والتي تعمل على إقصاء أو تصفية أو استبعاد منافسيه وممن كان لهم عليه فضل عمل وتتويج، ليخلو له الجو كزعيم أوحد تنمو فيه وسرعة نزعة الاستبداد باعتبار صاحب الفضل الاول والاخير لما توصل إليه.

للمقصى منها أم المبعد عنها،وهذا الذي حدث بين شخصيتي المهدي والداعي.

ويمكننا تلخيص أسباب هذه المؤامرة في نشوب صراع بين قوتين متنافستين قوة ابي عبد الله ونشاطه الدعوي، وقوة عبيد الله المهدوية[1].

يجب أن نقر بأن أبا عبد الله الداعي كان طوال حياته الدعوية والعسكرية في بلاد كتامة يدعو للرضا من آل محمد، ثم لعبيد الله المهدي المنتظر وعندما تم له الاستيلاء على رقادة والإطاحة بالدولة الأغلبية، ثم تحوله إلى سجلماسة واستخلاصه عبيد الله المهدي وأعلانه خليفة، **بعد كل ذلك يمكننا أن نقر بأن مهمة الداعي الشيعي قد انتهت فعليا كما كان مرسوما لها، وبدأت مهمة المهدي فعليا، ومن ثم فإن بقاء الداعي بعد أداء مهمته كان يمثلا تعديا على الخطوات التي كان هو نفسه مقرا بها وراسما لها**، وتعديا على من يجب أن تكون له المهمة، **وكان المفروض من قبل الداعي أن يعتزل السياسة نهائيا أي يُمَوِّتَ نفسه موتا سياسيا.**

ولكن كما يبدو لم يكن يتصور هذا التصور، بل كان يعتقد أن ما قام به من إرساء قواعد الدولة وتقديمها على طبق من ذهب للمهدي يقابل بالإحسان إذ ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ ، ويجب أن يؤخذ له بعين الاعتبار، ويجزى عنه الجزاء الأوفى.

وكان يعتقد كذلك أن من جزائه أن يبقى مسيطرا على دواليب الحكم أو على الأقل مشاركا قويا فيه، وهو ما يتعارض مع ماكان يدعو إليه.

-تداعيات مقتل الداعي ابي عبد الله الشيعي:

-ثورة القصر القديم(العباسية):

كانت العناصر الاغلبية السنية الباقية في القصر القديم تشعر بأن ما كان قد تفاهم به معهم الداعي في عدم التعرض لهم في مهب الريح بعد مقتل الداعي[2]، فاجتمعوا على شخصية منهم يدعى أبو الحسن بن أبي حجر، وأخرجوا جميع الكتاميين الموالين للفاطميين، وأعلنوا العصيان المدني بضعة ايام ثم تفرقوا وانفضوا، فتركهم المهدي حتى هدأت الامور ثم بدأ في تصفيتهم، وقتلهم صبرا مجموعة إثر مجموعة.

-محاربة زناتة في المغرب الأوسط واستعادة مدينة تيهرت وكانت بها مقتلة عظيمة وسبي للنساء والذرية وانتهاب للأموال.

ثورة سكان القيروان[3]: في 22 شعبان 299هـ إثر مناوشات بين القيروانيين والكتاميين

---

[1] انظر، بوبة مجاني: النظم الادارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي، دار بهاء الدين، ط1، 1430هـ/2009م، ص 87.

[2] القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص 220.

[3] نفسه 322.

الإسماعليين، قام الإسماعليون بتخريب لبعض الممتلكات، رد عليهم القيروانيون بمجزرة قتل خلالها حوالي 700 كتامي. ولم يستطع والي القيروان ابن خنزير حل المشكلة إلا بعد أيام وبشق الأنفس، ولما علم بذلك المهدي (برقادة) عاقب شيوخ القيروان وفقهاءها بسبب مقاومتهم للمذهب الشيعي.

وقد تعرض بعد ذلك مجموعة من الفقهاء المالكية إلى ما يشبه عمليات التصفية الممنهجة كرد فعل لاثبات المذهب الاسماعيلي الذي وجد مقاومة شرسة من قبل الفقهاء الذين كانوا في نظر عبيد الله الرؤوس الاولى التي تقود مسار المقاومة،ومن بين الفقهاء الذين كانوا يجاهدون الوجود الشيعي في القيروان وغيرها نذكر منهم إبراهيم ابن البرذون، وأبو بكر بن هذيل[1] قتلهم أبو عبد الله الشيعي.وأبو جعفر محمد بن خيرون[2] قتله عبيد الله المهدي، واصبح المهدي في نظر الكتاميين والزناتيين وغيرهم شبيها بأبي جعفر المنصور. كما كانت هناك مناقشات حادة مع كبار فقهاء المالكية منهم سعيد بن الحداد[3].

– **ثورة أهل طرابلس:** ثار اهل طرابلس سنة 300هـ وهرب عاملها من قبل عبيد الله ماقنون بن دبارة، وقتل من بها من الكتاميين، ثم حاربهم عبيد الله بابنه ابي القاسم شهورا حتى أخضعهم، بعد أن قتل ثلاثة من رؤوسهم حملهم إلى رقادة .

– **ثورة صقلية(304هـ)** : طرد سكانها العرب المالكيون الحسن بن ابي خنزير عامل عبيد الله المهدي. وحاولوا الاتصال بالخلافة العباسية التي بادرت إلى إرسال شعار السواد، وتأكيد دخول صقلية تحت الدولة العباسية وبعث العباسيون اسطولا بقيادة محمد بن قرهب استطاع ان يقهر في البداية الجند الفاطمي ويقتل ابن ابي خنزير، ولكن ابن قرهب ساءت علاقته بأهل صقلية فاجمعوا على الاتصال بعبيد الله وسلموه ابن قرهب.

–**ثورة الكتاميين[4]:** الذين ضجروا من أفعال عبيد الله بعد مقتل الداعي حيث اغتال مجموعة من رؤوس الكتاميين غيلة بعد تشككه فيهم، إذ استدعاهم عنده وقتلهم جميعا، فثارت ثورة في رقادة واستطاع أن يقضي عليها. ومن ثم اظهروا الخلاف على عبيد الله واتفقوا على السير نحو التألب عليه.

وقاموا بثورة أخرى في الزاب حيث نصب الكتاميون على أنفسهم صبيا يعرف بالمارطي[5] (أو الماوطنتي نسبة إلى عشيرته بني ماوطنت من قبيلة أوسة[6]) واسمه كادو بن معارك، وادعوا بأنه المهدي

---

[1] رياض النفوس ج2، ص 47– 51.

[2] نفسه 52.

[3] نفسه ص 57– 115.

[4] نفسه ص 224.

[5] ابن عذاري: البيان، ج1، ص 166.

[6] افتتاح ، ص 324، ولم يذكر اسمه بل قبيلته . والذي ذكره باسم المارطي ابن عذاري

المنتظر [1]وأعلنوا انفصالهم عن الدولة واستطاعوا أن يستولوا على مدينة ميلة وقسنطينة التي أصبحت مركزا لمقاومة الدولة الفاطمية، ثم استطاع القائم ان يقضي على هذه الثورة ويقتل الغلام.

-الجواز الأول إلى مصر: نهاية 301-302هـ[2] .

-كان لِمَا تعرضت له الدولة الفاطمية من مقاومة لم تكد تهدأ منذ البداية أثرا بالغا في توجيه عبيد الله المهدي فتوحه نحو المشرق، فهل كانت بلاد المغرب مجرد محطة أولى أم أن الأجواء التي ترسخت في بلاد المغرب وخاصة المذهب المالكي قد أكد للعبيديين أن مقامهم في بلاد المغرب لن يكون ثابتا رغم كل القوة المستخدمة.

السؤال: هل كان الجواز الفاطمي إلى مصر ضرورة أملتها الظروف المحيطة بالدولة الفتية أم فريضة واختيار وتوجه مبدئي من قبل الفاطميين نحو تأسيس خلافة فاطمية تضاهي العباسيين؟

كل المصادر تؤكد أن النفس الذي كان عليه المهدي هو توسيع مناطق نفوذه شرقا باتجاه مصر، وغربا باتجاه الدولة الادريسية والاموية، وشمالا باتجاه الروم وما وراء صقلية، وهي الاتجاهات الثلاث التي كانت تشكل خطرا محدقا بالخلافة الفاطمية، ومن اللازم التنبيه إلى أن الدول في ذلك الوقت كانت حلتها دائمة الكر والفر زالتغلب والتوتر شبه الدائم، وخاصة عندما نؤكد أن الفاطميين شكلوا من البداية خطرا وتنافسا محدقا بالجيران المسلمين وخاصة عندما أسفروا عن مذهبهم وطموحهم في احتلال كل الاقليم الغربية البعيدة ، ومن ثم فإن الاقليو الشرقية تبدوا أكثر اهتماما من قبلهم، خاصة بعد تلك الحملة التي قادها أحد قوادهم وهو حبوس بن يوسف الذي وجد المدن الشرقية مثل برقة وغي ها قد هربت حامياتها بمجرد اقتراب جيش حبوس مما حفز وشجع الفاطميين من التمادي في الغزو نحو مصر ، مع ما هي عليه الخلافة العباسية من الضعف والهزال.

أي أن المرور نحو مصر طبيعي فرضته احوال البلدان في الاستحواذ على مناطق أوسع حتى تضمن رقعتها، من جهة .

ومن جهة أخرى فإن العنت الذي تعرض له الفاطميون من قبل المغاربة ضد مذهبهم وما قام به الفاطميون من شحن المغاربة بكل انواع الكره والعداوة لهم بعد الذي فعلوه من قتل العلماء وكتغيير سنن التعايش المذهبي الذ يلم يحترمه الفاطميون ، كل ذلك كان من اللوازم التي اهمت بشكل أساسي في امتداد الفاطميين نحو المشرق حيث لهم تعاطف اكثر مما هو في المغرب.

في هذه السنة أمر عبيد الله ابنه محمد بن عبيد الله أبا القاسم القائم على رأس جيش وتوجه به نحو الاسكندرية (بعد أن توجه قبله القائد الكتامي حباسة بن يوسف الذي فعل الافاعيل بأهل برقة

---

[1] ابن خلدون : العبر ج4، ص 48-49.

[2] افتتاح 326. عيون الاخبار لادريس ص 194. انظر كذلك ، ابن خلكان: وفيات ج5، ص 19 في ترجمة القائم ابن المهدي. الكامل في التاريخ، ج6، ص 483.ابن عذاري: البيان، ج1، ص 171.

وغيرها[1] مرورا – ببرقة – فوجدها(الاسكندرية) خالية بعد هروب أهلها في البحر مخافة منه. وبقي بها ينهب أموالها حتى جاءه قائد من الخليفة العباسي المقتدر[2]، واسم القائد "**مؤنس الفتى**" **الخادم**" لمحاربته[3]، فرحل عنها ورجع إلى المغرب، وفشلت هذه الحملة.

-الجواز الثاني إلى مصر سنة 306هـ-307هـ[4]: كان جيشه في غالبه كتامي التركيبة مع بعض العرب والبربر من بطون اخر ومع قوة بحرية للإسناد، ووجه الخليفة العباسي قائدا رد القائم عن الاسكندرية وتراجع الى المغرب للمرة الثانية، وفشلت كذلك هذه الحملة على يد القائد مؤنس الفتى" الخادم" الذي استحق لقب "المظفر".

وعندما كانت جيوش الفاطميين في مصر دعا المهدي أهل الحجاز لمبايعته وسوف يكون حسن السيرة فيهم فرفضوه. وأجابوه بأن للبيت رب يحميه.

-بناء مدينة المهدية (الجولات الاستطلاعية لاختيار المكان بداية من سنة 300هـ، وكانت بداية البناء أخر سنة 303هـ وانتهى من بنائها سنة 306 هـ وانتقل إليها سنة 308هـ)[5]:

– اسم المهدية نسبة إلى المهدي الذي سماها به وتقع جنوب شرق القيروان على الساحل وتبعد عنها بحوالي 60 ميلا= 100كلم. (انظر الخريطة في أطلس مؤنس ص 188- 159).

اسباب البناء:

-ظاهرة بناء المدن لكل دولة او لكل شخصية قوية تكون بمثابة طابع له ودرع يحتمي به.

-نظرا لتواتر الثورات على الدولة الفتية والأجواء السنية التي فرضت حصارا ثقافيا عليها كان

---

[1]انظر، ابن عذاري: البيان ج1، ص 170، وسوف يفر حباسة بعد ذلك ويصل إلى برقة حيث يعتقل من قبل جنود الفاطميين ويقدم إلأى المهدي الذي ضرب عنقه وأهله بتهمة التآمر عليه مع عروبة)

[2] في عهد الخليفة العباسي المقتدر قتل الحلاج الحسين بن منصور سنة 309هـ/ ادعوا أنه تزندق، ولكن ابن خلكان في وفيات الاعيان ج2، ص 140 ، ترجمة رقم 189- رواية عن إمام الحرمين الجويني يرى أنه قتل لأسباب سياسية، انظر عن الحلاج كذلك ، النديم: الفهرس ، ابن الاثير: الكامل في حوادث سنة299 هـ و 309 هـ. طبقات السلمي ، ميزان الاعتدال 548/1 لسان الميزان 314/2. تاريخ بغداد 112/8. ابو حامد الغزالي: مشكاة النوار. الجويني: الشامل . مرآة الجنان 253/2. المنتظم 160/6. الفخري 234. ابن كثير 132/11. تجارب الامم 76/1. ماسنيون المجلة الاسيوية باريس 1931.

[3] الغريب أن القائد مؤنس الخادم كان وراء مقتل الخليفة المقتدر بواسطة جيشه سنة 320هـ ، ولما اعتلى الخليفة القاهر الحكم العباسي 320-322. قتل الخادم مؤنس. انظر، عيون الأخبار ص233.

[4] الكامل في التاريخ، ج6، ص501. البيان، ج1، ص 180.

[5] افتتاح ص 328. عيون الاخبار لادريس ص 209. الكامل في التاريخ، ج6، ص 489. التيجاني : رحلة التيجاني، ص 320. البكري: المسالك والممالك، ج2، ص 202. أما ابن عذاري في البيان فإنه يجعل بداية بنائها سنة 300هـ، انظر ج1، ص 169.

عبيد الله يرى ضرورة تأسيس مدينة يحتمي بها في أيام الشدة والفتن ويذكر ابن خلدون أنه قال:" بنيتها لتعتصم بها الفواطم ساعة من نهار"[1].

– مدينة رقادة تقع وسط سهل فسيح يمكن أن تكون فريسة سهلة لاي غاز لها .

– فكان بناؤه لمدينة المهدية يستجيب للظروف التي يكابدها من الخوف على مصير الدولة الفتية[2]، أي **مدينة ذات طابع عسكري.**

ونشعر بأنه كان في حيرة من أمره وأنه كان غير مطمئن للظروف التي تمر بها دولته. وكان يرى انه رغم انه استطاع ان يقمع الثورات التي انتشرت كالهشيم واستطاع ان يبطل مفعول الدسائس والمؤامرات فانه كان يرى بان دولته لن يكون لها استقرار في مستقبل أيامها فيذكر ابن خلدون:" أنه لما ارتفع سور المهدية رمي فوقه بسهم إلى ناحية المغرب، ونظر إلى منتهاه وقال:" إلى هذا الموضع يصل صاحب الحمار يعني ابا يزيد"[3].

وأمر بأن ينقب في جبلها مرفأ لبناء السفن يتسع لمائة قارب/أو مائتين.

وأمر بحفر مخازن للطعام والسلاح[4].

وهيأ لها الصهاريج والمواجل.

وبنى فيها القصور والدور. وكملت سنة 306هـ.

ووضع بها برجين يتصل بينهما سلسلة حديدية ضخمة لغلقه في الليل فلا يمكن للمراكب الدخول إلى الميناء. فلما تم بناؤها قال: "أمنت اليوم على الفواطم"[5]، وانتقل اليها في 8 شوال 308هـ . وتوفي المهدي سنة 322هـ

5-2- القائم بأمر الله (322-334هـ):

– هو أبو القاسم محمد بن عبيد الله[6] (نزار) ولقبه القائم بأمر الله[7]، ولد في سلمية[1] سنة 280 أو

---

[1] العبر ج4، ص 49.

[2] أما القاضي النعمان فيحاول أن يجعل من تنبؤ المهدي بوصول صاحب الحمار إلى رقادة هو الاساس من بنائها وأن نبوأته قد تحققت كما يريد الايحاء بذلك على عادته، انظر افتتاح، ص 328.

[3] نفسه ص 49. الكامل في التاريخ، ج6، ص 489.

[4] الكامل ، ج6، ص 489.

[5] افتتاح الدعوة، ص 49. الكامل، ج6، ص 489.

[6] انظر ترجمته في ، ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج5، ص20. ابن عذاري: البيان، ج1، ص 208. ادريس الداعي: عيون الاخبار، ص 245.

[7] حول استخدام هذه الالقاب في كل من الاندلس ومثيلها في المغرب الفاطمي تحدث ابن رشيق المسيلي القيرواني عن

282هـ وتولى الخلافة الفاطمية في منتصف ربيع الأول 322هـ وتوفي في 13 شوال سنة 334هـ.

– بايع له أبوه بولاية العهد سنة 299هـ، ولما مات أبوه عبيد الله المهدي أخفى موته سنة مخافة أن لا يتم الاتفاق عليه، ولما استكمل تمكين نفسه اعلن ذلك[2].

– حملاته:

– في عهده أوفد بعض قائده ميسور الخادم للاستيلاء على مدينة فاس فانضم واليها موسى بن أبي العافية إلى الأمويين في الأندلس ورجعت إلى الفاطمي ولكن تحت سلطة الأدارسة، وجيئ بابن لموسى بن ابي العافية وسجن في المهدية حتى اطلقه المنصور الفاطمي[3].

–استولى على بعض المدن في جزيرة صقلية[4].

– فتح مدينة جنوة بواسطة اسطول يتكون من عشرين مركبا بقيادة يعقوب بن إسحاق التميمي في شهر رجب من سنة 322هـ، واستمرت إلى رمضان من سنة 323هـ[5] .

– وحاول فتح مصر للمرة الثالثة سنة 323 هـ (منهم من يجعلها قبيل وفاة والده)، ووصل جيشه إلى الاسكندرية ثم تعرض لحملة من قبل الجيش العباسي فتراجع إلى المغرب[6].

– وكان الأمير أبو القاسم هو الذي أمر ببناء مدينة المسيلة سنة 313 [7]، وكان المتولي بناءها علي بن حمدون المعروف بابن الاندلسي وسماها المحمدية (قام بتخريبها سنة 324هـ لاقتراب صاحب الحمار منها، وهلك بها سنة 326هـ بسبب هذه الثورة).

كما ساعد رئيس قبيلة تلكاتة الصنهاجية زيري بن مناد على بناء مدينة أشير سنة 324هـ في قلب جبال الاطلس التلي.

ذلك بقوله :

مما يزهدني في أرض أندلس ***تلقيب معتضِد فيها ومعتمِدِ

ألقاب مملكة في غير موضعها ***كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

انظر الأبيات في ، المراكشي عبد الواحد: المعجب، المكتبة العصرية، ط1، 1426هـ/ 2006م، ص 59. المقري: نفح الطيب(تحقيق إحسان عباس)، ج1، ص213–214.

[1] "سَلَمِيَّه" كما ضبطها ابن خلكان في وفيات الأعيان لما ترجم لعبيد الله المهدي وهي بليدة بالشام من أعمال حمص، انظر ج3 ص 119.

[2] الكامل في التاريخ ، ج7، ص 99.

[3] الداعي ادريس: عيون الاخبار ، ص 263. الكامل في التاريخ ج7، ص 99–100.

[4] الكامل في التاريخ ج7، ص 115.

[5] الداعي ادريس: عيون الاخبار ، ص 262–263. الكامل في التاريخ ج7، ص 99–100، ص 115.

[6] الكامل في التاريخ ج7، ص 100.

[7] البيان: ج1، ص 215.

سيمات عهده:

– اتسم عهده عموما بالإفراط في فرض الضرائب، والإفراط في الاضطهاد الديني والمذهبي. فمثلا عرب صقلية اضطر بعضهم للتنصر للهروب مما كانوا عليه من اضطهاد – **الثورات التي قامت ضده:**

– ثارت عليه مجموعة من الثورات أبرزها:

– **ثورة ابن طالوت القرشي:** في ناحية طرابلس، وكانت بينه وبين جيش القائم معارك كثيرة قتل من خلالها كثير من جيش القائم، وقد ادعى أنه ابن المهدي فقام معه البربر، ولكنهم اكتشفوا كذبه فقتلوه وبعثوا برأسه إلى القائم[1].

– **ثورة صاحب الحمار**[2]: هو أبو يزيد مَخلَد بن كَيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن وريمت بن تيقراسن بن سميدان بن يفرن، ويفرن هو أبو الكاهنة، وتنتسب إلى جانا بن يحيى زناتة كلها[3]. كان أبوه كيداد من أهل قسطيلية من مدائن بلد توزر، وكان يتاجر في بلاد السودان وبها ولد أبو يزيد مخلد، ونشأ بتوزر[4] خارجي المذهب، وأحد الأئمة الاباضية النكار. توجه إلى تاهرت وبها علم القرآن الكريم، وكان يركب الحمار وتسمى شيخ المؤمنين، وكان في الستينيات من عمره.

–من أسبابها أن قيام الدولة الفاطمية رافقه زوال الدولة الإباضية الخارجية في تاهرت، والسنية في القيروان، وتفرق الإباضيون – الذين كان أغلبهم من قبيلة زناتة– إثر ذلك في المناطق الوعرة هروبا من بطش هذه الدولة، فكان مستقر أكثرهم **في جبال أوراس، وقسطيلية وصحراء ورقلة، وسدراتة.**

– كان من أهم أسبابها أن بعض النصوص تؤكد على أنه بعد وفاة المهدي أعلن القائم صراحة لعن الغار (الذي اجتمع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم وأبا بكر في طريقهما إلى الهجرة نحو المدينة)، أي سب أبي بكر الصديق رضي الله عنه.، وغير ذلك من تكذيب كتاب الله تعالى، ومن عارض ذلك

---

[1] القاضي النعمان: افتتاح، ص 332. الداعي ادريس: عيون الاخبار ، ص 263–264. الكامل في التاريخ ج7، ص 99.

[2] انظر عن ثورته افتتاح الدعوة ص 332 . الداعي ادريس: عيون الاخبار ، ص 263– التي تنعته بالأعور الدجال النكاري. كان لصاحب الحمار عندما استولى على القيروان شاعر هو أبو القاسم محمد بن عبد الله الفزاري القيرواني، ثم مدح بعد ذلك المنصور الفاطمي لما استولى على القيروان وطرد منها صاحب الحمار سنة 336هـ، . . الكامل في التاريخ، ج7، ص 48 ، 188– 201. ابن خلدون، العبر، ج4، ص 52. الذهبي : تاريخ الاسلام
وانظر بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ، ج2، ص 104.

[3] البيان، ص 216. الكامل في التاريخ ج7، ص188–

[4] ابن خلدون: العبر، ج4 ،ص 52.

نكل به وقتل[1].

كانت بداياتها الأولى سنة 316هـ [2] وهي السنة التي أعلن فيها الناصر الاموي الخلافة الأموية في الاندلس.

بينما كانت البداية الحقيقية لهذه الثورة بعد وفاة عبيد الله المهدي بأشهر وذلك سنة 323هـ[3] من منطقة جبال الأوراس، وكان معه صاحبه أبو عمار الأعمى النكاري الذي أستخرج من السجن أبا يزيد بن أن نمي للقائم باحتسابه ودعوته للخروج على الدولة الفاطيمية[4].

واستطاع أن يتغلب على القائم وخاصة سنة 332هـ حيث قهره، إلى أن حاصره بالمهدية[5]. بعد أن استولى على القيروان وضرب بها نقودا ، وأعلم صاحب قرطبة عبد الرحمن الناصر بأنه تحت سلطته ونفوذه وإمامته.

واستطاع صاحب الحمار أن يحتوي في ثورته مجموعة من الفقهاء المالكية الذين كانوا يتمنون زوال دولة الفاطميين الإسماعلية، وترحم على أبي بكر وعمر ودعا الناس إلى قراءة مذهب الإمام مالك. ودعا الناس إلى جهاد الشيعة. واستثمر المبادئ الإسلامية في نشر دعوته، ورمى الفاطميين بالكفر ...كما استخدم البعد القبلي الزناتي المعادي للكتاميين الذين يشكلون كتلة الفاطميين.

لقد استغل صاحب الحمار ضعف شخصية القائم التي قيل عنها بأنه "لم يرق سريرا ولا ركب دابة صيد، منذ أن أفضى إليه الأمر حتى مات، وأنه صلى مرة على جنازة، وصلى مرة العيد بالناس"[6].

كانت الظروف قد حتمت على القائم أن يستنجد بقبيلة صنهاجة ربما لآنه رأى أن كتامة لم تعد قادرة وحدها على مجابهة الموقف في هذه الثورة، فكتب إلى **زيري بن مناد سيد صنهاجة**، وإلى سادات كتامة والقبائل يحثهم على الوصول إلى المهدية، وذلك في أواخر ربيع الاخر سنة 333هـ[7]، وذلك **بعد مقتل قائده ميسور من قبل أبي يزيد.**

استطاع صاحب الحمار أن يصل في حربه ضد العبيديين إلى أن يستولي على مناطق أساسية ، وعندما جاءته الاخبار بأن القائم استنجد بزيري بن مناد تأكد من أن القائم يعيش تهاويا كبيرا في نفسيته

---

[1] البيان، ص 216.

[2] الكامل في التاريخ، ج7، ص 48. ابن خلدون: العبر، ج4، ص 52.

[3] ادريس الداعي: عيون الاخبار، ص 264.

[4] ادريس الداعي: عيون الاخبار، ص 265.

[5] الكامل في التاريخ، ج7، ص 188.

[6] المقريزي: اتعاظ، ج1، ص 86. انظر كذلك ، افتتاح الدعوة ، ص 331.

[7] ابن خلدون: العبر، ج4، ص 53. الكامل في التاريخ ج7، ص 191. ابن الخطيب: الاحاطة (عنان)، ج1، ص431.

وبأنه يشعر بالضعف الشديد ومن ثم وجب اهتبال الفرصة واستغلالها، والذهاب إلى المرحلة الأخيرة وهي الاستيلاء على العاصمة المهدية، ومن جهة أخرى كان صاحب الحمار يدرك أنه إذا لم يسيطر على الوضع في هذه الفرصة قبل وصول دعم صنهاجة للقائم فإن الامور قد تنقلب عليه في المستقبل، ومن ثم كانت سرعة توجهه إلى حصار المهدية.

برزت أهمية مدينة المهدية كقلعة وملجإ حصين للدولة الفاطمية، وأكدت البعد الاستراتيجي الذي كان يتفرسه المهدي، ومن ذلك أن القائم لما اشتدت الحرب وطالت وغلت المعيشة، ولم يجد الناس مايأكلونه، حتى أكلوا الميتة، والدواب وغيرها[1]، وهرب كثير من سكان المهدية عبر البحر إلى بلاد الروم و صقلية وطرابلس، ولكن الجنود لم يفتقروا إلى الغذاء ولا إلى الماء فقد فتح لهم القائم أبواب المستودعات والاهران التي كانت مشحونة بالغذاء والماء تقوى بها الجنود على مقاومة حصار صاحب الحمار والاستمرار في حربه.

وبعد حروب ضارية وحصار كبير على المهدية وسوسة توفي القائم وابو يزيد محاصرا لمدينة سوسة سنة 334هـ.

5-3- المنصور الفاطمي (334-341هـ):

هو أبو الطاهر إسماعيل الملقب بالمنصور بن محمد القائم بالله بن عبيد الله المهدي الفاطمي[2]، ولد بالقيروان سنة 301هـ أو 302هـ، وبويع بالخلافة يوم وفاة أبيه في 13 شوال سنة 334هـ، (أي عمره 33سنة) وحصار أبي يزيد (صاحب الحمار) مضروبا على سوسة، فأخفى موت أبيه. ولم يغير السكة ولا البنود ولا الخطبة لابيه وأقام على ذلك إلى حين ظهوره على أبي يزيد سنة 336هـ[3]. وتوفي سنة 341 بعد سبع سنوات حافلة بالنشاط.

كانت شخصية المنصور تختلف كثيرا عن شخصية والده، فقد كانت شجاعته وإقدامه وعدم تردده من الخصال الظاهرة في حياته، وكذالك حلمه.

بقي يدافع عن مدينته حتى تراجع صاحب الحمار(كان معه في البداية أبو عمار الأعمى النكاري الذي أنقذه من سجن قسطيلية بعد أن نمي إلى القائم بأمر الله أمره وقبض عليه سنة 323هـ) .

خرج المنصور بنفسه(كان المنصور يباشر المعارك بنفسه) من المهدية متوجها إلى سوسة يتعقب أبا يزيد في معارك كر وفر سالت فيها دماء المسلمين كثيرة بين الطرفين وكانت الحرب بينهما سجال حتى دب الشقاق في صفوف جند صاحب الحمار الذي لم يكن له مشروع واضح لتأسيس دولة أو إمارة، وكانت قوته في بداية الثورة، ولكن بعدما لم يستطع الحسم، بعد المنعة التي كانت عليها مدينة

---

[1] الداعي إدريس: عيون الاخبار ص 315.

[2] انظر ترجمة له مهمة في، ابن خلكان : وفيات الاعيان، ج 1 ، ص234 - ترجمة رقم 98.

[3] المقريزي: اتعاظ الحنفاء، ج1، ص 89.

المهدية وتطاولت المدة شعر الجند باليأس وبدأت تبدر منهم بعض الافعال القبيحة، والتردد حيث غادر ميدان المعركة كثير منهم.

ومنذ بداية عهد المنصور تحولت موازين المعركة حيث بدا منذ اللحظة الاولى التي اعتلى فيها العاهل الجديد الخلافة بنفسية تواقة جديدة تستهدف أولا الخروج من القوقعة التي كان قد ضربها القائم على نفسه في المهدية، وكانت تستولي على جنده روح معنوية سلبية تقترب من الاستسلام، ولما حل الخليفة الجديد بشخصية قوية لا تعترف بالهزيمة وتوتقة إلى النصر ، حيث بادر لاول مرة بالخروج من المهدية ويصارع صاحب الحمار خارج في إشارة إلى أن هذا العهد هو عهد جيد، وفترة استعادة القوة ورفع للمعنويات، ومن ثم فقد كان لذلك أثره الكبير على معنويات جيش أبي يزيد حيث أدركوا بعد طول هذا الحصار والثورة وكأنهم لم يحققوا أي هدف يذكر ، ولم يستطيعوا دخول المهدية وهاهو جيش الفاطميين يطل عليهم بقوة ورباطة جأش، ولا نشك أن جيش أبي يزيد بعد ذلك كانت معنوياته تتراجع ويتأكد له استحالة اسقاط الدولة، وتحولت أهدافهم من النقيض إلى النقيض، من حصار كان يستهدف بالأساس إسقاط الدولة الفاطمية، إلى محاولة الحفاظ على الجيش والرجوع بأقل الخسائر والحفاظ على المكتسبات، خاصة في ظل الانشقاق الذي دب في جيش أبي يزيد نتيجة طول مدة المعارك والضغط الذي ينتاب جنوده دون تحقيق الهدف الأساس بالإضافة إلى التعامل الشرس الذي تعرض له العامة من قبل جيش أبي يزيد ونكوصه على عهوده مع المالكية وتركهم فريسة أمام جيش القائم من قبل، وأصبح في نظر المجتمع القيرواني وغيره أكثر بشاعة مما عانوه من قبل جيش الفاطميين، وصاروا يتمنون اندحاره وهزيمته، ومن ثم فقد انفصل عنه مجموعات من الجنود.

بينما في الطرف الثاني جيش الفاطميين تحول في ظل القيادة الجديدة من جيش كان ينتظر مصيره واستسلامه، وكل أمله أن تكون الخسائر قليلة وقد كانت العامة في المهدية قد أدركت هذا الجو المحبط في المهدية فهرب كثير منهم في المراكب إلى كل من الاسكندرية وصقلية وطرابلس وغيرها في إشارة واضحة إلى اليأس الذي أصابهم وشبه تأكدهم من سقوط المهدية وأن المسألة كانت مسألة وقت في نظرهم لا غير. أما في ظل القيادة الجديدة إسماعيل بن القائم فإن الجيش الفاطمي تحول إلى جيش آخر يتوق إلى الانتصار وهزم الخصم، واستخدام كل ما يملك وكل طاقاته في ذلك، وكأنه بعث من جديد وهو يرى الشرر يتطاير من الخليفة الجديد وهو يقود المعارك لنفسه.

ومن ثم فإننا أمام جيشين مختلفين في هذه المرحلة بين معسكر يتوق إلى الانتصار ولا يوجد في قاموسه غير ذلك، وبين معسكر يريد الحفاظ على أرواح جنوده ومكتسباته، وفكرة التراجع تملأ قاموسه.

ويمكننا أن نعتبر بأن وصول المنصور إلى الخلافة كان منعطفا حاسما في مصير هذا

الصراع، حتى قال القاضي عياض في ذلك:" وأطفا الله بالمنصور الفتنة، واستنقذ به الامة"[1]، حيث استطاع المنصور أن يحول موازين القوة العسكرية والتنظيمية والتخطيطي والمعنوية في صالح جيشه، وبدأت مرحلة جديدة لم يكن يتوقعها أبو يزيد حيث استخدم المنصور كل ما يمكن أن يكون إضافة في قوته، فاستنجد بقبيلة صنهاجة بزيري بن مناد، الذي كان قد استنجد به أبوه من قبل، وكثف من حربه وكان عزمه وإرادته صلبة وهمته عالية في صد وملاحقة جيش ابي يزيد إلى أن تفكك في الاخير وانحلت قواه بعد كر وفر.

ودامت هذه الخطوب بينهما حوالي 15 خمسة عشر شهرا إلى أن ظفر به يوم 25 محرم سنة 336هـ، ومات بعد أسره بأيام، فسلخه المنصور وحشى جلده قطنا وصلبه. وعاد المنصور إلى المهدية في رمضان سنة 336هـ.

ونظرا لهذا النصر الذي أعقب منحة كبيرة تعرضت لها الدولة الفاطمية فقد بنى المنصور مدينة بالقرب من القيروان وعلى بعد نصف ميل تقريبا منها سماها باسمه "**المنصورية**" وهي نفسها مدينة صبرة المتصلة بالقيروان وبناها في نفس المكان الذي انتصر فيه على صاحب الحمار.، وانتقل إليها وجعلها عاصمة دولته وترك الحاجب جوذر يقوم بإدارة المهدية..

وقام بعدها باسترجاع كل المناطق التي كانت تابعة لصاحب الحمار، كما استرجع الزاب وأوراس، وصقلية . بينما بقيت طنجة تابعة للناصر الأموي.

وعندما انتقض عامل المغرب على الشيعة ودعا إلى أمويي الاندلس توجه إليه المنصور في صفر سنة 36هـ، ووصل إلى سوق حمزة(البويرة حاليا)، وكان معه في هذه الوقائع زيري بن مناد لذي كان أثيرا جدا عند المنصور وخلع عليه الالقاب ، وجعله قائدا على كامل االمنطقة– حتى استعيدت تيهرت للفاطمي، ثم رجع المنصور إلى القيروان.

كما كانت للمنصور قلاقل مع أبناء صاحب الحمار كفضل بن أبي يزيد الذي حاصر باغاية مما جعل المنصور يتوجه إليه شخصيا ويدفعه خارجها، ثم رجع فضل إلى باغاية ولكن عاملها هناك غدر به فقتله وبعث برأسه إلى المنصور.

وفي سنة 340هـ جهز المنصور اسطولا بقيادة مولاه فرج الصقلي، وأمر الحسين بن علي بن ابي الحسين الكلبي عامله على صقلية بالتوجه معه لمنازلة ملك الافرنج الذي أرد أن يغزو المسلمين ونزلوا قلورية، والتقوا مع رجاء ملك الافرنج، وهوموه هزيمة منكرة وغنموا غنائم كثيرة[2].

ويمكن أن نلخص عهد المنصور في مهمة أساسية وهي انقاذ الدولة الفاطمية من هزيمة محققة،

---

[1] **افتتاح الدعوة، 334.**

[2] **ابن خلدون: العبر، ج4، ص 58. الكامل في التاريخ، ج7، ص 239.**

ومن سقوطها سقوطا مؤكدا من قبل ثورة صاحب الحمار، ويكفي المنصور هذا العمل الذي يعتبر بالنسبة للدولة الفاطمية تأسيس للدولة وبعد لها من جديد.

على أن هناك ملاحظة قمينة بالتدبر والانتباه وهي أن هذه الحرب التي دامت أكثر من 14 عاما كان وقودها ثلاثة قبائل بربرية وهي كتامة إلى جانب الفاطميين وزناتة مع أبي يزيد، ثم صنهاجة التي انضمت إلى معسكر الفاطميين، واستطاعت أن تكون إضافة أساسية للجيش الفاطمي وساهمت في قلب موازين المعركة إلى صالح الفاطميين.

وربما كانت قبيلة صنهاجة قد جاءت في ظرف تاريخي بالنسبة للدولة الفاطمية حيث كانت عونا أساسيا لها ومن ثم كان نصيبها وجزاؤها جزاءا موفورا عندما سلمها الفاطميون بعد ربع قرن من ذلك مقاليد الحكم في تونس وافريقية شهادة لها ومكافأة لها على ذلك الصنيع.

نتائج ثورة صاحب الحمار:

– تيقن الفاطميون أنهم مهددون في هذا المناخ الذي يكن لهم كرها مذهبيا شديدا ترسخ من أعمال الشيعة الذين تجرؤا على محاولة النيل من المذهب المالكي ومن فقهائه بالقتل والتشريد، مع ما كانوا يعلنونه من سب الصحابة ، ومنع الناس من صلاة التراويح وغيرها.

لقد استغلت هذه الاعمال الظاهرة التي كان الشيعة يحاولون من خلالها أن يغيروا بها نمط الثقافة المغاربية ، ولاشك ان هذه الاعمال ساهمت في تسريع أية عملية تكتل ضد الفاطميين، فقد كان المغاربة مهيئين إلى التعاون مع أية ثورة ضد الهيمنة الشيعية.

–إن النجاح الذي احرزه المنصور بعد 14 سنة من بداية هذه الثورة أكد له ترسخ المذهب السني في بلاد المغرب، وألزمه في التفكير الجدي في إيجاد مناطق نفوذ متشبعة بالمد الشيعي ومتعاطفة معهم، وكانت الدعاية الاسماعيلية تعمل عملها في مصر. ومن ثم فإن الاختيار سيكون في عهده وقد تشربه الابن المعز لدين الله الفاطمي الذي قرر التحول الجذري والنهائي إلى مصر.

وفاته: في رمضان من سنة 341هـ خرج من مدينته المنصورية للتنزه بمدينة جلولاء (تبعد عن القيروان حوالي 24 ميلا)، فأمطر الله عليهم البَرَد، وسلط عليهم ريحا عظيمة، وكثر الثلج، فرجع منها إلى المنصورية ، فاشتد عليه البرد وضعف جسمه، ومات أكثر من معه، ووصل إلى المنصورية فاعتل جسمه، ومات آخر شوال يوم الجمعة سنة 341هـ.

وحكى ابن خلكان[1] سبب وفاته بأنه لما حل بالمنصورية بعد عودته من جلولاء، أراد أن يدخل

---

[1] نفس الرواية في المقريزي: اتعاظ، ج1، ص 90. الذي أضاف بأن المنصور في علته هذه طلب طبيبا من القيروان فأحضر إليه طبيب شاب هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد ابن الجزار القيرواني. انظر كذلك الكامل في التاريخ، ج7، ص 241–242.

الحمام فنهاه طبيبه إسحاق بن سليمان الاسرائيلي[1] المكنى بأبي يعقوب[(2)]– الذي أقبل إلى القيروان سنة 292هـ/ 904م في زمن زيادة الله بن الأغلب– ولكنه تمادى ومات ودفن بالمهدية بعد أن طلب طبيبا آخر وهو ابن الجزار [(3)] القيرواني[4].

---

[1] أبو يعقوب إسحاق بن سليمان الاسرائيلي أصله من مصر، واستدعي من قبل زيادة الله بن الأغلب (290–296هـ) ليكون ضمن أطباء بلاطه، وكان في أول تطبيبه كحالا ثم سكن القيروان ولازم إسحاق بن عمران وتتلمذ عليه في الطب، ثم صار طبيب عبيد الله المهدي وخلفاءه من العبيديين، له مؤلفات طبية مثل كتاب الحميات، وكتاب الاغذية والادوية، وكتاب البول وكتاب الاسطقسات، انظر أبن ابي اصيبعة: عيون الانباء، ص 479–480.

[(2)] انظر ترجمته في، ابن جلجل: مص.س، 87. ابن ابي اصيبعة، مص.س، ص 479،. صاعد: مص.س، ص 81. ابن فضل الله العمري: مص.س، ج9، ص 313.

[(3)] انظر ترجمته في، ابن جلجل: طبقات الأطباء، ص 88–90. صاعد: طبقات الأمم، ص . ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص 481–482. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص237. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج9، ص314–315. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج1، ص 187. الذهبي شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1424هـ/2003م، ج9، ص 616، ترجمة رقم 3346. إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، دار إحياء التراث العربي عن طبعة استنانبول 1951م، بيروت، لبنان، ج1، ص70. انظر ترجمة ضافية في، ابن الجزار: سياسة الصبيان وتدبيرهم، تحقيق، محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1404هـ/1984م، مقدمة المحقق. أحمد أمين: ظهر الإسلام دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، بلاتا، ج1، ص 301. Leclerc Lucien :Histoire de la médecine Arabe,Paris 1876, Rabat 1980 ,T1, P413–416 .

[4] الف الطبيب ابن الجزار (395هـ) ثلاثة كتب تاريخية وهي :كتاب مغازي افريقية. وكتاب أخبار الدولة(العبيدية). كتاب التعريف بصحيح التاريخ. ويقال بأنه ألف كتاب طبقات القضاة، وكتاب عجائب البلدان انظر ترجمته في، انظر ترجمته في، ابن جلجل: طبقات الأطباء، ص 88–90. صاعد: طبقات الأمم، ص . ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص 481–482. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص237. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج9، ص314–315. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج1، ص 187. الذهبي شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1424هـ/2003م، ج9، ص 616، ترجمة رقم 3346. السيوطي: البغية ص 117. اتعاظ الحنفاء، ج1، ص90. إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، دار إحياء التراث العربي عن طبعة استنانبول 1951م، بيروت، لبنان، ج1، ص70. انظر ترجمة ضافية في، ابن الجزار: سياسة الصبيان وتدبيرهم، تحقيق، محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1404هـ/1984م، مقدمة المحقق. أحمد أمين: ظهر الإسلام دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، بلاتا، ج1، ص 301. الحلل السندسية ج1، ص 707 . بروكلمان: تاريخ الادب العربي، ج1، ص 237–274. روجي هادي ادريس: الدولة الصنهاجية، ج1، ص 13. Leclerc Lucien :Histoire de la médecine Arabe,Paris 1876, Rabat 1980 ,T1, P413–416 .

5-4- المعز لدين الله الفاطمي(341-365)[1]:

هو أبو تميم مَعَدّ بن المنصور إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن المهدي عبيد الله العبيدي الفاطمي الملقب بالمعز لدين الله ، ولد بالمهدية في يوم الجمعة 11 رمضان سنة 319هـ، وبويع بالخلافة في يوم الجمعة 29 شوال سنة 341هـ ، ويقال بأنه جددت له البيعة في 7 ذي الحجة سنة 341هـ. وتوفي المعز في يوم الجمعة 11 ربيع الآخر سنة 365هـ بالقاهرة المعزية.

- حملاته:

- قام بنفسه ببسط سيطرته الكاملة على إفريقية (تونس)، واستطاع أن ينقاد له العصاة منها ودخلوا في طاعته.

- عين وعقد لعماله من غلمانه وأتباعه على مختلف الأقاليم، وبعث مع كل عامل له جمعا كبيرا من أرباب الجيش والسلاح، في إشارة إلى أنه عهد جديد تتم فيه عزة الدولة بالقوة والسطوة.

- أمر عامله على صقلية الحسين بن علي أن يسير بأسطوله سنة 344هـ نحو سواحل المرية بالأندلس ضد الناصر الأموي فعاثوا فيها بالسلب والنهب والسبي، ودمروا دار صناعة السفن[2]، وكان ذلك بسبب ما قام به أهل مركب الناصر من تعد على مركب للفاطميين جاء برسالة من صقلية إلى المعز، فأخذوا كل مافيه.

وفي نفس السنة وردا على ذلك أرسل الناصر الأموي أسطوله إلى إفريقية واستطاع هذا الاسطول أن يصل إلى سوسة في عمق الدولة الفاطمية، واستطاعوا أن يتغلغلوا في المرة الثانية في عمق الدولة الفاطمية تحديا منهم للمعز الفاطمي، وان ينهبوا، ثم بعد ذلك رجعوا إلى الأندلس[3]، وهذا هو نص ابن خلدون الذي يوضح ذلك مما لايوجد في مصادر الشيعة يقول ابن خلدون:" وبعث(المعز لدين الله الفاطمي) إلى الحسين بن علي عامل صقلية سنة أربع وأربعين وأن يخرجه بأسطوله إلى ساحل المرية من بلاد الأندلس، فعاث فيه، وغنم وسبى ورجع، فأخرج الناصر صاحب الأندلس أسطوله إلى سواحل إفريقية

---

[1] انظر ترجمة له ضافية في، القاضي النعمان: كتاب افتتاح الدعوة، ص 335 . المجالس والمسايرات، ص .الداعي إدريس: عيون الاخبار، ص . ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص 224- 228، ترجمة رقم 727. ابن عذاري: البيان، ج1، ص . ابن خلدون: العبر ، ج4، ص58 . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج4، ص 74- 116. المقريزي: المقفى الكبير ، ج2، ص 129 ترجمة ضافية وهامة جدا . اتعاظ الحنفاء ، ج1، ص

[2] افتتاح الدعوة، ص 336، ينتهي كتاب افتتاح الدعة سنة 346هـ. الكامل في التاريخ، ج7،ص 254. ابن خلدون: العبر، ج4، ص 59.

[3] الكامل في التاريخ، ج7،ص 254 الغريب أن هذا الحادث الذي يؤرخ لحملة بحرية من قبل الناصر الاموي ضد المعز الفاطمي في افريقية ذكرها ابن الاثير ولكن افتتاح الدعوة لم يتناوله البتة.
انظر عن هذه الحادثة كذلك، ابن خلدون: العبر(زكار)، ج4ن ص .

مع غالب مولاه فمنعتهم العساكر وأقلعوا. ثم عاودوا سنة خمس وأربعين في سبعين مركبا فأحرقوا مرسى الخزر وعاثوا في جهات سوسة ، ثم في نواحي طبرنة ورجعوا"[1].

– جهز أحد أهم قادته وهو جوهر الصقلي[2]، وأمده بجيش كثيف وبكل أنواع السلاح، وذلك للاستيلاء على ما استعصى عليه من بلاد المغرب، فسار إلى أن وصل مدينة فاس فاستولى عليها سنة 347هـ أو 348هـ[3]/ وقد اقتحمها القائد زيري بن مناد الصنهاجي[4](مؤسس مدينة أشير)، الذي كان صنو جوهر في القيادة بعد ان كان قد استولى على مدينة سجلماسة وفتحها كذلك واستمر في بسط سلطته إلى أن وصل إلى البحر المحيط(المحيط الاطلسي)، حيث اصطاد سمكا وجعله في قلال الماء وبعث به إلى الخليفة المعز دليلا على نجاح حملته ووصوله إلى نهاية المغرب. ثم بعد ذلك رجع إلى المعز ومعه اسيرين في قفص من حديد وهما صاحبي فاس وسجلماسة[5].

واستطاع جعفر الصقلي أن يقهر كل المنطقة الممتدة من الغرب من المحيط الاطلسي إلى الشرق في حدود مصر، وأصبحت كل هذه المناطق تابعة إلى الدولة الفاطمية، والخطبة فيها إليه .

إلا ما كان من مدينة سبتة الساحلية فإنها بقيت تابعة للدولة الاموية في عهد عبد الرحمن الناصر بالأندلس، بينما مدينة فاس كانت بين مد وجزر بين النفوذ الفاطمي والأموي الأندلسي.

كان عامله على أشير زيري بن مناد الذي أقره عليها ويعتبر من أكابر قادته.

حملته إلى مصر:

تعتبر هذه الحملة الرابعة منذ تأسيس الدولة الفاطمية، إذ بعد وفاة كافور الاخشيدي صاحب مصر، دعا المعز قائده جوهرا ، وأمره بأن يتجهز لغزو مصر، وأمده بالجيش والسلاح والأموال. وخرج جوهر أولا باتجاه المغرب لإصلاح أموره ، وجمع معه قبائل العرب الذين يتوجه بهم إلى مصر، وقام

---

[1] العبر، ج4، ص 59. أما ابن الاثير في الكامل في التاريخ فإنه يتحدث عن حملة الناصر ولكن يجعلها فاشلة بل وقد قتل من جيشه الكثير

وباستقراء مجمل النصوص التي أرخ بها ابن الاثير للدولة الفاطمية في بلاد المغرب نشعر بأنه كان متعاطفا بشكل كبير مع هذه الدولة فبالاضافة إلى تعقيبه على بعض خلفاء الفاكميين بعبارة "عليه السلام"، فإنه يذكر تاريخ هؤلاء الخلفاء وكأنهم في عصر الخلفاء الراشدين فلا يتحدث إلا بعبارات فيها المدح وبعيدة عن كل قدح.

أما الذهبي في كتابه تاريخ الاسلام ، فإنه على عكس ذلك ، لايفتأ يذكر خلفاء الفاطميين في المغرب بأشنع الاوصاف بعبارة" لعنه الله"، ويشير إلى كل الاحوال التي تعبر عن تصوير الوضع بالكارثي.

[2] عن جوهر الصقلي وحركته إلى مصر انظر، ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج1، ص 375 ترجمة رقم 145. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج4، 29 – 73.

[3] ابن الاثير : الكامل ، ج7ن ص 262.

[4] انظر ترجمته في ، ابن جلكان: وفيات الاعيان، ج2، ص343، ترجمة رقم 250.

[5] انظر، ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج7، ص 261–262.

بالجباية في بلاد المغرب فكانت تقدر بخمسمائة ألف دينار.

وعاد جوهر من هذه الحملة التي تعتبر حملة تأمينية وتمويهية وتموينية وتجهيزية حيث عاد بالرجال والأموال، وذلك في 27 محرم 358هـ/[1].

أمر المعز إلى عمال برقة بحفر الآبار في طريقها سنة 355هـ، وخرج المعز إلى مدينة المهدية واستخرج من مستودعاتها خمس مائة حمل دنانير ومن الأموال، ثم رجع إلى قصره بالمنصورية[2].

أمر المعز جوهر الصقلي بالخروج إلى مصر حيث كان معه أنواع القبائل العربية والبربرية، وأنفق المعز على جيش الحملة أموالا طائلة، حتى أعطى من ألف دينار إلى عشرين دينار حسب رتبة وأهمية الجند[3]، وتصرفوا بشراء لوازمهم من القيروان وصبرة(المنصورية)، وتوجه الجيش ومعه ألف حمل من المال والسلاح، ومن الخيل والعُدَدِ ما لا يوصف .

وثمة ملاحظة يجب التنبه إليها وهي أن هذه الاموال التي سيرت من قبل المعز في حمل جوهر كانت لازمة نظرا للأزمة الاقتصادية التي تعرضت لها مصر في هذه السنة 358هـ، حيث كانت تعاني غلاء فاحشا وانتشارا كبيرا للوباء حيث مات بها نحو ستمائة ألف إنسان[4].

كان مع جوهر الصقلي قائد من أبرز القادة الفاطميين وهو أبو علي جعفر بن فلاح الكتامي[5] .

قدم جوهر الصقلي إلى مصر منتصف شعبان سنة 358هـ فدخلها وخطب في الجامع العتيق منه باسم المعز، وفي جمادى الأولى سنة 359هـ دخل جوهر مسجد ابن طولون فصلى فيه وأمر بزيادة " حي على خير العمل"، ثم بعث للمعز بالهدايا وبأعيان من دولة الاخشيدية فحبسهم المعز بالمهدية، وأحسن إلى القضاة والعلماء وردهم إلى مصر[6]. وشرع جوهر في بناء القاهرة، واستحث المعز للقدوم.

عندما توجه المعز إلى مصر في 22 شوال سنة361هـ بعد أن استخلف بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي على إفريقية[7]، وكانت وجهته في طريقه إلى مصر نحو جزيرة سردانية ليجتمع بخاصته ويحضر نفسه إلى مصر وفي خامس صفر من سنة 362هـ ، أكمل طريقه مارا ببرقة- وقد وجد بها شاعره ابن هانئ الأندلسي مقتولا ت362هـ- ووصل إلى مدينة الاسكندرية في 24 شعبان سنة 362هـ.

---

[1] وفيات ج5، ص 226.

[2] وفيات ، ج5، ص 226.

[3] وفيات ، ج5، ص 226.

[4] وفيات الاعيان، ج5، ص 226.

[5] انظر ترجمته في وفيات الاعيان ، ج1، 361. والحلة السيراء ج1، ص 304، واتعاظ الحنفاء ج1، ص . البيان المغرب، ج1.231 ، ص

[6] ابن خلدون : العبر، ج4، ص 61.

[7] وفيات الاعيان، ج5، ص 226. النجوم الزاهرة ج4، ص 76.

وقدم عليه قاضي مصر أبو طاهر محمد بن أحمد، وأعيان البلد، وقدموا فروض الطاعة.

وكان من خطابه فيهم أنه لم يأت لزيادة ملكه وماله، وإنما لاقامة الحق والحج والجهاد[1]، وأن يختم عمره بالأعمال الصالحة.

وفي يوم الجمعة 17 محرم سنة 364هـ عزل المعز قائده جوهرا عن دواوين مصر(الاسكندرية وأحوازها) وجباية أموالها، والنظر في سائر أمورها. وتوفي المعز في يوم الجمعة 11 ربيع الآخر سنة 365هـ بالقاهرة .

5- دولة بني زيري بالمغرب الادنى(361-555)هـ:

-بلكين بن زيري(361-373)هـ:

لما رحل المعز لدين الله الفاطمي عن بلاد المغرب نحو مصر ترك خليفته بها بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي، وهو فهو أبو الفتوح سيف الدولة يوسف مؤسس الامارة الصنهاجية (الزيرية) كان في بدء أمره من قواد المعز وأبلى في إخضاع زناتة بلاء حسنا، ولما أراد المعز الانتقال إلى مصر ولاه إفريقية في 23 من ذي الحجة سنة 361هـ ما عدا صقلية وطرابلس الغرب، فكانت الأولى للكلبيين والثانية للكتاميين، وسماه يوسف بدلا من بُلُكِّين(بضم الباء واللام، وتشديد الكاف المكسورة) وكناه أبا الفتوح، ولقبه سيف الدولة أو سيف العزيز بالله (هو الذي أسس أو استكمل بناء المدن الثلاث وهي الجزائر وملیانة والمدية بإشارة من ابيه زيري الذي توفي في ميدان المعركة ضد الزناتيين سنة 360هـ وكان لزيري بن مناد أولاد يربو عددهم على المائة، وعندما توفي زيري إنتقلت قيادة صنهاجة إلى إبنه بلكين). وأمر الناس بالسمع والطاعة له، وسلم إليه البلاد، وخرجت العمال وجباة الأموال باسمه[2]، وأوصاه المعز بأشياء كثيرة ، وعزم عليه في ثلاثة خصها وقال له:" إن نسيت ما أوصيتك به فلا تنس ثلاثة أشياء: إياك أن ترفع الجباية على أهل البادية، والسيف عن البربر، ولا تول أحدا من إخوتك، وبني عمك فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك، وافعل مع أهل الحاضرة خيرا"، وبقي حسن السيرة في دولته إلى أن توفاه الله في 23 ذي الحجة 373هـ بمدينة واركلان "[3].

ويمكننا قراءة استخلاف صنهاجة على افريقية من زاوية أن كتامة كانت مع المعز لدين الله الفاطمي في مصر وهي من أسست القاهرة وأن كبارها وقوادها وشيوخها الكبار أصبحوا من أسس الدولة الفاطمية في مصر، ومن ثم فإن أهم قبيلة يمكن أن تكون خليفة الفاطميين في افريقية كانت صنهاجة زيري.

ويمكننا أن نتصور بأن المعز لدين الله الفاطمي كان يعي جيدا تلك الهالة التي كانت تتمتع بها

---

[1] وفيات الاعيان، ج5، ص 227.

[2] وفيات الاعيان، ج1، ص 286. ابن خلدون: العبر، ج4، ص 63.

[3] وفيات الاعيان نفسه ج1، ص 286.

كتامة في البنية السياسية للفاطميين وان الفاطميين كانوا مدينين لكتامة بقيام الدولة واستمرارها ، وكان هذا عبئا كبيرا على الدولة الفاطمية التي تريد التخلص من هذا الثقل الذي تحمله ، فكان استخلاف صنهاجة في افريقية جزءا من إبعاد كتامة عن مقاليد الحكم وبمرور الزمن تم إبعاد العناصر الكتامية تدريجيا حتى صارت الدولة الفاطمية خالصة دون القوة الكتامية، والنفوذ الكتامي.

-**ابو الفتح المنصور بن بلكين(373-386)هـ**[1] : ظهرت في عهد ثورات استطاع ان يقمعها.

-**باديس بن ابي الفتح المنصور (386-406)هـ:** لم يتجاوز سنه 12 سنة عند توليته لافريقيا والمغرب الاوسط، فأقر عمه يطوفت على على ولاية تاهرت، وعمه حماد على ولاية أشير ، ثم جرت بين الاعمام وابناء العمومة حروب ضارية انتهت استقوى حماد من خلالها بعد مقارعته لزناتة، وبنى قلعة حماد في نواحي مسيلة، وشيد قصورها في حوالي سنة 398هـ، واستقل عن باديس سنة 405هـ وأعلن نبذه للفاطميين ودعا للخلفاء العباسيين، وتوجه باديس إليه في جيش كبير وهزمه حتى احتمى بالقلعة، توفي باديس بعد ذلك بسنة واحدة سنة 406هـ.

-**المعز بن باديس(406-):** بويع في المهدية وهو ابن ثمان سنين، وآثر الصلح مع حماد على شروط ووضعت الحرب اوزارها بين العم وابن اخيه.

ولعل أهم ظاهرة كانت في إمارة المعز بن باديس إعلانه الانفصال التام عن المذهب الشيعي الاسماعيلي، ورجوعه إلى المذهب السني ، فقد تربى على يدي وزيره أبي الحسن بن أبي الرجال فعلمه وادبه ودله على مذهب الامام مالك بن انس وعلى السنة والجماعة، وكل ذلك كان في الخفاء، فلما اعتلى الامارة أظهر ذلك، ولما علمت العامة وضعوا السيوف في الشيعة وقتل منهم أزيد من ثلاثة آلاف [2] ، وفي سنة 440هـ[3] او 443هـ اعلن انفصاله النهائي عن العبيديين، وقطع الخطبة للخليفة الفاطمي المستنصر، ودعا للعباس بن عبد المطلب، وأمر بإعادة سك النقود باسمه ومحو كل آثار منها للفاطميين.

وحاول المستنصر الفاطمي أن ينتقم من المعز بن باديس عن طريق غزو عرب الهلالية وبني سليم لبلاد المغرب، فوصلوا إليها سنة 443هـ كالجراد المنتشر[4]، واستطاعت هذه الجموع أن تهزم جيش المعز لاستهانته بها، ودخلوا مدينة القيروان وانتهبوها، وانحسرت دولة صنهاجة إلى الساحل[5]، وأقام المعز بالمهدية إلى وفاته سنة 454هـ.

---

[1] **انظر عن كل هؤلاء الامراء، ابن خلدون: العبر، ج6، ص 205-214.**

[2] **ابن عذاري: البيان، ج1، ص 274. ابن خلدون: العبر، ج6، ص 211.**

[3] **ابن خلدون ج6، ص 211.**

[4] **ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص 20.**

[5] **نفسه، ج6، ص**

- ثم انتقلت الامارة إلى الامراء الذين كانوا لايستطيعون سبيلاوهم: تميم بن المعز بن باديس(ت 502هـ)، ثم غلى ابنه يحيى بن تميم(ت 509هـ)، ثم علي بن يحيى بن تميم(ت 515هـ) ، ثم ابنه الحسن بن علي(ت 563هـ) آخر أمراء الدولة الزيرية حيث استولى الملك روجار في حملة صليبية على المهدية سنة 543هـ، وانتهت الدولة الصنهاجية في سنة الاخماس 555هـ بتحرير المهدية من قبل الدولة الموحدي.

7- دولة بني حماد بالمغرب الاوسط[1]:

امراؤها:

-حماد بن بلكين بن زيري(405-419)هـ: هو الذي بنى القلعة سنة 398هـ واعلن استقلاله عن الدولة الزيرية سنة 405هـ، واضحت القلعة عاصمة علمية وحضارية بامتياز خاصة بعدما دمرت القيروان فاستقبل علماؤها في القلعة ووسع عليهم، وساهموا في المنظومة العلمية القلعية، وتوفي حماد سنة 419هـ.

- **القائد ابن حماد(419-446)هـ:** سار على نهج أبيه في الخروج على طاعة الفاطميين.

-محسن بن القائد(446هـ): قتل من قبل عمه بلكين بن محمد بن حماد في نفس السنة.

-بلكين بن محمد بن حماد: كان سفاكا للدماء، وقارع المرابطين واستولى على فاس سنة 454هـ ثم عاد إلى القلعة، وقتل على يد الناصر بن علناس.

الناصر بن علناس(- 481)هـ : وهو الذي بنى مدينة بجاية وسماها الناصرية، وأصبحت عاصمة للدولة الحمادية وانتقل إليها سنة هـ461، وبنى بها القصور وصارت من أهم عواصم وحواضر المغرب الاوسط

المنصور بن الناصر(481- 498)هـ : عرف هو الآخر باهتمام الكبير بالبناء وتشييد القصور.

باديس بن المنصور(498هـ): توفي في نفس السنة.

العزيز بن المنصور أخ السابق(): في عهد هاجم الهلاليون قلعة بني حماد، واكتسحوها، وسيطروا على أحوازها.

يحيى بن العزيز (515-547): اهتم يحيى باموره الخاصة بين العبيد والمضحكين وفي عهده اكتسحت الدولة الموحدية بجاية واستولوا على قلعة بني حماد وسقطت دولة الحماديين، سنة 547هـ.

---

[1] **انظر تفاصيلها في ، ابن خلدون: العبر، ج6،ص 227-236.**

معالم من حضارة الدولة الحمادية:

من الضروري بداية التذكير والتنويه بتلك الحركة العلمية التي شهدتها مدينة القلعة عندما كانت قاعدة للدولة الحمادية خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، مستفيدة من التوجه العلمي **لحماد الذي "قرأ الفقه بالقيروان، ونظر في الجدل، وكان من أكمل الملوك"**[1]، ومن الوفود العلمية المختلفة وخاصة القيروانية[2]، وكذلك من الجوار الجغرافي والثقافي لمدينة المسيلة[3]. واستطاعت بعد تلك النقلة الاقتصادية والعمرانية التي لازمت تطور هذه المدينة[4] وفي ظرف قصير، أن تكون محط أنظار العالم الإسلامي مشرقه ومغربه[5].

وقد نوه البكري (ت487هـ) بما وصلت إليه مدينة القلعة فقال عنها بأنها كانت :" مقصد التجار، وبها تَحُلُّ الرجال من العراق والحجاز ومصر والشام، وسائر بلاد المغرب"[6]. ولم تصل المدينة إلى هذا المستوى إلا بعد الذي حققته من الرخاء الاقتصادي والتشييد العمراني. وقد لخص الإدريسي(القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي) ذلك بقوله:" ومدينة القلعة من أكبر البلاد قطرا، وأكثرها خلقا، وأغزرها خيرا، وأوسعها أموالا ومساكن، وأعمها فواكه وخصبا، وحنطتها رخيصة، ولحومها طيبة سمينة"[7].

وفي ظل هذه الظروف تمتعت مدينة القلعة من جانب آخر بوفور العلم، وكثرة العلماء محليين ووافدين، حتى غدت من أهم المراكز العلمية، حيث استقطبت إليها أنظار الطبقة المثقفة من المشرق والمغرب، وثمَّن ابن خلدون نشاطها العلمي بقوله:" فاتسعت القلعة بالتمدن، ورحل إليها من الثغور القاصية والبلد البعيد طلاب العلوم، وأرباب الصنائع، لنفاق أسواق المعارف والحرف والصنائع بها"[8].

---

(1) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج2، ص322، 328.

(2) البكري: المسالك والممالك، ج 2، ص 226. ابن خلدون: مص.س، ج6، ص202.

(3) بنيت مدينة المسيلة سنة 313هـ/ 924م على يدي علي بن حمدون الجذامي بأمر من أبي عبد الله المهدي، وسماها المحمدية، انظر، ابن عذاري: البيان، ج1، ص 190. انظر عن بعض علماء المسيلة، القاضي عياض: الغنية، تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1402هـ/1982م، ص 27.

(4) محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1422هـ/ 2002م، ج1، ص255. ابن خلدون: مص.س، ج 6 ص 202. محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق أحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2 1400هـ/1980م، ص469.

(5) ابن خلدون: العبر، ج6، ص202. البكري: المسالك والممالك، ج 2، ص 226.

(6) البكري: مص.س، ج2، ص 226.

(7) الإدريسي: مص.س، ج2، ص 255.

(8) ابن خلدون: مص.س، ج6، ص 202.

وكانت العلوم العقلية قد أكدت حضورها هي الأخرى في هذه المدينة، وظهرت آثارها في بعض المنجزات الهندسية الضخمة، ممثلة في بناءات القصور[1]، والأحواض الكبيرة، وجلب المياه من الأماكن البعيدة، وما يستلزم ذلك من المهندسين، والخبراء في الهندسة المدنية، وعلوم السوائل، ومن العلماء في الحساب، والهندسة.

ولعل الوصف الذي تركه لنا صاحب الاستبصار (من علماء القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي) ما يفيد بأنها كانت على جانب كبير من التحضر العلمي، والتألق العمراني، حيث قال:" ولبني حماد بالقلعة مبان عظيمة، وقصور منيعة، متقنة البناء، عالية السناء، منها قصر يسمى **بدار البحر**، وقد وضع في وسطه صهريج عظيم تلعب فيه الزوارق، يدخله ماء كثير من ماء مجلوب على بعد، وهذا القصر مشرف على نهر كبير، وفيه من الرخام والسواري ما يقصر عنه الوصف، وفيه قصور غير هذا ومبان عجيبة" [2].

كما ظهرت كذلك في شكل الدراسات والأبحاث الطبية، والدراسات الصيدلانية التي ساهمت في تلبية حاجيات محلية، ومعالجة مشكلات خاصة بالمنطقة، على غرار البحوث الطبية التي استهدفت

---

(1) عبد الحليم عويس: دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرةن ط2، 1411هـ/1991م، ص276. طويل الطاهر: المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط، مطابع حسناوي، 1430هـ/2009م، ص 289-294.

(2) مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، بلا تاريخ، ص 168. وذكر التيجاني في رحلته (رحلته بين 706-708هـ) من المباني الأنيقة في القلعة: قصر المنار، وقصر العروسين، انظر، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التيجاني: رحلة التيجاني، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، المطبعة الرسمية، تونس 1378هـ/1958م، ص 115-116.

انظر كذلك، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج2، ص 322، 329، وكذلك، ج2، ص 332 فيما نقله ابن الخطيب عن أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد الصنهاجي صاحب "النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة" (توفي ببجاية سنة 628هـ/ 1230م) في مراثيه لمدينة القلعة بقوله:

أين العروسَين لا رســـمٌ ولا طـــللٌ* فانظر ترى ليس إلا السَّهلُ والجَبَلُ**
وقَصْرُ بلاَّرَة أضْوْدَى الزَّمـــــانُ بِهِ * فأيْنَ ما شَاد منْهَا السَّـــادةُ الأُوَلُ**
قَصْرُ الخِلاَفَةِ أَيْنَ القَصْرُ من خرب* غَيْرُ اللُّجَيْنِ فِي أَرْجَابِـــها زُحَـــلُ**
.....
وَمَا رَوَى الكَوْكَب العُلْوِيّ مُعتَصـــمِ* وَقَدْ عَرَى الكَوْكَب التَّغْيِـــير والنَّدَل**
وقَدْ عفَا قصْـر حمَّـــادَ فليْسَ لـهُ* رَسْـــــمٌ وَلَا أَثَرٌ بَاِق وَلَا طَـــلَـــلٌ**
.....
وما رسْمُ المنَـــــــار الآنَ مَاثِلَةٌ * لكنَّهَا خَبَرٌ يَجْـــــرِي بِهَـــا الْمَثَلُ**

الحصول على عقار لسعات العقارب التي كان منتشرة بكثافة في هذه المدينة، بحيث توصلت النتائج إلى تحضير دواء يكفي شرب مقدار درهمين منه ليعطي للجسم مناعة ضد مفعول سم العقارب مدة عام كامل[1].

ولئن كان التراجع الذي لحق مدينة القلعة سمة بارزة بعد انتقال عاصمة الحماديين إلى وريثتها بجاية[2]، فإنها حافظت– ولفترة ليست بالقصيرة – على استمرارية بعض أوجه النشاط العلمي، وساهمت في إمداد بجاية وغيرها من مدن الأندلس والمغرب[3] بمجهود علمائها العقليين، ولم تفقد أهميتها إلا بعد أن دهمها الموحدون سنة 547هـ[4].

– النهضة العلمية ببجاية:

تعود الحركة العلمية التي ميزت مدينة بجاية[5] – وريثة القلعة – وتحول مركز الثقل العلمي والموروث الحضاري من مدينة القلعة نحوها إلى اتخاذها عاصمة للحماديين منذ بنائها سنة 460هـ[6] لدواع أمنية واقتصادية[7] على يد الناصر بن علناس(454–481هـ)،وتحوله إليها سنة 461هـ، وسماها الناصرية[8]، في غياب ابنه المنصور الذي استمر بالقلعة إلى ما بعد وفاة والده سنة 481هـ، ليستقر بها نهائيا سنة 483هـ.

كما يرجع الفضل في التمكين لمدينة بجاية وتألقها حضاريا **للناصر بن علناس** الذي كان يطمح

---

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص255. الحميري: الروض المعطار، ص 469. والعقار هو نبات الفوليون الحراني، وهذا النبات ربما يكون هو نبات "الشيح الجبلي" المشهور بالمنطقة، حيث نبه إليه يوسف بن عمر بن علي بن رسول الغساني التركماني(ت694هـ/1294م) في كتابه المعتمد في الأدوية المفردة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 1421هـ/2000م، ص 200 بقوله:"والشيح الجبلي يسمى أفليون، وهو مر،... وهو ينفع من لسع العقارب والرتيلاء ومن السموم ، وقدر ما يؤخذ منه إلى مثقالين....".

(2) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص261. الحميري: الروض المعطار، ص 81. أبو رزاق: الأدب في عصر دولة بني حماد، ص 140. عمارة علاوة: دراسات في التاريخ الوسيط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1429هـ/ 2008م، ص 117.

(3) ابن الأبار: التكملة، ج2، ص 158.

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج11، ص 160. ابن خلدون: العبر، ج6، ص 210، 279.
وثمة إشارات كثيرة على أن القلعة بقيت بها شذرات علمية، انظر ابن الزبير أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي: كتاب صلة الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، وسعيد اعراب، مطبعة فضالة، المغرب، 1414هـ/1994م، ج3، ص 30. عمارة علاوة: مر.س، ص 92.

(5) عن تحقيق اسم مدينة بجاية انظر، القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص109.

(6) ابن خلدون: العبر، ج6، ص 206.

(7) مجهول: الاستبصار، ص 128–129. النويري: نهاية الأرب، ج24، ص 124–125.

(8) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج2، ص 333.

أن تكون عاصمته الجديدة مدينة تربو على عاصمة بني باديس بالمهدية[1]، وتضاهي الحواضر الإسلامية الكبرى، ومن ثم بدأ يتألق في عمارتها وفي تيسير سبل الإقامة بها[2]، للعلماء، والتجار، والفئات الفاعلة في الاقتصاد، والثقافة.

وبدأت تظهر المعالم البيِّنة للسياسة الحمادية في المنشآت الملوكية التي ازدانت بها بجاية وصارت حديث العام والخاص، مثل قصر اللؤلؤة الذي وصفه ابن خلدون بأنه "من أعجب قصور الدنيا"[3].

وعندما آل الأمر إلى ابنه **المنصور**(481-498هـ) استمرت المدينة على ذلك وزادها من اهتمامه، فأنشأ بها القصور المنيفة، والآثار العظيمة[4]، حتى غدت من أهم المراكز العلمية في الغرب الإسلامي، تعج بالحركة العلمية والعمران[5].

وينبغي إيراد ما كتبه الإدريسي واصفا تلك النقلة النوعية التي حققتها مدينة بجاية الحمادية في شقيها الاقتصادي والثقافي، وملخصا ما وصلت إليه بقوله:" ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب الأوسط، وعين بلاد بني حماد، والسفن إليها مقلعة، وبها القوافل منحطة، والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة، والبضائع بها نافقة، وأهلها مياسير تجار، وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد، وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق، وبها تحل الشدود، وتباع البضائع بالأموال المقنطرة، ولها بواد ومزارع، والحنطة والشعير بها موجودان كثيران، والتين وسائر الفواكه منها ما يكفي لكثير من البلاد، وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والحرابي لان الخشب في جبالها وأوديتها كثير موجود، ويجلب اليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة والقطران، وبها معادن الحديد الطيب موجودة وممكنة، وبها من الصناعات كل غريبة ولطيفة"[6].

هذا المناخ العلمي والاقتصادي المتميز كان وراء استقطاب بجاية لعدد موفور من علماء مدينة القلعة[7] الذين كانوا يؤمون العلوم بها، ومن علماء الأندلس الذين تقاطروا عليها[8]، وغيرها من المدن

---

(1) ابن خلدون: مص.س، ج6، ص 206.

(2) نفسه، ج6، ص 206.

(3) نفسه، ج6، ص 206.

(4) ابن الخطيب: مص.س، ج2، ص 333.

(5) ابن خلدون: مص.س، ج 6 ص 206-207.

(6) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1 ص 260. مجهول: الاستبصار، ص128-131.

(7) الادريسي: مص.س، ج1، ص 261.

(8) على سبيل المثال، العالم عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد بن إبراهيم الأزدي الإشبيلين الذي رحل إلى بجاية وتخيرها وطنا، وألف فيها التآليف الجليلة، واشتهرت كتبه في المشرق، ووقع النقل منها، انظر، الغربيني: عنوان الدراية، ص 42- 43. وكذلك الطبيب ابن اندراس، وغيره، ص 53-54.

المغاربية وحتى المشرقية، وامتد ذلك إلى القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي[1]. ويمكننا أن نذكر أمثلة واسعة الشهرة، كأبي مدين شعيب(594هـ)[2]، وابن الأبار(ت 658هـ)[3]، وابن سبعين(ت 669هـ) الذي قال عنه الغبريني:"له مشاركة في معقول العلوم ومنقولها"[4]، وغيرهم.

وفي عملية إحصائية لعلماء بجاية من كتاب عنوان الدراية الذي يعطينا لمحة صادقة عن الحياة العقلية للمدينة في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، ومن وجهة نظر الغبريني وتكوينه الفقهي، وجدنا أن عدد العلماء الوافدين إلى بجاية هو82، بنسبة 76% من مجموع علمائها الذين بلغ عددهم 108 عالما[5]، وشكل الأندلسيون أغلبية الوافدين بنسبة 45%، والباقي من النسبة توزعت بين مختلف المدن المغاربية.

وتمكنت بجاية من أن تُنتج نهضة علمية واضحة المعالم خاصة في جانب الدراسات الفقهية والأدبية. وتكفي الإشارة إلى أحد أبرز علماء بجاية في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي وهو أبو علي حسين بن علي بن محمد المسيلي (ت 580هـ) [6]التي أوردها الغبريني في الكشف عما كانت

---

(1) هناك مجموعات من العلماء الذين انتقلوا من القلعة إلى بجاية على امتداد القرنين الخامس والسادس الهجريين، مثال ذلك: أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي قال عنه الغبريني:"هو من أهل قلعة بني حماد من كبراء الأئمة وفضلائهم، قرأ ببلده بالقلعة وكانت حاضرة علم وقرأ ببجاية ولقي بها جلة" انظر الغبريني: عنوان الدراية، ص 218. وكذلك العالم محمد بن الحسن ميمون التميمي القلعي" انتقل إلى بجاية مستوطنا بها وبها قرأ وبرع" انظر نفسه، ص 67. كما تحدث عن العالم أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد المعافري القلعي بقوله:" قرأ بقلعة بني حماد ولقي بها المشائخ منهم الأستاذ أبو الحسن علي بن محمد بن عثمان التميمي...وانتقل إلى بجاية واستوطنها وأقر بها، وجلس للأستاذية وانتفع الناس به"، نفسه، ص 133.

وكذلك العالم محمد بن علي بن جعفر يعرف بابن الرمامة، انظر ترجمته في ابن الزبير: كتاب صلة الصلة، ج3، ص21. ابن الأبار: التكملة، ج2، ص 158.

(2) ترجم له الغبريني ترجمة ضافية في عنوان الدراية، ص 22-32.

(3) ترجم له الغبريني وقال فيه بأنه "رحل إلى العدوة واستوطن بجاية، ودرس بها وأقرأ، وروى وأسمع، وصنف وألف"، مص.س، ص 311. انظر كذلك ترجمة ضافية له في، المقري: نفح الطيب، ج3، ص 191-195. وترجمة طويلة صدر بها حسين مؤنس تحقيقه لكتابه الحلة السيراء، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1383هـ/1964م، 7-57.

(4) عنوان الدراية، ص 237.

(5) يصرح الغبريني أنه وضع في كتابه ثلاثة من كبار المشايخ ينتمون إلى القرن 6هـ/12م، ولكن أثرهم استمر في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي.

(6) انظر ترجمته في، أحمد بابا التنبكتي: نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1409هـ/1989م، ص155.

عليه الحياة الثقافية في بجاية في هذا القرن إذ يقول(المسيلي):" أدركت ببجاية تسعين- وفي رواية سبعين- مفتيا ما منهم من يعرف الحسين بن علي المسيلي من يكون"، ويشير الغبريني على أن هذا القول كان تعليقا له عندما يشار إليه بالتفرد في العلم والتوحد في الفهم[1]، ثم قال:"وإذا كان من المفتين تسعون، فكم يكون من المحدِّثين، ومن النحاة والأدباء، وغيرهم ممن تقدم عصرهم ممن لم يدركه، كان الناس على اجتهاد وكان الأمراء لأهل العلم على ما يليق ويراد"[2]. مع ملاحظة أن الفقه كان يمتلك حصة الأسد في الدراسات البجائية[3].

واستطاعت بجاية من إرساء قواعد علمية ساهمت في إنتاج العلماء الذين كانت لهم اليد الطولى في التأليف. وإذا ما قدرنا حجم المجهود المبذول في تأليف كتاب واحد في اللغة ككتاب "**الحاوي**" الذي ألفه عبد الحق الأزدي الإشبيلي ببجاية ويقع في ثمانية عشر مجلدا أدركنا حجم النشاط العلمي الذي تميزت به هذه المدينة[4].

8- دولة المرابطين[5]:

اصل المرابطين من صنهاجة الجنوب الضاربة في الصحراء ، وتولى امر صنهاجة يحيى بن إبراهيم الجدالي وكان من المهتمين بعلو م الدين فتوجه إلى الحج وبعد رجوعه نزل بالقيروان سنة 428هـ، واستمع إلى عالم وفقيه من فقهائها الكبار هو أبو عمران الفاسي، فطلب منه أن يبعث معه إلى قبيلته من يثق فيه ليعلم الاسلام، فاشار عليه بالفقيه وجاج بن زلو اللمطي في بلاد السوس، الذي قدم له طالبا صنهاجيا الاصل من جزولة ليقوم بهذه المهمة ولم يكن سوى عبد الله بن ياسين.

مضى عبد الله بن ياسين مع يحيى بن إبراهيم إلى قبيلة لمتونة فأعجب به شيوخها، وكان له نشاط دائب في التعليم ، وعمد إلى تغيير المنكرات، فكان ذلك سببا في التبرم منه، ولما توفي يحيى بن إبراهيم ساءت علاقة عبد الله بن ياسين مع قبيلة لمتونة فاتخذ لنفسه رباطا مع مجموعة صغيرة من مريديه، ولما تسامع به الناس اجتمعوا إليه، ولما أصبح عددهم نحو الف رجل تسموا بالمرابطين وعرفوا كذلك بالملثمين، وأسس عبد الله بن ياسين جيشا وجعل قيادته إلى يحيى بن عمر الذي كان من

---

(1) الغبريني: عنوان الدراية، ص 36.

(2) نفسه ص 55.

(3) أبو رزاق: الأدب في عصر دولة بني حماد، ص 206. عمارة: دراسات في التاريخ الوسيط، ص108.

(4) الغبريني: مص.س، ص 43، تحدث عن عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الإشبيلي الذي رحل إلى بجاية واستوطن بها وألف بها تآليف الكبيرة منها كتاب في اللغة سماة الحاوي في 18 مجلدا.

5 انظر تفاصيلها في ، ابن خلدون: العبر، ج6، ص 242-

المخلصين له، وشرع في نشر تعاليم الاسلام بين قبائل صنهاجة، وقال:"إن ألفا لن تغلب من قلة وقد تعين علينا القيام بالحق والدعاء إليه وحمل الكافة عليه، فاخرجوا بنا لذلك"[1]. وما لبث أن انصاعت إليهم قبائل لمتونة ومسوفة وجدالة ولمطة وغيرها من قبائل صنهاجة، واستقاموا على الاسلام الصحيح سماهم بالمرابطين، ثم توجه المرابطون وفتحوا سجلماسة ، وقتل قائده يحيى في بعض المعارك، فخلفه أخوه أبوبكر بن عمر ، ثم انضمت إليهم جزولة ولمطة، وبعث ابو بكر بن عمر ابن عمه يوسف بن تاشفين إلى درعة، وجاهدوا برغواطة بتامسنا ، واستشهد عبد الله بن ياسين في إحدى المعارك سنة 450هـ. ثم استمرت عمليات الفتح، ففتحت مدينة لواتة سنة 452هـ.

وحدث في هذه السنة شقاق بين قبيلتي مسوفة ولمتونة فذهب إليها ابو بكر بن عمر وعهد إلى يوسف بن تاشفين بقيادة جيوش المرابطين، وفوض إليه قتال زناتة ثم مضى إلى الصحراء

أمراء الدولة المرابطية:

- **يوسف بن تاشفين(465- 500)هـ:** تمكن يوسف من قيادة المرحلة الجديدة بخطوات مدروسة، فجهز جيشه تجهيزا مميزا، وبدأ في عمليات السيطرة على مختلف الاقاليم، وبدأ بفتح فاس سنة 462هـ، وأمر ببناء المساجد في احوازها، وبنى بها الحمامات والفنادق والارحاء واصلح أسواقها.

كما اسس يوسف قبل ذلك مدينة مراكش سنة 459هـ، وبنى بها المساجد وحفر الابار،

كما استولى على الكثير من الحواضر منها تلمسان سنة 473 وتوغلت جيوشه في المغرب الاوسط حتى مدين الجزائر ، ولم يدخل المرابطون في صراع مع إخوانهم الصنهاجيين بني حماد..

في هذه الاثناء ازداد خطر الفونس السادس على المسلمين في الاندلس التي كانت تعيش عصر ملوك الطوائف المتشتتة والمتحاربة بينها، وقام الفقهاء والمعتمد بن عباد بالاستنجاد بيوسف بن تاشفين ضد خطر الفونسو السادس خاصة بعدما احتل مدينة طليطلة سنة 478هـ، فعمد على الذهاب لنجدة غخوانه وكانت معركة الزلاقة الشهيرة سنة 479هـ والتي انتصر فيها المسلمون بقيادة يوسف بن تاشفين على الصليبيين بقيادة الفونسو السادس وتسمى بعدها بامير المسلمين.

ثم بلغ يوسف بن تاشفين رجوع الصراع إلى ملوك الطوائف فعزم على استئصالهم والاطاحة بعروشهم فجاز سنة 483هـ-483 هـ وقضى على دولهم.

وتوفي يوسف بن تاشفين سنة 500هـ بعد 50 سنة من الجهاد والنشاط في سبيل الله عن عمر ناهز القرن.

- **علي بن يوسف بن تاشفين(500-533)هـ:** جاء في زمن بدأت حياة الترف تدب إلى المرابطين، وفي عهد تعرضت الاندلس إلى غزوة الفونسو الاول المحارب سنة 519هـ التي جال فيها في

---

[1] **ابن خلدون: ج6، ص 243.**

كل الاندلس ، ومن ثم كان لزاما على علي بن يوسف أن يقدم بنفسه إلى الاندلس ليصلح ما بها واستنزفت طاقته هناك، وتوفي سنة 533هـ

– **تاشفين بن علي (533–539)هـ:** كانت في عهده الدولة الموحدية في أوج نشاطها فتوالت عليه الهزائم من قبل عبد المؤمن بن علي، وكان على يديه انقراض دولة المرابطين.

معالم من حضارة المرابطين:

أسس المرابطون مدينة مراكش سنة 465–460هـ[1]، وكان الهدف من إنشائها أن تكون العاصمة السياسية للدولة، وحاضرة علمية تضاهي الحواضر الإسلامية آنذاك. وتحقيقا لهذا المسعى شهدت مراكش في عهد مؤسسها **يوسف بن تاشفين**(465–500) هـ[2] وخليفته **علي بن يوسف بن تاشفين** (500–537)هـ نوعا من العناية الخاصة، وذلك بتوفير شروط الاستقرار للنخب العلمية أنى وجدت، مما وفر لها موجة كبيرة من الهجرة الأندلسية للعلماء، حتى قال صاحب المعجب– رغم هواه الموحدي–:" فانقطع إلى أمير المسلمين**(يوسف بن تاشفين)** من الجزيرة من أهل كل علم فحوله، حتى اشتبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم، واجتمع له ولابنه من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة، ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار"[3].

وعلى النهج ذاته سار ابنه **علي بن يوسف** في مد الحركة العلمية بصادق اهتمامه، واحتضان جهابذة العلماء، حيث كان"يستدعي أعيان الكتاب من جزيرة الأندلس، وصرف عنايته إلى ذلك حتى اجتمع له ما لم يجتمع لملك"[4]. وكان من جملة العلماء الذين أحاط بهم نفسه علماء وفقهاء متميزون في العلوم العقلية، مثل الفقيه والعالم أبي عبد الله مالك بن وهيب الأندلسي، الذي كانت له مشاركة في جميع العلوم.. وله تحقق بكثير من أجزاء الفلسفة[5]، ومنها كتاب "**لبطلميوس**" في الأحكام، وكتاب "**المجسطي**"

---

(1) أسسها يوسف بن تاشفين سنة 459هـ/1067م، انظر، مجهول: كتاب الاستبصار، ص 208. مع ملاحظة أن مدينة بجاية تأسست هي الأخرى سنة 460هـ/ 1066م، أي متزامنة مع تأسيس مراكش.

(2) ابن عذاري: البيان، ج4، ص 20–21.

(3) – عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ/1998م، ص 115.

(4) المراكشي: مص.س، ص 123. انظر كذلك، عبد الكريم التواتي: الأوضاع الثقافية والأدبية في عهد المرابطين، مجلة دعوة الحق، المملكة المغربية، السنة 21، العدد 7 محرم– صفر 1401هـ/ نوفمبر 1980، ص 64–71.

(5) لعل نص الحلل الموشية، والمعجب كفيلان بدحض ما يتردد من خصوم المرابطين أنهم كانوا أعداء الفلسفة، انظر على سبيل المثال، عنان عبد الله: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الثاني، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1384هـ/1964م، ج2، ص 645 ، حيث يشيد بتفتح الموحدين على علوم الفلسفة،

في علم الهيئة"[1].

وتمكنت مراكش من توفير مناخ علمي متفتح تحت إشراف الساسة، وأغدقت الأموال على المضطلعين به، ونالوا المنازل الرفيعة والذكر الجميل، فكانوا عصب الحياة العلمية، وساهموا بفعالية في تنويع العلوم والإبداع في التآليف[2].

9- دولة الموحدين.

المهدي بن تومرت(485-524هـ): هو محمد بن عبد الله بن تومرت من أهل السوس ، ولد سنة 485هـ في ضيعة من بلاد السوس تدعى إيجليز، قضى طفولته في حفظ القرآن الكيرم ثم لما شب رحل في طلب العلم إلى المشرق ببغداد حيث درس على ثلة من العلماء ربما كان منهم أبو حامد الغزالي. وبعد أحد عشر عاما من الدراسة رجع إلى بلاده ولكنه ما إن يمر بمدين إلا ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بدءا من الاسكندرية مرورا بالمهدية، ومرورا كذلك بقسنطينة، إلى بجاية حيث تعرض لمضايقة أميرها الحمادي ن والتقى بعبد المؤمن بن علي الذي كان متوجها غلى المشرق للدراسة ولكن ابن تومرت تفرس فيه النجابة فطلب إليه البقاء معه ليتعلم العلم الذي يود تعلمه من المشرق، ومنذ ذلك الوقت نمت بينهما ألفة غير عادية ، ثم توجهوا مع طلبته إلى المغرب الاقصى وتعرض للمضايقة نتيجة امره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وقام بمناظرة الفقهاء بمدينة غاس في بلاط واليها ، فظهر عليهم وطلبوا من الوالي إخراجه منها، فتوجهإلى مراكش، وتمت نصيحة السلطان المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين بحبسه فأبى ذلك ، وتوجه ابن تومرت تحت هذا الضغط نحو قريته ايجليز، وأقام رابطة للعبادة فيها سنة 515هـ واجتمع إليه الطلبة والقبائل.

رحل بعد ذلك إلى تينملل وباعه طلبته تحت شجرة الخروب اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان اول المبايعين له عبد المؤمن بن علي، وتلقب بالمهدي وادعى العصمة ، فأقبل إليه الاتباع ، ومن

وينفي ذلك عن المرابطين بحجة أن المرابطين حرقوا كتب الغزالي. ولكن عنان لم يذكر أن الموحدين في عهد المنصور قد فعلوا اكثر مما فعله المرابطون، يقول ابو مروان الباجي عن ذلك:" وكان المنصور قد قصد أن لا يترك شيئا من كتب المنطق والحكمة باقيا في بلاده. وأباد كثيرا منها باحراقها بالنار، وشدد في أن لايبقي أحد يشتغل بشيء منها، وأنه متى وجد أحد ينظر في هذا العلم، أو وجد عنده شيء من الكتب المصنفة فيه فإنه يلحقه ضرر عظيم"، انظر، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص 523، بالإضافة إلى نكبته للحفيد ابن رشد وهي حادثة مشهورة، انظرها في، المراكشي: المعجب، ص 218-219.

(1) ابن سماك العاملي: الحلل الموشية، ص 168. انظر كذلك عن هذه الشخصية، المراكشي: مص.س، ص 130-131. ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج10، ص571.

(2) ابن أبي أصيبعة: مص.س، ص 517-519.

تينملل بدات دعوته في الانتشار وقد سمى أصحابه بالموحديد.

وبدات غزوات الموحدين ضد المرابطين ليتمكنوا من فتح بعض المدن التي زادت من شهيتهم في الاطاحة بالمرابطين ، وفي سنة 521 ه ولاول مرة .اشتبك عبد المؤمن مع جيش لعلي بن يوسف بن تاشفين.

وفي سنة 524ه جهز ابن تومرت جيشا قويا قوامه أربيعن ألفا وتوجه إلى عاصمة المرابطين مراكش ، وانهزم الموحدون في هذه المعركة ، ونجا عبد المؤمن بمن بقي معه، ولم يلبث أبن تومرت أن توفي سنة 524ه، ثم اكمل الموحدون الغارات على المرابطين وبيع لعبد المؤمن بن علي سنة 527ه وهي سنة إعلان وفاة ابن تومرت.

- **عبد المؤمن بن علي(524-558)ه:** استمر عبد المؤمن بن علي في مقارعة المرابطين واشتبك معهم سنة 533ه وهزم جيش علي بن يوسف بن تاشفين الذي توفي سنة 537ه، فانضمت مسوفة إلى الموحدين، واستطاع أن يفح كل من تلسمان سنة 537ه وفاس سنة 540ه والعاصمة مراكش سنة 541ه، واصبح الموحدون سادة المغرب الاسلامي.

ثم فتح الموحدون الاندلس حيث كانت غرناطة تحت تصرفهم سنة 549ه، ثم افتتح المغربين اوسط والادنى وحرر المهدية من النورمان سنة 554ه.

-**يوسف بن عبد المؤمن ابو يعقوب (558-580)ه:** كانت له جولات في الاندلس ضد النصارى وتوفي شهيدا في إحداها سنة 580ه.

-**يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن أبو يوسف المنصور (580-595)ه:** جاز إلى الاندلس ، وانتصر في معركة الارك الشهيرة سنة 591ه، ويعد عصره من أزهى عصور الدولة الموحدية حيث قامت العلوم على قدم وساق ووازدهرت مختلف الفنون النقلية والعقلية، وكانت كل من قرطبة ومراكش من حواضر العالم الاسلامي التي لاتضاهى.

- **محمد بن يعقوب بن يوسف الناصر لدين الله(595- 610)ه:** حدثت في عصره قلاقل كثيرة وكانت أخطرها معركة العقاب سنة 609ه انهزم فيها المسلمون في الاندلس ضد الفونسو الثامن وتوفي الخليفة بعدها بسنة سنة 610ه، ومنذ ذلك الحين وأمر دولة الموحدين في تراجع ومدنها في تساقط من قبل النصارى في الشمال أو من قبل القبائل البربرية التي اغتنمت فرصة السقوط الذي تعانيه دولة الموحدين وما لبثت أن اقتسمت أطرافها بين ثلاث دول ناشئة وهي: الدولة المرينية في المغرب الاقصى والدولة الزيانية في المغرب الاوسط ، والدولة الحفصية في المغرب الادنى.

ملامح من حضارة الموحدين:

كانت مدينة مراكش زاهية علميا في العهد المرابطي ولكنها لم تبلغ شأوها العلمي الريادي إلا في

العهد الموحدي[1]، حيث نمت العلوم وترعرعت عندما صارت عاصمة للموحدين الذين مافتئوا يُطعِّمونها بالعناصر العلمية الممتازة من الأندلس ومراكز العلم المختلفة، وكان أمراؤهم قد أبلوا بلاء حسنا في احتضان العلماء، والإنفاق عليهم، والإحسان إليهم، وتوفير مستلزمات عملهم، فقد كان **الخليفة عبد المؤمن بن علي**(524-558هـ) "مؤثرا لأهل العلم، محبا لهم، محسنا إليهم، يستدعيهم من البلاد إلى الكَوْن عنده والجوار بحضرته، ويجري عليهم الأرزاق الواسعة، ويظهر التنويه بهم والإعظام لهم"[2].

وكان خليفته من بعد أبو **يعقوب يوسف بن عبد المؤمن**(558- 580هـ) على نسق والده، وعلى قدر كبير من العلم، إذ كانت له :"مشاركة في علم الأدب واتساع في حفظ اللغة، وتبحر في علم النحو... ثم طمح به شرف نفسه وعلو همته إلى تعلم الفلسفة، فجمع كثيرا من أجزائها، وبدأ من ذلك بعلم الطب، فاستظهر من الكتاب المعروف "**بالملكي**"[3] أكثره، مما يتعلق بالعلم خاصة دون العمل، ثم تخطى ذلك إلى ما هو أشرف منه من أنواع الفلسفة"[4].

أما الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور(580-595هـ) فإنه كان يهتم اهتماما بالغا بالمناظرات العلمية والمناقشات الفلسفية[5]، فيستدعي لها رجال الفكر والعلم إلى قصره، ويخصص لكل طائفة من العلماء يوما خاصا بها من أيام الأسبوع، فكان مجلس للمحدثين والفقهاء، وآخر للأدباء وثالث للأطباء. ونتج عن هذه الروح العلمية التواقة أن أحاط نفسه بمجموعة من كبار الأطباء الأندلسيين الذين بقيت آثارهم العلمية في الطب يتدارسها الأطباء في المغرب والأندلس، مثل الطبيب عبد الملك بن قاسم القرطبي (ت 575هـ)، والطبيب والجراح أبي بكر بن طفيل الوادي آشي (ت581هـ)، والطبيب الفقيه أبي الوليد ابن رشد الحفيد (ت 595هـ)، والطبيب أبي بكر بن زهر(ت 595هـ).

وكانت همة الخليفة المنصور عالية وطموحه واسعا في التأسيس لإحدى أهم المؤسسات العلمية، فأنشأ خزانة للكتب ضمت مؤلفات العلوم النقلية والفلسفية، وكذا المتعلقة بأحكام النجوم خاصة، حيث كان يبحث عنها حتى عند الأسر والبيوتات العريقة[6]، "ولم يزل يجمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب

---

(1) أصبحت مراكش تحت حكم الموحدين سنة 541هـ/1146م، انظر، ابن عذاري: البيان، ج4، ص 105..

(2) المراكشي: المعجب، ص 142. انظر كذلك ، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 267.

(3) "الكتاب الملكي" أو "كامل الصناعة الطبية" ألفه أبو الحسن علي بن العباس المجوسي(ت401هـ/ 1010م) صنفه للملك عضد الدولة البويهي، وهو كتاب جليل مشتمل على أجزاء الصناعة الطبية علمها وعملها، انظر، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، 319-320 .

(4) المراكشي: مص.س، ص 167-168.

(5) عنان: عصر المرابطين والموحدين، القسم الثاني، ص 244.

(6) انظر حادثة أخذه لخزانة أحد العلماء الخواص الطبيب والمنجم أبو محمد عبد الملك الشذوني في، المراكشي: امص.س، ص 168.

ويبحث عن العلماء، **وخاصة أهل النظر** إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله ممن ملك"[1].

وكان لأمراء الموحدين اليد الطولى في تشجيع الحركة العلمية واحتضان الكفاءات العلمية المتميزة، وحماية "العلوم والآداب والفنون"[2]، وكانت روحهم العلمية وراء تأليف كثير من العلماء مجموعة من المؤلفات، فقد ألف أبو مروان عبد الملك بن زهر(ت557هـ) بأمر من الخليفة عبد المؤمن بن علي **رسالة في الأغذية**. كما حرر هذا الطبيب بأمر منه كذلك "**كتاب التيسير في المداواة والتدبير**"[3] الذي بقي متداولا في المجال الطبي في المشرق والمغرب إلى أواخر القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي. وأنجز أبو بكر ابن زهر الترياق الخمسيني ليعقوب الموحدي. وقام ابن رشد الحفيد بشرح أرجوزة ابن سينا بأمر من الأمير الموحدي أبي الربيع سليمان[4]. وبأمر من المنصور الموحدي ألف المهندس والطبيب أحمد بن حسان الغرناطي كتاب **تدبير الصحة**[5]. كما ألف الطبيب والرياضي أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن منعم العبدري المتوفى بمراكش سنة 626هـ كتابه "**فقه الحساب**" وأهداه إلى الخليفة الموحدي الناصر لدين الله (595-609هـ)[6].

وفي هذا المجال الطبي انصرفت الرؤية الموحدية في كل عهودها إلى الاستفادة شبه الكلية من الأطباء الأندلسيين وموروثهم في التأليف النظري والتطبيقي، بحيث يمكن اعتبار المدرسة الطبية المراكشية مدرسة أأدلسية خالصة، مع ملاحظة أن معظم الأطباء الأندلسيين توفوا ودفنوا بمدينة مراكش.

وكان من أهم المؤسسات الطبية في مراكش ما تم في عهد الخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور من إنشاء مؤسسة استشفائية خدمة للصحة العمومية، فكان بناء بيمارستان مدينة مراكش[7]، حيث استقدم استقدم له كبار الأطباء الأندلسيين والبجائيين، واعتنى بهم اعتناء بلغ فيه حدا لايصدق، كما فعل مع

---

(1) المراكشي: مص.س، 169.

(2) عنان: عصر المرابطين والموحدين، القسم الثاني، ص 645.

(3) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، 519. سامعي إسماعيل: معالم الحضارة العربية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1428هـ/2007م، ص199.

(4) حركات: مدخل، ج1، ص410.

(5) ابن أبي أصيبعة: مص.س، ص 535.

(6) أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن منعم العبدري: فقه الحساب، تحقيق إدريس لمرابط، مطبعة الكرامة، الرباط، ط1، 1426هـ/2005م، ص19.

(7) مجهول : كتاب الاستبصار، ص 210. المراكشي: المعجب، ص 204-205. أبن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص286.

الطبيب الماهر ابن زهر[1]، وخصص بعض أجزائه لطبقة من المرضى لا يصح اجتماعهم مع غيرهم، مثل فئة المجانين، وآخر للمصابين بالجذام، وللعميان؛ وأجرى عليه نفقات الموظفين وكل ما يحتاجه المرضى من النفقات الأساسية والأدوية، وبذلك ارتفعت على المرضى كلفة العلاج، وساهم هذا الصنيع في تنمية البحث الطبي وترقيته.

ويعتبر مارستان مراكش من أعظم المارستانات في العالم الإسلامي إذ يلخص اهتمام الموحدين بالطب في جانبيه النظري والتطبيقي، وتوسيعه إلى جمهور الناس عامة؛ ويعطي صورة واضحة ومشرقة لما كانت عليه مراكش من سمو في الميدان الطبي، وقد أفاض المؤرخون في وصفه فقال صاحب المعجب:" وبنى بمدينة مراكش بيماريستانا ما أظن أن في الدنيا مثله؛ وذلك أنه تخير ساحة فسيحة بأعدل موضع بالبلد، وأمر البنائين بإتقانه على أحسن الوجوه، فأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخاريف المحكمة ما زاد على الاقتراح؛ وأمر أن يغرس فيه مع ذلك من جميع الأشجار المشمومات، والماكولات، وأجرى فيه مياه كثيرة تدور على جميع البيوت، زيادة على أربع برك في وسطه، إحداها رخام أبيض. ثم أمر له من الفرش النفيسة من أنواع الصوف والكتان والحرير والأديم وغيره بما يزيد على الوصف، ويأتي فوق النعت، وأجرى له ثلاثين دينارا في كل يوم برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة، خارجا عما جلب إليه من الأدوية. وأقام فيه من الصيادلة لعمل الأشربة والأدهان والأكحال. وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم، من جهاز الصيف والشتاء. فإذا نقه المريض فإن كان فقيرا أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل، وإن كان غنيا دُفِع إليه ماله وتُرِك وسببه. ولم يقصر على الفقراء دون الأغنياء، بل كل من مرض بمراكش من غريب حُمل إليه وعولج، إلى أن يستريح أو يموت. وكان في كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله، يعود المرضى ويسأل عن أهل بيت أهل بيت، يقول: كيف حالكم؟ وكيف القومة عليكم؟ إلى غير ذلك من السؤال، ثم يخرج"[2].

(1) حيث ابتنى له بيتا في مراكش مشابهة تماما لبيته في قرطبة وأرسل في طلب أهله دون علمه، ثم أدخله في هذا البيت حيث وجد ابنه وأهله ولم يصدق ابن زهر فكان يعتقد أنه في حلم، انظر هذه الحادثة في،

(2) المراكشي: المعجب، ص 204-205.

قائمة المصادر:

■- **ابن الأبار** محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي(ت 658هـ/1259م):

-**التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1415هـ/1995م.

- **الحلة السيراء**، تحقيق، حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1383هـ/1964م.

■- **ابن أبي أصيبعة** أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي(ت 668هـ/1269م):

- **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، بلا تا.

■- **ابن أبي دينار** أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني(ت1110هـ/1699م):

- **المؤنس في أخبار إفريقيا و تونس**، مطبعة النهضة، تونس، 1350هـ/1931م.

■- **ابن أبي زرع**(القرن 7هـ/13م):

- **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، المطبعة الملكية بالرباط، ط2، 1420هـ/1999م.

- **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور، الرباط، 1392هـ/1972م.

■- **ابن الأثير** عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني(ت 630هـ/1232م):

- **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت، 1402هـ/1982م.

■- **ابن الأحمر** إسماعيل بن يوسف الغرناطي الأندلسي(ت 807هـ/1404م):

- **نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان**، تحقيق محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، ط2، 1407هـ/ 1987م.

- **تاريخ الدولة الزيانية**، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ/2001م.

■- **الإدريسي** محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الشريف(ق6هـ/12م):

- **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1422هـ/ 2002م.

■- **ابن بسام** أبو الحسن علي الشنتريني(ت542هـ/1147م):

- **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ/ 1998م.

■- **ابن بشكوال** أبو القاسم خلف بن عبد الملك(ت578هـ/1182م):

- **كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس**، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ/2003م.

■- **ابن بطوطة** محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي(ت779هـ/1377م):

- **رحلة ابن بطوطة**، تحقيق علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط4، 1405هـ/1985م.

■- **البكري** أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد(487هـ/1094م):

- **المسالك والممالك**، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1424هـ/2003م.

- **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، الجزائر، 1274هـ/1857م.

■- **البلوي** خالد بن عيسى(ق8هـ/14م):

- **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، تحقيق الحسن بن محمد السائح، مطبعة فضالة، النحمدية، المغرب، بلا تا.

■- **التجيبي** القاسم بن يوسف(730هـ/1329م):

- **برنامج التجيبي**، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدر العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1401هـ/ 1981م.

■- **ابن تغري بردي** جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت 874هـ/1469م):

- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ/1992م.

■- **التنبكتي** أحمد بابا (ت 963هـ/1036م):

- **كفاية المحتاج**، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ/2002م.

- **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية

الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط1، 1409هـ/ 1989م.

■- **التنسي** محمد بن عبد الله بن عبد الجليل(ت899هـ/1494م):

- **نظم الدر والعقيان، في بيان شرف بني زيان**، تحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1405هـ/ 1985م.

■- **ابن حجر** العسقلاني أحمد بن علي(ت 852هـ/1448م):

- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1414هـ/ 1993م.

■- **ابن حزم** أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد(ت 456هـ/1063م):

- **رسائل ابن حزم**، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1403هـ/ 1983م.

■- **الحسن الوزان**(كان حيا سنة 957هـ/ 1550م):

- **وصف إفريقية**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1403هـ/1983م.

■ - **ابن عبد الحكم(257هـ/): فتوح مصر والمغرب**، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 1425هـ/2004م.

■- **الحميري** محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم(ت ق8هـ/14م):

- **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2 1400هـ/1980م.

■- **ابن حوقل** أبو القاسم(ت ق 4هـ/10م):

- **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1411هـ/1992م.

■- **ابن الخطيب** لسان الدين(ت 776هـ/1374م)):

- **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2003م.

- **أعمال الأعمال**، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2003م.

■- **ابن خلدون** عبد الرحمن بن محمد(808هـ/1406م):

- **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1427هـ/2006م.

- **المقدمة**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1427 هـ/ 2006م.

■- **ابن خلكان** أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ/1282م):

- **وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1398هـ/1978م.

■ **الداعي إدريس** عماد الدين(872هـ/1488م): **عيون الاخبار، تاريخ الخلفاء الفاطميين**، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1405هـ/1985م.

■- **الدباغ** عبد الرحمن بن محمد الأنصاري(ت 696هـ/1296م):

- **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تحقيق محمد ماضور، الشركة التونسية لفنون الرسم، 1398هـ/1978م.

■- **الذهبي** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1348م):

- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري دار الكتاب العربي ط 2 1413 هـ/1993.

- **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة ج1، ط11، 1417هـ/1996م.(حققت بقية أجزائه من قبل مجموعة من العلماء).

■- **الزركشي** محمد بن إبراهيم اللؤلؤي(ق9هـ/15م):

236- **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق الحسين اليعقوبي، المكتبة العتيقة، تونس، ط1، 1419هـ/1998م.

■- **سحنون** بن سعيد التنوخي(ت 240هـ/854م):

- **المدونة الكبرى**، دار الفكر، بيروت لبنان، 1425هـ/2005م.

■- **ابن سعيد** الأندلسي أبو الحسن علي بن موسى (ت685هـ/1286م):

- **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1414هـ/ 1993م.

■- **صاعد** بن أحمد بن صاعد الأندلسي(ت 462هـ/ 1070م):

- **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط1، 1420هـ/ 2000م.

■- **ابن الصغير(القرن الثالث هـ):**

- **أخبار الأئمة الرستميين**، تحقيق محمد ناصر، وابراهيم بحاز ، دار الغرب الاسلامي،1405هـ/ 1985.

■- **الضبي** أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة(ت 599هـ/ 1203م):

- **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، ط1، 1417هـ/1997م.

■- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير(ت310هـ/922م):

- **تاريخ الأمم والملوك**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م.

■- **ابن عذاري** المراكشي(كان حيا أواخر القرن 7هـ/13م):

- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ج . س . كولان و إ .ليفي بروفنصال، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 1430هـ/ 2009م.

■- **أبو العرب** محمد بن أحمد بن تميم:

- **كتاب طبقات علماء إفريقية**، تحقيق ابن أبي شنب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، نسخة مصورة عن طبعة الجزائر، بلا تا.

■- **ابن العماد** الحنبلي عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري (ت 1089هـ/1678م):

- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.

■- **عياض** بن موسى بن عياض السبتي القاضي (ت544هـ/1149م):

- **ترتيب المدارك**،ج1، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط2، 1403هـ/ 1983م.

- ج2، ج3، ج4، تحقيق عبد القادر الصحراوي، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، ط2، 1403هـ/1983م.

- ج5، تحقيق محمد بن شريفة، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، ط2، 1403هـ/1983م.

- ج6، ج7، ج8 تحقيق سعيد أحمد اعراب، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، ط2،

1403هـ/1983م.

■- **الغبريني** أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله(ت 714هـ/1314م):

- **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق، عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، 1399 هـ/ 1979م.

■- **ابن فرحون** إبراهيم بن نور الدين(799هـ/1396م):

- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق، مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/1996م.

■- **ابن القاضي** أحمد المكناسي(1025هـ/1616م):

- **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1393 هـ/ 1973م.

■ - **القاضي النعمان** (ت363هـ/973م): **تاريخ افتتاح الدعوة**، تحقيق فرحات الدشراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع، ط2، 1401هـ/1981م.

■- **المالكي** أبو بكر عبد الله بن محمد(ت 460هـ/1067م):

- **رياض النفوس**، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1414هـ/ 1994م.

■- **مجهول:**

- **كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد بلا تا.

■- **المراكشي** عبد الواحد (647هـ/1249م):

- **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ/1998م.

■- **ابن مريم** أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المليتي (ت1014 هـ/1605م):

- **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تحقيق محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1406هـ/1986م.

■- **المقدسي** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر(ت 380هـ/990م):

- **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/

2003م.

■- **المقريزي** أبو العباس أحمد بن علي (ت845هـ/1441م):

- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط2، 1407هـ/1987م.

■- **المقَّري** أحمد بن محمد(ت 1041هـ/1631م):

- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1419، 1998م.

■- **النويري** أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/1332م):

- **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

■- **ياقوت** بن عبد الله الرومي الحموي(626هـ/ 1228م):

- **معجم الأدباء**، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان،، ط1، 1413هـ/ 1993م.

- **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، لبنان، 1397هـ/1977م

■- **اليعقوبي** أحمد بن أبي يعقوب كان حيا سنة (292هـ/904م):

- **تاريخ اليعقوبي**، دار صادر، بيروت، لبنان، بلاتا.

فهرس الموضوعات

مقدمة.....02

المحور الأول:

المغرب الاسلامي من الفتح الإسلامي إلى نهاية عصر الولاة

أولا: بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي.....08

1- الاسم والحدود.....08

2- الجغرافيا الطبيعية لبلاد المغرب.....10

3- الجغرافيا السكانية لبلاد المغرب.....13

4- الإستعمارات المتعاقبة على بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي.....15

ثانيا: مراحل فتح بلاد المغرب:.....21

1- مرحلة الحرب الاستطلاعية(الغارات).....22

أ- حملة عمرو بن العاص: فتح برقة(22هـ).....22

ب- حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح: فتح سبيطلة(27هـ).....28

جـ - حملة معاوية بن حُدَيج السكوني: فتح سوسة و جلولاء (45هـ).....31

2- مرحلة الفتح الدائم(الإستقرار). 34

أ- ولاية عقبة بن نافع الأولى، وتأسيس مدينة القيروان(50هـ).....34

ب- ولاية أبي المهاجر دينار (55هـ).....41

جـ - ولاية عقبة بن نافع الثانية ، والانسحاب المؤقت من القيروان(62-64هـ)...47

د- حملة زهير بن قيس و استرجاع القيروان (69هـ).....52

هـ - حملة حسان بن النعمان الأولى(74هـ).....54

و- حملة حسان بن النعمان الثانية(79- 85هـ).....57

ز- حملة موسى بن نصير وعمليات إتمام فتح المغرب(86هـ).....63

ثالثا: عصر الولاة.....82

1- ولاية محمد بن يزيد (97-100)هـ.....82

2- ولاية اسماعيل بن عبدالله بن ابي المهاجر (100-101)هـ.....83

3- ولاية يزيد بن أبي مسلم (102هـ).....86

4- ولاية بشر بن صفوان (103-109)هـ.....87

5- ولاية عبيدة بن عبد الرحمن السلمي (110-114)هـ.....88

6- ولاية عبيد الله بن الحبحاب (114-123)هـ.....89

7- ولاية كلثوم بن عياض القشيري (123-124)هـ.....93
8- ولاية حنظلة بن صفوان الكلبي /أخ بشر بن صفوان (124-127)هـ.....94
معالم حضارية.....97

المحور الثاني:

الدول المستقلة والمؤسسة.....100
1- دولة بني واسول المدرارية.....101
2-الدولة الرستمية.....105
معالم من حضارة الرستميين.....108
3- الدولة الادريسية 109
4- الدولة الأغلبية.....112
معالم من الحضارة الاغلبية.....116
5- الدولة الفاطمية.....118
6- دولة بني زيري بالمغرب الادنى.....140
7- دولة بني حماد بالمغرب الاوسط.....142
معالم من حضارة الدولة الحمادية.....142
8- دولة المرابطين.....148
معالم من حضارة المرابطين.....150
9- دولة الموحدين.....151
ملامح من حضارة الموحدين.....152
قائمة المصادر.....156
فهرس الموضوعات.....163